آثار
أبي زيد الفازازي الأندلسي

نصوص أدبيّة من القرن الهجري السابع
جمعها بعض تلاميذه في حياته

تقديم وتحقيق:
عبد الحميد عبد الله الهرامة

دار قتيبة

آثار
أبي زيد الفازازي الأندلسي

نصوص أدبية من القرن الهجري السابع
جمعها بعض تلاميذه في حياته

تقديم وتحقيق:
عبد الحميد عبد الله الهرامة

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع

مع تحيات إخوانكم في الله
ملتقى أهل الحديث
ahlalhdeeth.com
خزانة التراث العربي
khizana.co.nr
خزانة المذهب الحنبلي
hanabila.blogspot.com
خزانة المذهب المالكي
malikiaa.blogspot.com
خزانة المخطوط العربي والإسلامي
makhtotat.blogspot.com
عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث
akidatuna.blogspot.com
القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة
kawlhassan.blogspot.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ-١٩٩١م

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - ص.ب: ١٤/٦٣٦٤
دمشق - ص.ب: ١٣٤١٤

الإهداء

إلى أستاذي الجليل المرحوم

عبد الله الهوني

أهدي هذا الكتاب

عرفاناً بجهوده المخلصة في تربية

العقول والأرواح والذمم

وغرسه لمعاني الوفاء والود والثقة

عبد الحميد الهرامة

بسم الله الرحمن الرحيم

مع تحيات إخوانكم في الله
ملتقى أهل الحديث
ahlalhdeeth.com
خزانة التراث العربي
khizana.co.nr
خزانة المذهب الحنبلي
hanabila.blogspot.com
خزانة المذهب المالكي
malikiaa.blogspot.com
خزانة المخطوط العربي والإسلامي
makhtotat.blogspot.com
عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث
akidatuna.blogspot.com
القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة
kawlhassan.blogspot.com

تقديم

ظل اسم أبي زيد الفازازي مقترناً منذ أمد بعيد بعشرينياته في مدح الرسول ـ ﷺ ـ وقد بلغ بذلك شهرة خاصة في غرب أفريقية، حيث يقبل الناس على عشرينياته في احتفالات المولد النبوي حتى أيامنا هذه إقبالاً جماعياً، يفوق إقبال الناس في شمال أفريقيا على أمداح البغدادي أو البصيري. . وقد دعا هذا الإقبال بعض المستشرقين إلى اعتبار صاحبها رسول الإسلام في السودان الغربي (بروكلمان 132/5 ـ ترجمة) بل قال بعضهم إنه كان مبشراً بالإسلام في كانم (المصدر نفسه).

لكن وجهاً آخر تبدّى لأبي زيد الفازازي بعد العثور مصادفة على أعماله المنثورة والمنظومة، فقد قادت حاجة علمية محقق هذا الكتاب إلى طلب مجموع فيه مخطوطات مختلفة من مكتبة ليدن بهولندا، فإذا به يحتوي على نصّ نفيس من نتاج الفازازي، ذلكم هو السفر الذي بين أيديكم.

وتعود أهميته إلى أنه يقدم نصوصاً نثرية وشعرية لم يسبق نشرها لشيخ الكتّاب في عصره عبد الرحمن بن يخلفتن الفازازي، وهو شخصية جمعت بين السياسة والثقافة الدينية واللغوية والزهد والإبداع الأدبي، وفي آثاره الباقية ما يضيء هذه الجوانب ويبرهن عليها.

وهناك سبب آخر يعطي هذه النصوص أهمية مضاعفة، هو أنها تقدم بعض أدبيات أحد جانبي الصراع الفكري في القرنين السادس والسابع بين الفقهاء والمتصوفة والمحدثين من جانب وبين الفلاسفة والملحدين وأهل البدع، من جانب آخر، ذلك الصراع الذي كان فيه الفازازي طرفاً في مقاومة الفلاسفة والبدع والإلحاد.

حتى لقد قال ابن خميس إنه كان (يبغض أهل العلوم القديمة) وقال الفازازي نفسه:

ودع الفلاسفة الذميم جميعهم ومقالهم تأتي الأحقّ الواجبا
فانظر بعقلك هل ترى متفلسفا فيمن ترى إلاَّ دعيًّا كاذبا

وهو بذلك يعطي أضواء عن الظروف التي اعتقل فيها ابن رشد، والمقالات التي كانت تواجه التيار الفلسفي في ذلك الحين.

إن الكتابات السابقة عن الفازازي كانت تفتقر إلى مراجعة هذا السفر، وهو ما جعلها تجافي الحقائق التاريخية أحياناً حول شخصيته وحياته، وما جعل أحكامها عن إبداعه الأدبي في حاجة إلى إعادة نظر ومزيد من التركيز، وإني لأرجو أن يكون في تقديم هذا السفر إلى القراء خدمة مفيدة لتراثنا العربي الإسلامي بعامة، وللمكتبة العربية المغربية والأندلسية على وجه الخصوص.

ويسرني أخيراً أن أشكر أولئك الذين يسروا لي مهمة العمل في هذا الكتاب بعونهم الكريم وأخصّ منهم الأستاذ علي شونة الذي كان له فضل في التغلب على بعض المشكلات العروضية.

والله ولي التوفيق.

الفازازي وحياته

هـو أبو زيـد عبـد الـرحمن بن أبي سعيـد يخلفتن بن أحمـد بن تنفليت الفازازي، نسبة إلى جبل فازاز بقبلي مكنـاسة الـزيتون، وإليـه ينتمي أصله[1] وتنسب أسرته إلى يجبش أو يخفش وهم من زناتة[2].

ولد ونشأ الأديب بعد الخمسين والخمسمائـة، في قرطبـة على قول ابن الأبار[3]، وقال ابن الزبير منشؤه في مراكش[4]، غير أن المعلومات القليلة التي قدمها هذا الأخير عن الشاعر لا تدل على معرفة تامة بحياتـه وأخباره، إذ فيهـا من الأخـطاء في نسبه وتـاريخ وفـاته، والاختصـار المخل بـأخباره مـا يجعلهـا ضعيفة أمام ما أورده ابن الأبار من معلومـات دقيقة عن الـرجل[5]، وهـو الذي

---

(1) هكـذا جـاء نسبـه في معظم المصـادر، وزاد في أعلام مـالقة، وفي غـرباء الصلة المـطبوع بآخر الذيل والتكملة 542/8 أن اسم والده محمد بن يخلفتن، غير أن ذلك مخالف لما وجد من نسب أخيه بالمصدر نفسه 362/8 من أنـه محمد بن يخلفتن. ومخـالف لا جماع بقيـة المصادر الأندلسية والمشرقية.

(2) مفاخر البربر والذيل والتكملة 260/8 حاشية رقم 313.

(3) التكملة 585/2 وبغية الوعاة 91/2 والمقتضب ص 133.

(4) الذيل والتكملة 542/8.

(5) منها ما انفرد به من الإشارة إلى قرابته بابن بقي القرطبي (التكملة ـ 585/2).

عاصره وقصد زيارته مرتين في أشبيلية سنة 626، أي قبل ولادة ابن الزبير نفسه[1].

ولذا فقد اعتمد أصحاب التراجم والمؤرخون القدامى والمحدثون على رواية ابن الأبار ولم يلتفتوا إلى رواية ابن الزبير، وذلك دليل آخر على ضعفها[2].

على أن في نشأته رواية أخرى لا تناقض رواية ابن الأبار وإن كانت تجعلها أكثر تحديداً، لأنها تفيد أن الفازازي تعلم في تلمسان قبل سنة 576 على يد أبي عبد الله التجيبي المتوفي سنة 610 هـ[3]، فقد جاء في نفح الطيب أن التجيبي المذكور أول من سمع عنه الفازازي في حياة الحافظ السلفي إذ قدم عليهم تلمسان[4].

ويبدو القيد بحدوث السماع (في حياة السلفي)، وكأنه استطراد لا لزوم له في سياق الترجمة، والواقع أنه في غاية الأهمية، لأنه يعني أن أخذ الفازازي من التجيبي تمّ قبل سنة 576، وهو تاريخ وفاة السلفي، ويقود ذلك إلى تعيين البيئة التي نشأ وتعلم فيها الفازازي في آونة صباه وبعض مراحل تعليمه، كما يقود إلى تصحيح خبر في ترجمة التجيبي بالذيل والتكملة جاء فيه «ونزل مقفلة من رحلته هذه. . . . (يعني رحلته المشرقية) بسبتة سنة 574 هـ، فأسمع بها وبفأس، ومراكش وغيرها من البلدان، ثم انتقل إلى تلمسين فاستوطنها)[5].

والذي يستفاد من التصحيح السابق أنه روى في تلمسان إثر عودته من المشرق وقبل ذهابه إلى المدن المذكورة أعلاه.

ولهذا التصحيح المستفاد ما يؤكده من رواية أخرى في غير النفح وبلفظ

---

(1) ولد ابن الزبير سنة 627 أي في السنة التي توفي فيها أبو زيد الفازازي.

(2) ممن نقل عن ابن الأبار التنبكتي في نيل الابتهاج 239.

(3) النفح 468/4 وبرنامج الرعيني 172.

(4) النفح 468/4، هذا. والمعلوم أن السلفي عاش ما بين 478 و 576 هـ. وفاعل القدوم هو التجيبي لأن الحافظ السلفي لم يغادر الاسكندرية غرباً (انظر الوافي بالوفيات) 352/7.

(5) الذيل والتكملة 356/8 - 357.

التجيبي نفسه، فقد جاء في معجمه عند ذكر جابر القرشي قوله: (من أصحابي الآخذين عني بتلمسان عند قدومي من البلاد المشرقية، كتب عني كثيراً)[1].

وإذا كان سماع الفازازي من التجيبي بتلمسان قبل سنة 476 هـ أمراً قوَّى الاحتمال فإن ارتباط الفازازي بهذه المدينة في زمن الصبا بل وزمن الطفولة المتأخرة أمراً يكاد يبلغ أرقى درجات التأكيد، فهو قد ولد بعد الخمسين والخمسمائة[2] ولا يفصل هذا الرقم عن سنة 476 التي سبقت الإشارة إليها سوى عشرين سنة تساوي في العادة بداية سن الرشد.

ثم هل وجود نسبة التلمساني في ترجمة أخيه كبيره محمد، وسماع هذا الأخ من قاضي تلمسان عبد الرحمن بن أبي الفنون، ومن التجيبي نفسه[3][4] لا دليل على علاقة مبكرة لهذه العائلة بتلك المدينة وعلمائها في زمن كان فيه أبناؤها في عمر التلمذة والتلقي.

ولا نخرج من البراهين الواردة في المصادر المختلفة دون الإشارة إلى ما جاء في بغية الوعاة من أن الفازازي كان نزيل تلمسان[4]، ولا يخفى للمتبع لحياة الرجل أن المراد بالنزول هنا قبل الفترتين الأندلسية المتأخرة والمراكشية الأولى والثانية ولا يكون ذلك إذن إلاَّ في فترة صباه وتعليمه وهي فترة مبكرة من حياته.

ولدينا من أدب الفازازي أدلة أخرى قاطعة فيها إشارات واضحة الدلالة على علاقته بتلمسان زمن الصبا وآونة الطلب، منها قوله:

أهوى تلمسان وسكانها ... لو كان لي في الكون اختيار
أرض خلعت العذر في تركتها ... أضعاف ما فيها خلعت العذار

ولا ندري كم أقام بتلمسان، ولكن هذه العلاقة الودية بينه وبينها لا تتكون في يوم وليلة، فلماذا يصفها بالقصر والاختصار في قوله:

---

(1) التكملة 249/1 الطبعة المصرية.
(2) بغية الوعاة 91/2 والنفح 469/4.
(3) التكملة لابن الأبار 751/2.
(4) بغية الوعاة 91/2.

يـا لـذاك الـعيش لـولا أنـه كـان فـي مـدتـه مختـصـراً؟

ويقول في رسالة أخرى إلى بعض أصدقائه التلمسانيين:

لا أنسى أيـامـاً قصـاراً فيـه لي أضحى تـذكـرهـا عليّ طـويـلا

إن الإشارة إلى القصر هنا تدل على أنها من أيام السرور القصيرة، ولا تدل على اختصار المدة كما هي في البيت السابق.

وليس إطلاق الأيام في البيت الثاني مراداً به فترة وجيزة جداً، فهناك ما يدل على إقامته في تلك البلاد فترة استحقت لطولها أن تدعى (وطن الصبا)، وأن يحنّ إليها ذلك الحنين الذي بدا في شعره:

عـوجـا على وطن الصبـابـة والصبـا بـتـحـيـة تـسـع الـمـكـان وأهـله
بـين الـبصـيلة والـمجـاز مـنـاظـر أودعـتـهـا مـذ بـنـت أنـسـي كـلّه

فهل يعني ذلك خللاً في رواية ابن الأبار التي يذكر فيها أن الفازازي ولد ونشأ في قرطبة؟

الحقيقة أن ابن الأبار أكد سكن الفازازي لتلمسان بعد قرطبة مباشرة[1]، ولكنه لم يحدد عمره في هذه الفترة. ويمكن أن نستشف من كلّ ما مضى أنها فترة الطلابة التي ينتهي فيها التلميذ من حفظ القرآن الكريم، ويتجه إلى دراسة العلوم المختلفة، فالتجيبي الذي درّس له في تلمسان تصدَّر لتدريس الصحيحين، والترمذي وسيرة ابن هشام، ومعجم الصحابة للبغوي وغيرها من الكتب الكبرى والمتوسطة[2]. ومن الثابت أن الفازازي أخذ عنه الأربعين حديثاً التجيبية من جمعه، ورواها عنه الرعيني وأثبتها في مروياته[3] وتدرس مثل هذه الكتب عادة بعد مرحلة الطفولة، وهو ما يجعل عمر الأديب عند تلمذته للتجيبي يبلغ سن الحلم ويناهز الرشد. وبذلك يمكن الجمع بين رواية ابن الأبار حول النشأة القرطبية وهذه الرواية التي بين أيدينا حول الفترة التلمسانية.

---

(1) التكملة: طبعة مجريط ـ رقم 1641.
(2) برنامج الرعيني 172.
(3) المصدر السابق 102.

انتقل الفازازي من تلمسان بعد ذلك إلى فاس، ومنها راسل أصدقاءه التلمسانيين في أسلوب رصين وفكر واعٍ، ينم عن طور متقدم في السن والعقل، وقدر من البلاغة والأدب لا يصدر عن فتى صغير، فمن ذلك قوله:

(كتبت دامت كرمة سيدي الفقيه، والأخ الذي أفديه بالنفائس وأفيه، . . . من حضرة فاس ـ حرسها الله ـ والحال جميلة صالحة، وألطاف المولى سبحانه غادية رائحة)[1] وكتب شعراً:

كيف حال امرىء تشطُّ تلمسـ ـان عليه وقد أقام بفاس
لم يكن ما لقيته مذ تناءيت من الوجود جاريا بقياس[5]

ولعله أخذ في هذه المدينة عن شيخه علي بن عتيق المتوفي بها سنة 598[3] وغيره.

ثم انتقل من فاس دون أن نجد الكثير عن أخباره فيها، حيث ما لبث أن دخل الأندلس وتجول في ربوعها، يطلب العلم حيناً ويكتب للولاة أحياناً، ويؤلف المجموعات الشعرية والنثرية ذات الطابع الديني، ويتولى الرواية فيما ألفه أو رواه عن شيوخه، ومن الثابت في تلك الفترة أنه أقام في أشبيلية وقرطبة ومالقة وغرناطة وربما غيرها أيضاً.

ففي مالقا لقي الحافظين الشهيرين أبا زيد السّهيلي المتوفي سنة 581 هـ وأبا عبد الله ابن الفخار المتوفي سنة 590 هـ فأخذ عنهما كما أخذ الكثير من لداته الأندلسيين والمغاربة، فقد عرف عن الرجلين بروزهما في الحديث والفقه. . قال ابن خميس (ورد علينا رحمه الله وكان بها كاتباً لأمير المؤمنين أبي العلاء أيام ولايته، وكان من الكتاب البلغاء والشعراء الأدباء، كتب عن سادات حياته، وكان بارع الخط، من جلة الطلبة النبهاء)[4]، وقال ابن الأبار: (وروى عن. . أبي القاسم السهيلي وأبي عبد الله الفخار. . وأبي عبد الله التجيبي . . . . . وغيرهم)[5].

---

(1) مجموع ليدن ـ ص 186.
(2) المصدر نفسه 189.
(3) الذيل والتكملة 257/5.
(4) أعلام مالقة لابن خميس 133/67.
(5) التكملة 585/5.

ونجد في قائمة شيوخ الفازازي بالإضافة إلى السهيلي والتجيبي وابن الفخار، أعلام من فقهاء ومحدثي القرن السابع من أمثال أبي الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقي القاضي، وابن خلف الحافظ، وأبي الحسن الصائغ، وأبي الصبر السبتي وأبي محمد بن عبيد الله وكان آخرهم فيما ينقل المقرىء في النفح أبا الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخي[1]، وهو تلمساني جاء إلى إشبيلية سنة 578، مما يرجح أن أخذ الفازازي عنه كان في الأندلس التي يبدو أنها شهدت آخر عهده بالتلمذة على يد هذا العالم التلمساني.

وبعد سنوات الطلب التي تكاد أن تستغرق النصف الثاني من القرن السادس الهجري نجد المترجم له في مراكش حاضرة الدولة الموحدية سنة 601 هـ، يملي خطباً وأشعاراً على الواعظ ابن الحجام[2].

وقد دامت فترة إملائه على ابن الحجام مدة من الزمن ليست بالقصيرة؛ ذلك أن جامع أعماله قد أورد فيها أشعاراً قيلت في إحدى عشرة جمعة، فلو كانت تكتب في مناسباتها وليست دفعة واحدة لاستغرقت حوالي ثلاثة أشهر فضلاً عن الخطب والمواعظ.

ومن الثابت أن أديبنا كان يكتب لابن الحجام هذا مجالس وعظ في يومي الاثنين والخميس من كلّ اسبوع [3] وهي تختلف عما بين أيدينا من مجالس الجمعة في أن هذه شعر خالص وأملياته لابن الحجام تجمع النثر والشعر، وهي مجالس وعظ في حين أن هذه مقدمات تفتتح بها مجالس الذكر ويقصد بها استدرار الدعاء من الحاضرين للإمام[4].

ويبدو أن هذه الافتتاحيات قرّبته إلى السلطان حتى صحبه إلى تونس، إذ جاء في ترجمة أبي المعالي الفارسي، أنه دخل تونس والناصر من بني

---

(1) نفح الطيب 268/4.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي الواعظ المعروف بابن الحجام (ت 640 هـ) كان كثير التأثير بوعظه (انظره في التشوف لابن الزيات ص 439 والذيل والتكملة، سفر الغرباء ص 141 من المخطوط والأعلام 173/4).

(3) الذيل والتكملة 266/8.

(4) المخطوط ص 85.

عبد المؤمن بأفريقية فحظي عنده، وهناك روى عنه أبو زيد الفازازي [1] والمعلوم أن الناصر كان في تونس ما بين سنتي 601، و 604 وهو تاريخ عودته إلى مراكش [2] على أن الفازازي كان في هذا العام بالأندلس، فقد جاء على الصفحة الأولى من عشرينياته أنه فرغ من تأليفها في قرطبة سنة 604 هـ [3].

أما علاقة هذا الأديب بالموحدين فقد دامت وقتاً ليس بالقصير حيث (كتب دهراً طويلاً للولاة) [4] ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن المنصور وأخوه أبو العلاء، وقد طالت صحبته لهما، فأما الأول فقد تولى أشبيلية مرتين ما بين 605 هـ و 614 هـ، وقد وصفه صاحب المعجب بالنجابة وإيثار الحق وذكر وفاته سنة 617 هـ [5]، وأما أبو العلاء لقد صحبه في مالقة أيام ولايته عليها [6] وصحبه في أشبيلية منذ سنة 614 هـ، ولقيه الرعيني هناك في هذه السنة فاشتركا معاً في الكتابة في أشبيلية وقرطبة [7] ومن قرطبة أرسل خطاباً عن المأمون إلى أخيه محمد الفازازي [8]، ويظهر أن الفازازي غادر قرطبة إلى مالقا ومكث فيها صحبة مخدومه المذكور حتى سنة 620 هـ وأرسل قبل رجوعه منها إلى قرطبة جواباً عن أبي العلاء المأمون إلى أبي العباس التميمي المتصوف [9].

ثم عاد الكاتب صحبة أبي العلاء إلى قرطبة طيلة سنة 621 هـ، وفي السنة التالية انتقل معه إلى أشبيلية [10] وفيها نظم رسالة شعرية عن المأمون إلى أبي النجم هلال بن مقدم الخلطي [11] يشكره فيها على وفائه، أولها:

---

(1) الذيل والتكملة 368/8.

(2) المعجب 317 - 318.

(3) انظر صفحة الغلاف من ديوان الوسائل المتقبلة.

(4) التكملة 585/2. ونيل الابتهاج ص 240.

(5) المعجب 308 - 310.

(6) أعلام مالقة 133/67.

(7) برنامج الرعيني 102.

(8) الذيل والتكملة 862/8.

(9) المصدر السابق 55/1.

(10) البيان المغرب 270/3.

(11) كان هلال هذا زعيم إحدى الجماعات المغربية وقد ساعد المأمون ضد يحيى بن الناصر (انظر البيان المغرب 280/3 - 289).

لطعن والضرب منسوبان للعرب بالسمهرية والهندية القضب

وهي من جياد شعره وشائعه، وقد كلف يحيى بن الناصر أبا عبد الله بن الصفار المعروف بالبرنامج أن يرد عليها، فجاوبه بقصيدة أولها:

نسبت شر عبيد الله للعرب جهلا بفضل رسول الله والنسب[1]

على أن جفوة بدت بين الفازازي وأبي العلاء لعلها نجمت عن استعانة المأمون بالروم على قتال المسلمين وإعطائهم شروطاً مهينة منها الموافقة على منحهم عشرة حصون وبناء كنيسة لهم، ولعلها كانت بسبب تبرمه من الخدمة لدى السلطان وإحساس أبي العلاء بثقل التبرم في مثل قوله:

(والعبد بحكمة القدر محكوم وإلى مضمة القصر مضموم ولو أني ملكت يدي ونفسي، وصرفت باختياري عقلي وحسي، لما نقلت قدماً فيما يعقب ندماً، ولا قضيت وطراً مما يركب خطرا)[2].

فلم يكن تبرمه بالخدمة خافياً ولا طارئاً، إذ قد سجله المؤرخون في تراجمه لكثرة جريانه على لسانه، قال ابن الخطيب: (وكان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء ملتزماً بذلك كارهاً له، حريصاً على الانقطاع عنه)[3]. وقال تلميذه الرعيني أنه كان (متبرماً بتنشبه في الخدمة)[4].

وأياً كانت أسباب الجفوة بين الفازازي ومخدومه فقد جعلت أبا العلاء المأمون يأمره بالتزام بيته شهوراً طويلة من سنة 626 هـ حتى قال ابن الأبار (دخلت قرطبة واشبيلية في وقتين مختلفين وهو بهما إذ ذاك، فلم أقدر في أحدهما على الوصول إليه لإلزامه داره بجفوة نالته من السلطان وذلك في سنة 626 هـ[5] وفي نثره إشارة إلى لزومه البيت لعلها تومىء إلى هذه الفترة، يقول فيها: (وها أنا الآن حِلْسَ البيت، وحيّ في معنى الميت، عاقتني من لجج الطير عوائق، وحالت بيني وبين الحدائق وأين الحدائق؟ وأما الناس فالجنسية

(1) النصان في البيان المغرب 280/3 - 282.

(2) مجموع ليدن (15) وانظر أنفته من الخدمة في إحدى رسائله ص 134 من المخطوطة.

(3) الاحاطة 518/3.

(4) برنامج الرعيني 102.

(5) التكملة 585/2 (رقم الترجمة 1641) كوديرا.

معدومة ووراء هذه الإشارة أمور مكتومة)[1].

وفي آخر هذا العام سافر إلى مراكش بطلب من المأمون وكان ذلك دليلاً على نهاية العقوبة وزوال الجفوة، قال ابن الخطيب (استقدمه المأمون على حال وحشة كانت بينه وبينه، فورد ورود الرضا على مراكش في شعبان سنة 627 هـ.

وفاته

توفي الفازازي بمراكش في شهر ذي القعدة سنة 627 هـ أي بعد حوالي ثلاثة أشهر من قدومه إليها، ذكر ذلك أوثق الرواة وأقربهم لعصر الأديب[2] فلا عبرة برواية من قال إن وفاته كانت سنة 624[3]، ولا بما ورد خطأ في طبعة دار صادر من نفح الطيب من أنه توفي سنة 637[4].

آثاره

ترك هذا الأديب آثاراً أدبية أغلبها في الزهد والمدائح والمواعظ والشفاعات، وقد أحصيت ما بين يديّ من أعماله المنظومة فبلغت ثلاثة وسبعين ومائة عمل بين قصيدة ومقطوعة، عدد أبياتها يزيد عن ستة وخمسين وستمائة وألفي بيت، أما الرسائل فقد أحصيت منها ستاً وعشرين رسالة تبلغ في مجملها مائة وتسعة عشر سطراً.

ويمكن حصر المؤلفات الباقية فيما يلي:

1 ـ ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي ﷺ وهي القصائد العشرينية التي ألفها الفازازي في حاضرة قرطبة سنة أربعة وستمائة، ورواها عنه الحافظ يوسف بن مسدي المهلبي في شهر شعبان سنة أربع وعشرين وستمائة، وحدث بها في المسجد الحرام في هذا العام، وحدث بها آخرون في الاسكندرية وغيرها.

---

(1) مجموع ليدن ن ص 139.

(2) ابن الابار في التكملة 585/2 وفي المقتضب 133 والرعيني في البرنامج 102 وابن الخطيب في الإحاطة 522/3 والتنبكتي في النيل 240.

(3) غرباء الصلة الملحق بالذيل والتكملة 542/8.

(4) نفح الطيب 468/4.

وقد خمسها الشيخ أبو بكر بن مهيب، وذاع هذا التخميس في جنوب الصحراء الكبرى وبخاصة في غرب أفريقيا، وشاهدت الناس يقرأونه في عيد المولد النبوي في المدن المالية بعامة وفي مدينة تنبكتو بخاصة، وأكثر ما يقرأونه من ذلك مخطوطات تحتوي العشرينات وتخميسها، كما شاهدت بعض مخطوطاته في مدينة غدامس الليبية.

وقد أدت زيادة طلب الديوان إلى تكرار نشره في طبعات غير محققة في مصر ونيجيريا وبيروت، ولهذه العشرينيات تخميس آخر لمجهول في الموصل[1] برقم 17, 99، قال بروكمان: (ولأن هذا الكتاب كثير التداول في السودان لصقت بصاحبه أسطورة أنه رسول الإسلام هناك)[2]، وقد وجدت العشرينيات من يشرحها فكان من أشهر شروحها (النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية) للشيخ محمد بن مسنة البرنوي، واختصر هذا الشرح الشيخ محمد بن غبريم الداغري في (النوافح العطرية) ولأبي العباس التنبكتي والد أحمد بابا شرح عليها سماه (شرح تخصيصات المعشرات الفازازية)[3].

2 ـ القصائد العشريات: وهي قصائد متساوية مرتبة على حروف المعجم الأندلسي يشتمل كل منها على عشرة أبيات، يبدأ البيت منها بالحرف الذي يقوم عليه رويها، وأولها:

أجدّت بك الأيام والنفس تهرأ كأنك من خطب المنون مبرأ

وهذه المعشرات مخمسة كالعشرينيات، غير أن موضوع العشرينيات هو المدائح النبوية، أما المعشرات ففي الزهد والمواعظ، وقد شرحت عباراتها المجازية وفُسِّرَت ألفاظها اللغوية من قبل الشيخ محمد الزهري الغمراوي، إذ الملاحظ أن بناءها الأسلوبي يتميز بجزالة الألفاظ وغرابتها، فقدرَصَّعَها المؤلف كما قال الشيخ الغمراوي (بغرائب اللغة العربية والأساليب العجيبة المجازية، فأضحت روض فضل لكنَّ بابه مقفل ومخزن درر، لكن عزَّ من

---

(1) مخطوطات الموصل لداود الحلبي، بغداد 1927 م.

(2) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 132/5.

(3) شجرة النور الزكية 286.

لِمدخلِهِ يتوصل)[1].

3 ـ محتويات مجموع ليدن، وهو الذي نقدمه في هذا السّفر وسيأتي الحديث عنه.

4 ـ قصائد الشوق والغرام: ورد ذكرها في تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان[2] وحدد مكان وجود نسخة منها في فهرست الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية ج 2 - 4 سنة 1926 - 1934 م. وقد أرسلت في طلب هذه النسخة ثم علمت أنها لم تعد في مكانها من المكتبة المذكورة.

5 ـ الخطب التي كتبها لابن الحجام الواعظ، وقد جمعها ابن الحجام في كتاب كبير سماه (حجة الحافظين ومحجة الواعظين) قال المراكشي و (معظم ما أودعه فيه من كلام أبي زيد الفازازي) ثم اختصره أبو زكرياء بن طفيل في كتاب سماه (أنوار مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار)[3].

وإلى جانب هذه الخطب كتب الفازازي لابن الحجام أشعاراً تفتتح بها المجالس[4] وما أسماه بمجالس وعظ حيث ينقل محمد بن عبد الملك من لفظ الفازازي قوله: (كنت بحضرة مراكش أصنع مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس الناس الواعظ أبو عبد الله (. . . يعني ابن الحجام. .) في يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع. . وكان يأتي منزلي فأكتبها له وكان يرغب إليّ أن أرفع صوتي عند الكتابة لأسمعه فما رأيت أسرع حفظاً منه)[5].

والفرق بين هذه المجالس وسابقتها في موعد إلقائها الذي يكون في الأولى يوم الجمعة، وفي الأخرى يوما الاثنين والخميس، وربما كان الفرق في طبيعة المادة المكتوبة شعراً ونثراً، وفي موضوعها أيضاً.

6 ـ وقد وردت الإشارة في برنامج الرعيني إلى معشراته الحبية

---

(1) مقدمة القصائد العشريات ص 2.

(2) تاريخ الأدب العربي (النسخة المترجمة، 132/5).

(3) راجع ما تقدم في الذيل والتكملة 267/8 وبرنامج الرعيني 102.

(4) ورد منها في هذا المجموع إحدى عشرة قصيدة.

(5) الذيل والتكملة 266/8.

والزهدية[1]، وهما مختلفتان في الموضوع كما عبر عن ذلك المؤلف نفسه في ترجمة المجموعتين المثبتة في الإحاطة[2]، وأظن أن المعشرات الحبية هي التي تقدمت الإشارة إليها باسم قصائد الشوق والغرام[3]، أما المعشرات الزهدية فقد سبقت الإشارة إليها باسم القصائد العشريات.

7 ـ الطرر التي ردَّ بها على المكلاتي، لم يذكر الرعيني الذي أشار إلى هذا الرد طبيعته[4]، غير أن المكلاتي من المهرة في علم الكلام وأصول الفقه والفازازي مشارك فيهما، فيحتمل أن تكون المعارضة في أحدهما.

8 ـ مادة التحقيق وجادة الطريق.

ذكره الرعيني في أثناء سرده لما قرأه عن الفازازي[5].

9 ـ خطاباته عن الأمراء والولاة، وفي هذا السفر منها قدر محدود أفرد له جامعه القسم الثالث بكامله، ولكن مدة كتابته قد دامت فترة طويلة لا يمكن أن يمثل هذا القسم سوى نموذج منها.

وفي مخطوطات مكتبة الأسكوريال خطاب من تلك الخطابات باسم أبي العلاء إلى الشيخ أبي عمران بن أبي حفص[6].

وأورد المراكشي خطاباً عن أبي العلاء إلى الشيخ أبي العباس المري[7] كما أثبت ابن الخطيب في إحاطته خطاباً آخر عن أبي العلاء إلى أخيه أبي موسى صاحب مالقة، ونقل عن علي بن موسى قوله: (وقعت في رسائل الكاتب الجليل شيخ الكتاب أبي زيد الفازازي، على رسائل في حق أبي محمد اليربطول، ومنه إليه)[8] وهذا القول كفيل بإعطاء صورة ضخمة عن

---

(1) برنامج الرعيني 102.

(2) الاحاطة 519/3.

(3) انظر رقم 5 في هذا المسرد.

(4) برنامج الرعيني 102. والمكلاتي هو يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي الأحدب الفاسي دخل الأندلس مرتين فعظم صيته فيها (الذيل والتكملة 432/8).

(5) المصدر السابق 102.

(6) فهرس مخطوطات الاسكريال ثاني 538 رقم 6 والملحق ص 177.

(7) الذيل والتكملة 55/1 - 57.

(8) الاحاطة 458/3.

مجموع هذه الرسائل.

10 ـ رسائله الاخوانية خصص جامع السّفر الذي بين أيدينا جانباً منه للرسائل الأخوانية،والمعتقد أنه جانب محدود كسابقة،لا يمثل سوى نموذج من تلك الرسائل،أو كما عبر الجامع في مقدمته بقوله: «وله رضي الله عنه من فوائد القصائد في ضروب الفوائد،وشذور المنثور في الإعجاز والصدور جملة وافرة غير الذي أثبتُّ تشذ عن الحصر ويعترف لها بإحراز الإعجاز نبهاء العصر،وإنما دللت على نيّر صباحها بغلس واكتفيت ضرورة عن نفحات أزهارها بنفس)[1].

وفي بعض المصادر التي وصلتنا رسائل غير ما في المجموع منها رسالتان كتبهما إلى أبي القاسم صاحب العطاء الجزيل نقلتهما ضمن ما جمعته في الملاحق[2].

11 ـ المنظومات الشعرية المتناثرة في المصادر، وقد جمعت منها ما تمكنت من جمعه في ملاحق هذا السفر.

12 ـ ورد في رسالة منه إلى البلوى وصحبه ما يفيد أنه شارك في نظم الموشحات، يقول الفازازي: (فأما ما عرّض به السادة ـ أعلى الله أقدارهم ـ من بعث الموشحة التي قصدت بها الشكر لا الذكر فكيف وقد أكسبتني رؤية الفضلاء العقلاء)[3].

---

(1) مقدمة المؤلف ص 36.

(2) العطاء الجزيل مخطوطة بالخزانة الحسنية تحت رقم 6148 ص 8.

(3) العطاء الجزيل ص 10.

التعريف بالمخطوطة

تـركز تحقيق هـذه المخطوطـة على نسخة وحيـدة في العـالم حسب مـا توصل إليه اجتهادي المتواضع في تتبع مظان وجود آثار الفازازي المخطوطـة، وهي من محتويات مكتبة ليدن بهولندا ضمن مجمـوع يحمل رقم (479) ويقـع في (117) ورقـة، أما مجمـوع أوراق آثار الفـازازي في هذه المخـطوطة فيبلغ خمساً وخمسين ورقة مكتوبة على الجـانبين، وقد رمـز للجانب الأول من كـل منها بالحرف (أ) وللجانب الثاني بالحرف (ب).

ويصـل حجم الإطار الخـارجي للورقة المصـورة 19 ,29 وحجم الإطـار المكتوب من 14,5 , 20 أما المـادة الشعريـة فتضيق عن ذلك بحسب اختـلاف طول تفعيلاتها، وتتراوح المسطرة بين 22 و 23 سطراً.

والمخطوطة مجهولة الناسخ وتاريخ النسخ، غير أنهـا بخط أندلسي وفي حـالة جيـدة، قليلة التصحيفات، وذات عنـاوين مميزة بخط غليظ، وقـد بدت على أوراقها محاولتان لترقيمها من قبل بعض الدارسين أو المكتبيين الغربيين.

ولئن تمتعت المخطوطة في عمومها بـالحالـة الجيدة فـإن بها بيـاضاً في بعض السطور وبخاصة في صفحتها الأولى وطمساً يدل على نقص واضـح في الأوراق التالية: 33 أو 48 ب و 49 أ، ولا يوجد في خاتمها ما يشعر بـانتهائهـا،

بـل انتقـال مفـاجىء إلى مخـطوط آخـر لا صلة لـه بمـا قبله في الشكـل والمـوضوع، ولأهميـة المخطوطـة في التعريف بـالفـازازي وتـراثـه وعصـره، ولوضوحها بالقدر الكافي في الغالب الكثير رأيت العمل عليها رغم الصعوبات التي تقابل الباحث المحقق عادة عند اعتماده على مخطوطة وحيدة.

ولقـد سعيت لتعويض النقص المتـرتب على انعـدام نسخـة أخـرى من المخطوطة بجمع كلّ ما تيسر من نتاج الأديب مخطوطاً أو مـطبوعـاً من مصادره الأندلسية والمغربية والمشرقية، وذلك بغرض مقابلة نص المخطوطة بما يمكن أن يساعد على إضاءتها من جهة، وبقصد إكمال جمع تـراث الرجـل من جهة أخرى.

عنوان المخطوطة ونسبتها إلى الفازازي

لم يضع جامع هذه المخطوطة عنواناً رئيسـاً لها واقتصـر على القول في مقدمتها (فإني أودعت هذا الجزء جملة ما وقـع إليَّ من كلام شيخنـا. . . أبي زيـد عبد الـرحمن بن يخلفتن بن أحمـد الفـازازي)[1] وقـد سمـاه بـروكلمـان بالأعمال المنظومة والمنثورة[2].

ومما يؤكد نسبة كامل المخطوطة إلى المؤلف تكرار الإشـارة إلى اسمه، والعثور فيها على نصوص منسوبـة في غيرهـا إلى الفازازي، فضـلاً عن اتحاد الخط والأسلوب والنسق في كلّ أجزائها.

وقـد تبين من المقـدمـة أن واضعهـا أحـد تـلاميـذ الفـازازي واحتمـل بروكلمان أن يكون أبا بكـر ابن سيد النـاس، ولكنه لم يـأت على ذلك بـدليل يسند احتماله، على أن للفازازي تلاميذ آخرين اشتهر بعضهم بالتقييد والتأليف والضبط، وكان منهم من يقرأ مرويات شيخه عليه مثلما فعل الـرعيني[3] ولابن الحجام كتاب في الوعظ سماه (حجة الحافظين) معظم ما أودعه فيـه من كلام الفازازي[4] وقد أملى عليه أديبنا (مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس

---

(1) المقدمة ص 34.

(2) تاريخ الأدب العربي 131/5.

(3) برنامج الرعيني 102.

(4) الذيل والتكملة 267/8.

الناس) وكان ابن الحجام يحفظها في حين إملائها[1].

وروي عن الفازازي فيمن روى يوسف بن مسدي المهلبي ديوان الوسائل المتقبلة، وحدّث به في المسجد الحرام سنة 624، وروى ابن التونسي عن أحد طلاب الفازازي في الإسكندرية[2]، وأخذ عن مترجمنا ابنه أبو عبد الله، وأبو عبد الله الطراز الغرناطي[3] وأبو يحيى سليمان بن حوط الله وغيرهم وهم كثر. فهل يمكن وسط هذا الجمع من تلاميذه أن نخص ابن سيد الناس دون دليل؟

والذي أرجحه أن كاتب هذا المجموع هو أبو عمرو سالم بن صالح الهمداني المالقي أحد تلاميذ الفازازي المشهورين بالضبط والتقييد[4] قال ابن عبد الملك: (وهو كان مثير أدباء مالقة في عصره إلى ما يصدر عنهم من نظم أو نثر في أحوال تطرأ وأغراض تنشأ، فيقيدها عنهم وينشر بها محاسنهم عُنيَ بذلك كثيراً)[5] وقال في موضع آخر: (وكان مولعاً بانتساخ الكتب الصغار والكراريس)[6] وقد علمنا من حياة الفازازي أنه أقام فترة في مالقة، ومن المخطوطة أنها كتبت بطلب من أبي علي الحسن بن محمد بن هاشم العبدري المالقي، والمعروف أن الفازازي صحب تلميذه أبا عمرو في مالقة، فلا بد أن يكون أولى من يحرص على جمع تراثه من الأدباء. لا بل ثبت يقيناً أنه دون رسالته إلى أبي العباس التميمي، : قال ابن عبد الملك (ونقلتها من خط المقيد الضابط أبي عمرو سالم راويها عن منشئها أيضاً وعليها خط الكاتب أبي زيد المذكور)[7].

والجدير بالذكر أن ناسخ المجموع قد كتبه في حياة الفازازي ناقلاً بعضه من خطه ومعتمداً على ضبطه، أما باقيه فقد نقله ممن نقله عنه، قال في

---

(1) المصدر نفسه ص 266.

(2) رحلة ابن شهيد 13/3 - 14.

(3) الذيل والتكملة 210/6.

(4) الذيل والتكملة 3/4 وبرنامج الرعيني 105. والمغرب 433/1.

(5) الذيل والتكملة 6/4.

(6) المصدر نفسه 5/4.

(7) الذيل والتكملة 57/1.

المقدمة: (وهذا الذي أثبت هنا من كلامه ورائق نظامه منه ما نقلت من خطه واعتمدت فيه على ضبطه وسائره ملتقط من عند من نقله مفتقر إلى أن يتصفحه ـ رضي الله عنه ـ ويتأمله).

منهج العمل

وقد اقتضى العمل في المخطوطة خطوات ضرورية لإخراجها في أقرب صورة للكمال، كان أولها النسخ والمراجعة والضبط، ثم مقابلة ما توفر من نصوص في المصادر الأخرى مع الأصل.

وقد اقتضت التصويبات وضع ما لم يرد في النص بين معكوفين ليعلم أنها مضافة إليه مع الإشارة إلى مصدرها في الحاشية.

أما الحواشي والهوامش فقد جاءت عند اللزوم شارحة لما غمض من الألفاظ أو معرِّفة بالأعلام أو ما إلى ذلك من أغراضها المتعارف عليها، على أن المراعى فيها دائماً عدم إثقال النص بالاستطرادات ذات الصلة الضعيفة بصميم البحث.

المصطلحات والرموز

[ ]	ـ معكوفات لاحتواء ما يضاف إلى النص مما يتم المعنى.
(. . . . .)	ـ نقاط للإشارة إلى ما نقص في الأصل وترك موضعه بياضاً.
الأصل	ـ يراد به مجموع ليدن.
× × ×	ـ للفصل بين القطع المتلاصقة في الأصل.
ت	ـ المتوفي.
هـ	ـ للهجرة.
ح	ـ حاشية.
(أ)	ـ وجه المخطوطة
(ب)	ـ ظهرها.

آثار الفازازي..

مع تحيات إخوانكم في الله
ملتقى أهل الحديث
ahlalhdeeth.com
خزانة التراث العربي
khizana.co.nr
خزانة المذهب الحنبلي
hanabila.blogspot.com
خزانة المذهب المالكي
malikiaa.blogspot.com
خزانة المخطوط العربي والإسلامي
makhtotat.blogspot.com
عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث
akidatuna.blogspot.com
القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة
kawlhassan.blogspot.com

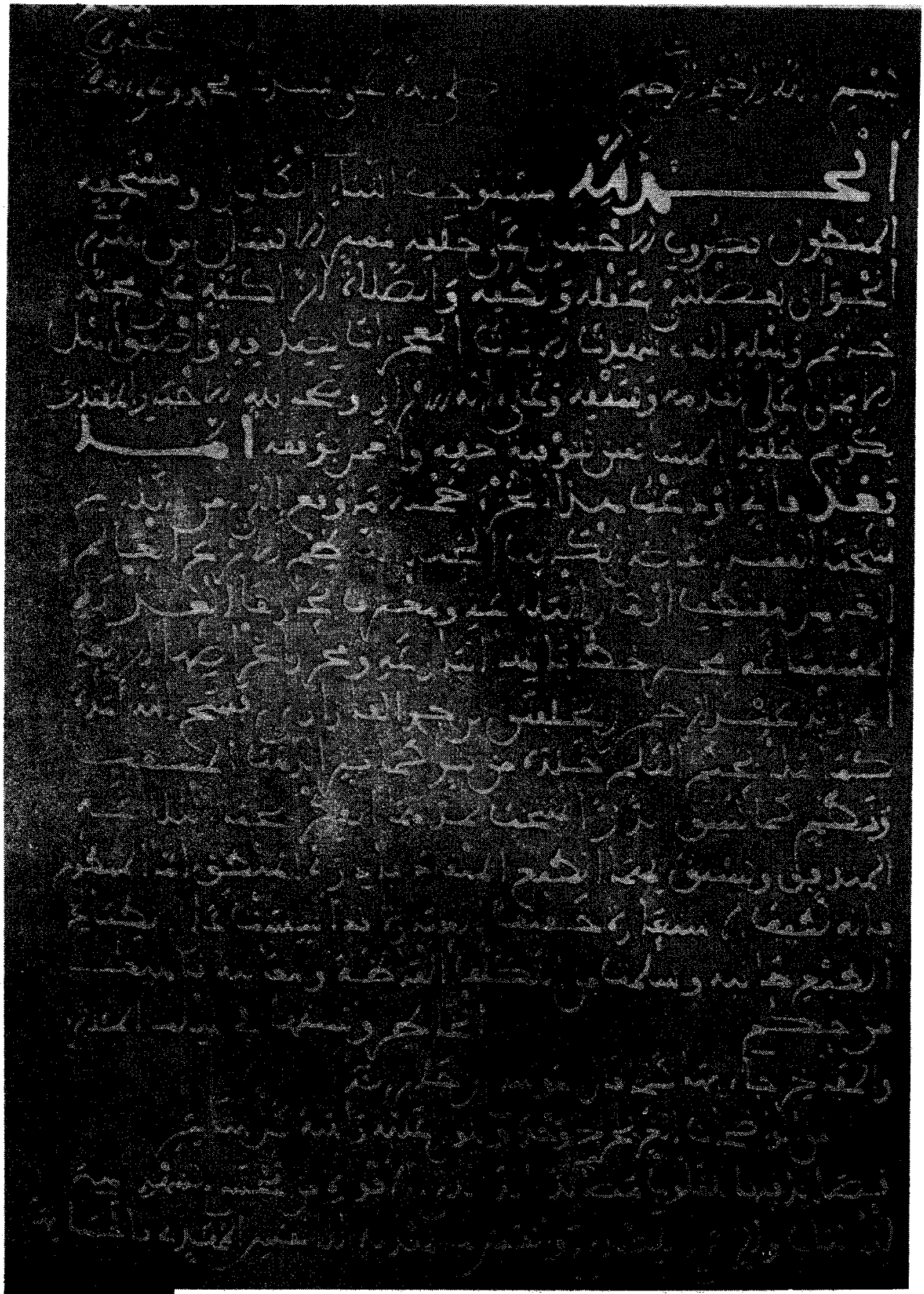

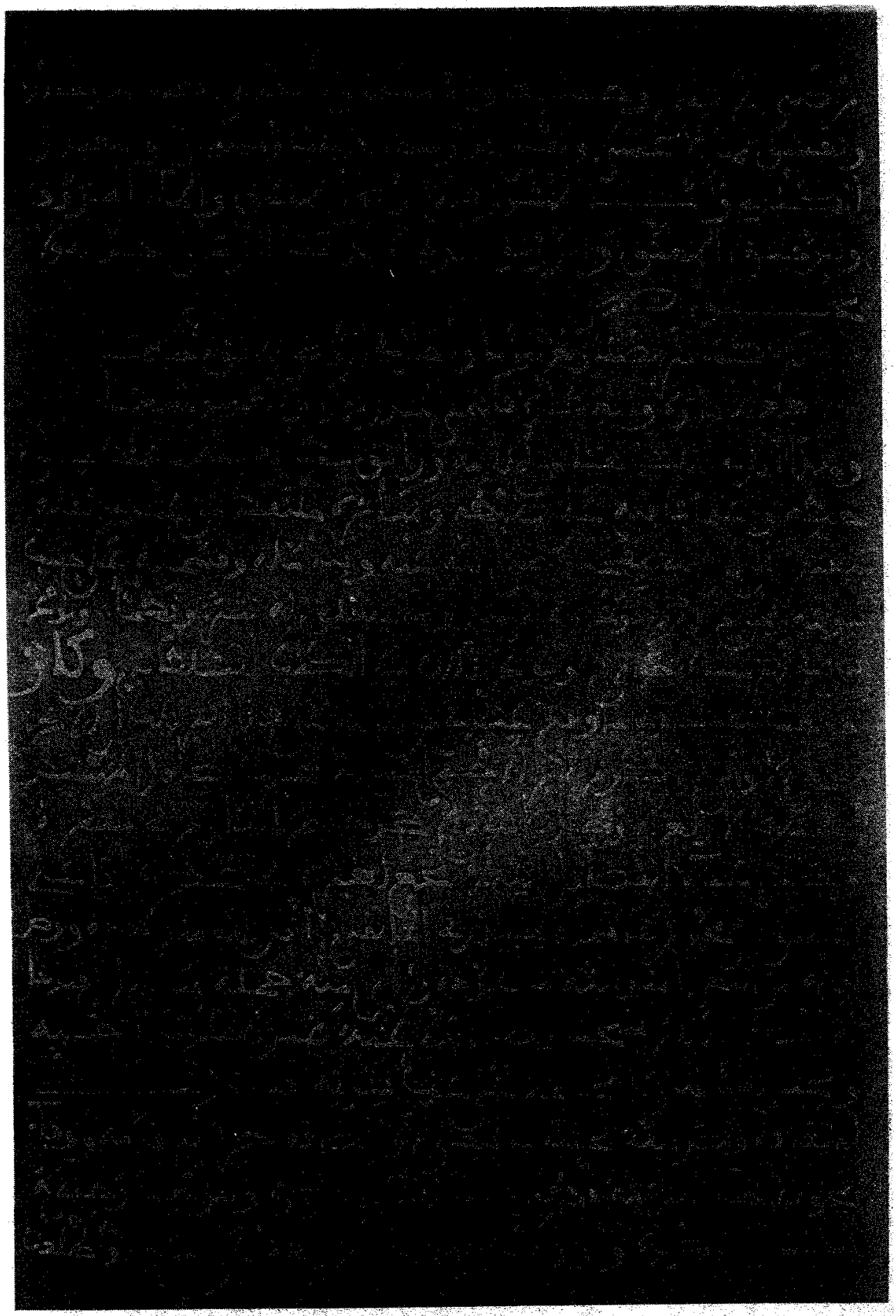

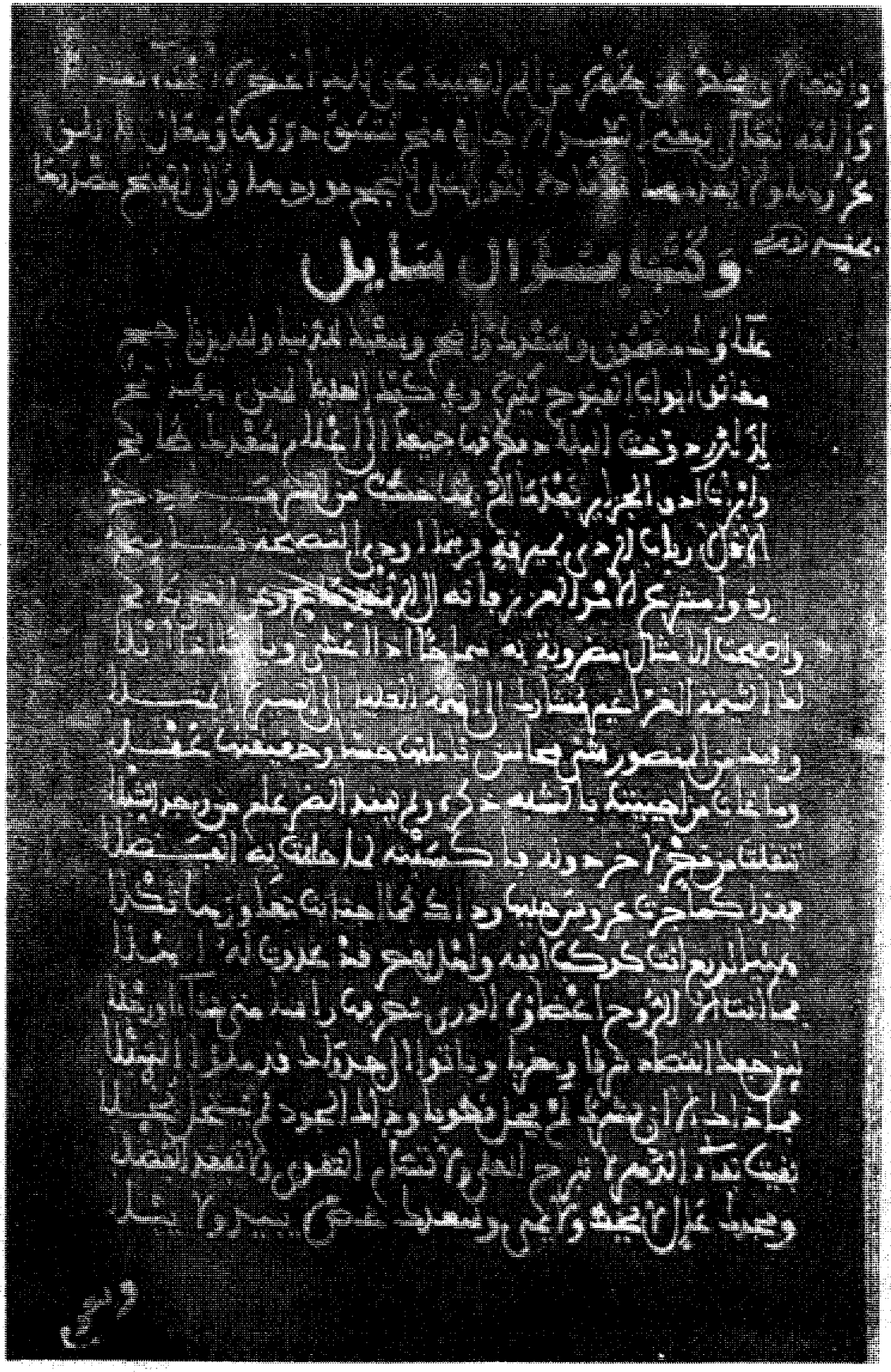

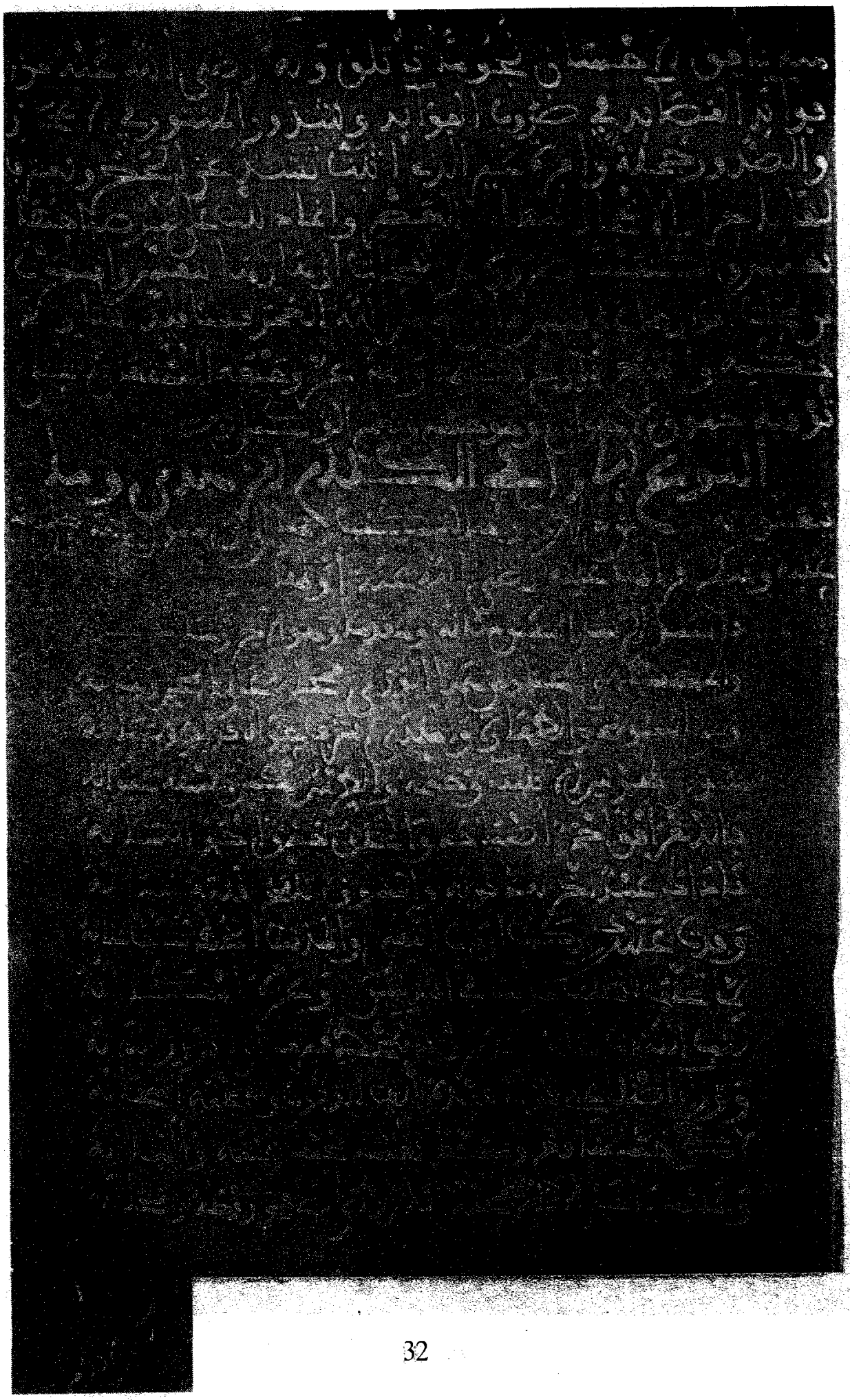

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الحمد لله مستوجب الثناء الكامل ومستحقّه، المتطول بضروب الإحسان على خلقه، مميز الإنسان من سائر الحيوان بفضيلتي عقله ونطقه، والصلاة الزاكية على محمد خاتم رسله الذي شهدت الآيات المعجزات بصدقه وأصفق[1] أهل الإيمان على تقدّمه وسبقه وعلى آله الأبرار وصحابته الأخيار المقتدين بكريم خلقه، المسابقين لتوفية حقّه والعمل بوفقه.

أما بعد، فإني أودعت هذا الجزء جملة ما وقع إليّ من كلام شيخنا الفقيه الفاضل الكاتب المجيد؛ الناظم، الأروع، العالم، العامل، مقتطف أزهار البلاغة، ومغترف بحارها العذبة المستساغة، محبّر خطاباتها البارعة، ومحرر أغراضها الرائعة: أبي زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي ـ فسح الله أمده[2]، كما ملأ بحكم الكلم خلده، من نثر كما نثر الذهب المنتهب، ونظم كما نظم الدر المنتخب، يمدها الفكر بحيا البلاغة المتدفق، ويسبق بهما الطبع المنقاد بادرة المنطق. أما المنظوم فإنه لطيف الاستعارة، خفيف العبارة، قد أسّست على انطباع الطبع مجانيه وسلمت من

---

(1) اصطفقوا: أطبقوا واتفقوا (القاموس).

(2) هذا دليل على كتابة هذا السفر في حياة المؤلف.

التكلّف ألفاظه ومعانيه، ناهيك من حكم (. . . . .) [1] الخاطر ونسقها في سلك المآثر والمفاخر، جاء بها كما قال موسى بن جابر:

من الواضحات الغر يخرج وحده ... ويلوي عليه رأسه كلّ شاعـ[2]
قصائد فيها للقلوب مصائد ... ألذّ لدى الأفواه من مجتنى الشهد
هي (. . .) للألباب والريّ للصدى ... وأنفس ما يهديه للأنفس المهدي
بإحسانها يرضى الرضيّ وحسنها ... ويستنشق الصابي صباها ويستهدي
ويعشى لها الأعشى ويعنى بدرسها ... حبيب ومهيار ومعبد والكندي

وأما المنثور فالروض المنسق، والماء المروّق، والرحيق المعتق، والرونق الذي لا يذهبُ الزمانُ جدَّتَهُ ولا يخلق:

نثر كما نثر الصّبا زهر الربا ... وأجال في الروض الأنيق نسيما
جمع الإنارة والعطارة فانتمى ... للبدر نوراً والعبير شميما

وهذا الذي أثبتّ هنا من كلامه ورائق نظامه منه ما نقلت من خطه واعتمدت فيه على ضبطه، وسائره ملتقط من عند من نقله مفتقر إلى أن يتصفَّحه ـ رضي الله عنه ـ ويتأمله [3].

وقسّمته على حسب تنوعه، فمن ذلك نوع فيه الزهد وما يتعلق به نثراً ونظماً، ونوع ثان في الترسيل الأخواني، ونوع ثالث في الكتب السلطاني.

وكان الموجب لتقييد ما وقع عندي من كلامه على هذا الترتيب أن الأخ الولي الأوقى الأكرم الأبر الأحفى الفقيه المحدث الحامل المسند الحسيب الأرفع الأحد، الأسني، الأمجد، حاتم المكارم في مصره، وحامل أعباء الفضائل التي لم تجمع لغيره في عصره، أبا علي الحسن بن محمد بن هاشم العبدري المالقي أثّل الله سؤدده، ووصل إليه من النعم المتوالية ما عوّده، رأى

---

(1) فراغ قدر كلمتين لعل معناهما: «أحكم نسجها».

(2) موسى بن جابر بن أرقم الحنفي شاعر مخضرم من اليمامة (ورد ذكره وبعض شعره في معجم الشعراء للمرزباني 285 وخزانة البغدادي 301/1: والأمدي 165 وشرح المرزوقي 326 والتبريزي في مواضع مختلفة والأعلام للزركلي 269/8.

(3) وهذا دليل آخر على حياة الفازازي عند جمع أعماله هذه.

منـه جملة سألني أن أقيِّـدها لـه، إذ كـلّ كـلام شيخنـا رضي الله عنـه ـ يُميـل القلوب إلى حبّه ويحيل الأذهان الحائمة على عذب شرحه، فبادرت إسعافـه، وَصل الله تحلِّيهُ بالمعالي واتّصافه، جزاءً لبرٍّ قدَّمه، ووفاء بحق الأخاء التـزمه، فطرزت ما أثبت بذكره ومزجت رحيقه بسلسال شكره. وأوردت جميع ذلك هنا على نسق، وأطلعت منه بأفق الإحسان نجوماً تتألق، ولـه ـ رضي الله عنه ـ من فوائد القصـائد في ضـروب الفوائـد، وشذور المنثـور في الإعجاز والصـدور، جملة فوائد غيـر الذي أثبت تشـذُّ عن الحصر، ويعتـرف لها بـإحراز الإعجـاز نبهاء العصر.

وإنمـا دللت على نيّـر صبـاحهـا بغلس، واكتفيت ضـرورة عن نفحـات أزهارها بنفس، واقتصرت من لمحات أنوارها على قبس، فـإن نفّس الله العمر فسأقيد شارد حكمه، وأتتبع بارع كلمـه، والله عزّ وجهـه المستعان على تـوفية حقوق الإخوان، وهو حسبي ونعم الوكيل.

النوع الأول

في الكلام الزهدي وما يتعلق به

ـ من ذلك رسالة كتب بها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ قرأتها عليه ـ رضي الله عنه ـ أولها:

يـا سيّـد الـرُّسـل المكينَ مكـانُـه ... ومـقـدّم وهـو الأخـيـرُ زمـانُـهُ
والمصطفى المختار من هـذا الورى ... فـمحلُّه عـالي الـمحـلِّ وشـأنـهُ
ومـن النُّبُـوةِ والـطهـارة والهـدى ... شـرفٌ حـواه فـؤادُهُ ولـسـانُـهُ
عنـوانُ طِـرسِ الأنـبياءِ وخَتْـمُـهُ ... والـطرس يُكْمِلُ حُسْنَـهُ عنـوانُـهُ
فـالـدهـرُ أفقٌ أحمـد أصبـاحـه ... والـخلق جَـفْـنٌ أحـمـد انسـانـه
نـاداك عـبـدٌ أَخَّـرتْـهُ ذنـوبُـهُ ... والـشـوق تـلفـح قـلبـه نـيـرانـه
وَفَـدَتْ عليك ركـابُ أربـابِ التُّقى ... والمـذنبُ الـخـطّاء كُفَّ عـنـانـه
لـمّـا تخلف لـلتـخلّف مـذنبـا ... في المـذنبـين وعـزّه أمكـانـه
كَـتَبَ الـكتـابَ لـعلَّه إن لـم يَـزُرْ ... بـاللَّحْظِ قَبْـرَكَ أن يـزور بـنـانُـه
ووراء أضـلاعـي فـؤاد قـيـدُهُ ... إلفُ الـذنـوب وسجنـه أشجـانـه
لـكـن حـبّـك شـافـع ومـشـفـع ... يـغشي محبّـك يـمنـه وأمـانـه
وعـلـيـك يـا خيـر الأنـام تـحيـة ... كـالـروض صـافـح روحـه ريحـانـه
مـمـن يـزورك خـطّه وكـلامـه ... إذ لـم يـزرك لـذنبـه جثـمـانـه

(1) القصيدة في أزهار الرياض 31/4.

السلام الكريم العميم، والرحمة التي لا تبرح ولا تريم، والبركة التي أولها الصلاة وآخرها التسليم، على حضرة الرسالة العامة الدعوة، والنبوة المؤيدة بالعصمة والأيد والقوة، ومثابة البر والتقوى.

فهي لقلوب الطيّبين صفا ومروة، مقام سرّ العالمين طرا وهاديهم عبداً وحراً، ومنقذهم من أشراك الهلاك، وقد طال ما ألفوا العيش ضنكاً والدَّهر مرّاً، ومقرُّ الأنوار المحمدية، والبركات السرمدية، متّع الله الإسلام والمسلمين بحراسة أضوائها، وكلأة ظلالها العلية وأفيائها، وأقرَّ عين عبدها بلثم ثراها، والانخراط في سلك من يراها.

السلام عليك يا محمد، السَّلام عليك يا أحمد، السَّلام عليك يا أبا القاسم، سلام من يمدُّ إليك يد الغريق، ويرجو الإنقاذ ببركتك من نكد الضيق، ويتقطَّع أسفاً ويتنفس صعداً كلَّما ازدلف إليك فريق، وعجزت نحوك طريق، ولا يفتر صلاة عليك له لسان، ولا يجفّ ريق.

كتبته يا رسول الله وقد رحل المجدّون وأقمت، واستقام المستعدون وما استقمت، وبيني وبين لثم ثراك النبوي، ولمح سناك المحمدي مفاوز لا يفوز بقطعها إلا من طهّر دنس ثوبه بماء توبه، وستر وصم عيبه بطهر غيبه، فكلّما رمت المتاب رددت، وكلّما يممت الباب صددت[1].

وقد أمرنا الله تعالى بالمجيء إليك، والوفادة عليك، ومن لي بذلك يا رسول الله، والآثام تثني وتبعد، والأيام لا تدني ولا تسعد، وبين جنبيّ أشواق لا يزال يهزّني منها المقيم المقعد. ولئن كنت ممن خلَّفته عيوبه وأوبقته ذنوبه، ولم يرض للوفادة وهو مدنّس على ذلك المقام وهو المطهَّر المقدَّس، فعندي من صدق محبّتك، وحبّ صحبتك والاعتلاق بذمّتك ما يقدِّمني ـ وإن كنت مبطئاً، ويدنيني وإن لم أزل مخطئاً.

فأشفع لي يا رسول الله في زيارتك، فهي أفضل المنى وتوسّل لي إلى مولى بين فضيلتك وتقبّل وسيلتك في النقلة إلى هناك من هنا، واقبلني وإن كنت زا (. . . .)[2] واقبل عليَّ وإن أصبحت إلى الإثم متجانفاً، فأنت عماد

(1) في الأصل: وأما.

(2) في الأصل: لا. ولعل الكلمة هي (زائفا).

أمَّتك جميعاً وأشتاتاً، وشفيعهم أحياء وأمواتاً.

ومن نأت به الدَّار، وقعدت بعزمه الأقدار، ثم زار خطُّه ولفظه فقد عظم نصيبه وحظُّه، وإن لم أكن سابقاً فعسى أن أكون مصلياً، ولم أعدّ مقبلاً فلعلي لا أعدُّ مولياً..

ووحقك، وهو الحقّ الأكيد، والقسم الذي يبلغ به المقسم ما يريد، ما وُخدت إليك ركابٌ إلاَّ وللقلب أثرها التهاب، وللدّمع بعدها سح وانسكاب، ويا ليتني ممن يزورك معها ولو على الوجنتين، ويحيّيك بين ركبها ولو بالمقلتين.

(وما) الغنى دونك (إلا) بوس وإقلال، ولا الدنيا ولو طالت وعرضت إلاَّ سجون وأغلال، والله تعالى يمنُّ على كتابي بالوصول والقبول، وعلَّ بلحاقه ببركتك ولو بعد طول. ثم السلام ورحمة الله ـ تعالى ـ وبركاته عليك يا سيد الخلق، وأقربهم من الحقّ، وأولاهم بإحراز قصب السّبق، ومن طهّر الله مثواه وقدسه وبناه على التّقوى والرضوان وأسّسه، وآتاه من كلّ فضل نبوي أعلاه وأسناه وأنفسه.

وعلى ضجيعيك السابقين لمهاجريك وأنصارك، الفائزين بصحبتك العليّة وجوارك، وعلى أهل بيتك المطهرين أوائل وأواخر، المشهرين مناقب ومفاخر، وصحابتك الذين عزّروك ووقّروك وآووك ونصروك وقدَّموك على الأنفس والأهل والأموال، وآثروك.

وأقرؤك سلاماً تنال بركته من مضي من أمتك، وغبر، ويخص بفضل الله تعالى وجاهك من كتب وسطر ـ إن شاء الله تعالى ـ وكتب[1] عبدك المستمسك بعروتك الوثقى اللائذ بحرمك الأمنع الأوقى، المتأخر جسماً المتقدم نطقاً عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي ـ عفا الله عنه ـ.

والسلام عليك يا رسول الله، ﷺ تسليماً كثيراً.

---

(1) كذا: والمقام يقتضي كلمة (كتبه).

وكتب إلى بعض المشهورين بالعلم والدين

رأيت بني الدنيا يؤمل نفعهم ... على بخل أيد واختلال مكاسبِ
وأجدر بالتأميل في كل معضل ... بنو الدين والراجون حسن العواقب
هم القوم لا ينفعك راجي نوالهم ... لدى طلّ أدواح وطلّ سحائب
غيوث جدوب أو شموس معارف ... هضاب حلوم أو نجوم غياهب
وإنّ بأكناف المرية منهم ... لفدُّ السجايا والحلى والمناقب
بقيةُ من في الكتب ديناً وسنة ... فشاهِدُهُ قد ناب عن كلِّ غائب
تكسَّب من علمي كتابٍ وسنةٍ ... كريم المساعي في سديد المذاهب
ولم يبتدعْ في الدين بدعة غيرِهِ ... ولا شدَّ عن بادٍ من الحق لا حب
وما قلتُ إلاّ بالذي قد أفادني ... تواتر نقلٍ من ثقاتِ الأصاحب
ولولا اتّقاءُ المدح أطنبتُ مثنياً ... على فضلِهِ قيلُ امرىء غير كاذب
إذا كان مدحُ المتقين فضيلةً ... فمدح أبي إسحاق آكد واجب
تشوقتُ فيه فاستنبت صحيفتي ... وربَّ كتاب نائب عن مُكاتِب

السّلام على إمام المعارف العارف، وغمام العوارف الواكف، وشيخ الطريقة المثلى، والأحق بالحقيقة والأولى، المقتفي لسنن السنن، والمنتفي من خُدَع البدع، والغيث المنهمل على أوام[1] المتّبعين، والسيف المنسل على هام المبتدعين، أبقاه الله وحجته قاطعة ومحبته علماً وعملاً ناصعة، والنفوس الصدية بتذكيره مجلاة، والأنفاس العاطلة بتبصيرة محلاة.

كتب العارف بمقداره، الشيّق[2] لأجله إلى حيرته وداره، المشتمل على تعظيمه وإيثاره، المجتهد في اقتفاء سننه واتباع آثاره، العازم على زيارته ـ إن شاء الله تعالى ـ متبرّكاً، الحريص على مجاورته ـ بحول الله تعالى ـ متلافياً لعمره الضائع مستدركاً، فلان.

وحمد الله واجب التقديم في كل أمر مهم، وأمام كلِّ مبتدأ تحب أن يتم، وشوقي إلى سيدي وأستاذي وملجئي في الاقتداء وملاذي، لا يزال زنده

---

(1) الأوام: العطش أو حرّه.
(2) الشيّق: المشتاق.

يقدح، وورقه أثناء الضلوع تصدح، ولو كانت مخاطبتي إياه بحسب حبي، وعلى مقتضى محلّه الأثير في قلبي لكانت المهجةُ طرساً، والمقلة نفساً، ولأصبحت الأنفاس كلاماً والجوارح أقلاماً.

فقدرُكَ أيها الأستاذ غير خافٍ على من مُنح توفيقاً، ورزق قلباً مفيقاً، نفع الله برؤاك السالكين، ونبَّه بآرائك التاركين، بمنه..

والأخ فلان عبَّدَ الله له الطريق على يديك، وسنّى له أسباب الإقامة... لديك؛ قطعة يصلحها علاجك، وفائدة (....)[1] لها استدراجك، وبه رغبة في السلوك، والطرق شتى، وأمل قوي في الاقتداء بك إن أمكن وتأتى، وهو متردد بين همّة ترقيه إلى الدَّرجة العليا، وحالة تحرّكه الحين بعد الحين لطلب الدنيا، ومن كَثُرَتْ عِلَلُهُ وأثّرت غلله فليس له إلاَّ طبيب يتعهده ببلال، ويعيد عليه ما فقد من ابلال[2].

وقد أمّك[3] والنجح يقدمه، والتوفيق يقدمه، وزاده حبّه ومركوبه قدمه، فإذا وصل بمشيئة الله تعالى ومعونته، ورزق منك قبولاً وإليك وصولاً، فقد أودعته مقصدي من الإلمام بتلك النّاحية والاعتذار بالأعذار التي هي غير خافية، وما أحوجني إلى الطبّ والداء قد تمكن. وأولاني بالإقلاع والفرض قد تعيّن، وأحقني بالاستبصار وقد وضح الصبح لذي عينيين وتبيّن. لعل الله تعالى ييسر لي ولهذا الصاحب حالاً يسرّ خدمته، وتكسب حكمته، حتى نكون (4 ـ ب) أحد حسناته المشهورة، وبعض قرباته المدونة المسطورة، فما ذلك على الله بعزيز.

والله تعالى يبقيه لغريق يأخذ بيده، ومائل يقيم من أوده، ولا يعدمه من التوابين المتطهرين من زيادة في عَدده وعُدده بمنه:

خذها إليك أبا إسحاق عن عجل ... عنوان ودٍّ كريم الخُبر والخَبر
صحيفة صدرت والشَّوق يحفزها ... والقلب يتبعها والجسم بالأثر

---

(1) بياض في الأصل ولعل تمام الكلمة (يطالها).
(2) بلّ وأبلّ من مرضه: نجا.
(3) أمّك: قصدك.

أمّت فنـاءك تستسقيـك من ظمـأ أضنى الفؤاد وتستشفيـك من (ضمر)
وفي لقـائـك بـرٌّ عـاجـل ورؤى إن كـان في الغيب إنسـاء من العمـر
من أخـطأ السَّمت والظلمـاء عـاكفـة لم يهـد مـقلتـه إلاَّ سـنى الـقمـر

وكتب لشيخنا الزّاهد أبي بكر بن قسوم(*)

ـــــــــــ (وقرأته عليه) . . . .

السـلام الكريم العميم ورحمـة الله وبركـاته على من اعتقـد حبّه قـربة، ورأى لقاء الأهل دونه غربة، وأودّه ذاتاً وجيرة وتربة، أخي في الله تعالى الشيخ الفقيه الفاضل المبارك الموفق، وكنت أزيد لولا أنه لا يريد.

أمـا بعد. . يـا سيدي أراك الله أملك، وختم بـالخيـرات عملك، فـإني كتبتـه وحـالي في نفسي وبيني وأهلي صـالحـة ـ والحمـد لله رب العـالمين كثيراً ـ ومن نكد الـدنيا فـرقة أمثـالك، والبين عن المنتحلين لانتحـالك، فـالله تعالى يعلم أني أحبّ تلك الطريقة السنيّة وإن لم أسلكها، وأكره هـذه الحالـة الدنية وإن لم أتركها، وإن التوبة لمنوية، وإن الثقة بلطف الله ـ تعالى ـ لقوية.

ومـا أقـدر الله أن يقبـل عثـاري، ويفـكّ من ربقـة المعـاصي إسـاري، وينقلني من سموم الأعراض إلى نسيم الإقبال، ويفرغني للنـظر فيما لا بـد منه من وشيك الانتقال، ويلطّف لي فيما امتحنت به من ضعـائف أيامي، وأصـاغر أطيفالي، حتى يعاودني روح من الخير كنت تنسمته، ويـراجعني روح من البرّ كنت توسمته، ثم ركد ذلك وقد كاد (5 ـ أ) أن يمطر، وصوّح هـذا وقد قـارب أن يزهر، والعبد بحكمة القدر محكوم، وإلى مضمة القصر مضموم، ولو أني ملكت يدي ونفسي، وصرّفت بـاختياري عقلي وحسي، لمـا نقلت قد مـا فيما يعقب ندما، ولا قضيت وطراً مما يركب خطرا.

وعلى ذلك فلا يأس من روح الله، ولا مفر إلاَّ إلى الله، فأعنّي يا أخي، أعـانك الله على الخيـر، ووقّاك الحـاجة إلى الغيـر، بـذكـرى متى تنبَّهت من غفوة، وتلهَّفت لهفوة، وأمـدني بدعـوة يخلصها القلب الحـاضر، وثلث الليـل الآخر.

(*) أبو بكر بن قسوم شاعر زاهد قصر شعره على الزهد (انظره في الذيـل والتكملة 43/6، وبرنـامج الرعيني 92 والتكملة 354).

ولا تجعل دعاءك بيضة العقر[1]، ولتكن حاجتي منك على ذكر، فالغريق لا يستغني عن أخذ بيده وإن كان سابحاً، والمذنب لا يستبد دون مستغفر لذنبه ولو عاد صالحاً. وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «المرء كثير بأخيه»[2] ومن كان بمثلك كثيراً زاحم بعود[3]، واستسقى وابل مطر جود، وانتظر النجاح لطلبه، والصلاح من قلبه ـ إن شاء الله تعالى ـ .

وقد وصل فلان وأدى ما حمّلتموه من قول حسن، وترجية تلقاها قلبي بسماع وأذن، فجزاكم الله في ذلك القول، وجزاه في هذا النقل جزاء لا تعدمون بركته محيا ومماتا، ولا تفقدون يمنه جميعاً وأشتاتاً، بمنّه وكرمه. .

وكتب للزاهد أبي عمران بن أبي عمران(*)

السّلام الكريم العميم، والرّحمة التي لا تبرح ولا تريم، والبركات المتصلة الإلمام، الدائمة التخيم على حضرة البنية الصالحة، والحتم[4] الموجود فيه معنى الفاتحة، قطب المجاهدين وعلم المشاهدين، والخير الجامع علماً وعملاً بين الزّهد في الدنيا والرغبة في الدين، نفّس الله للمسلمين عمره، ونفعهم به، إذ لم يبق لهم غيره.

كتاب ملتزم الفرض من تعظيمه، ومغتنم الحظ من وصاته وتعليمه، المعدّ فخراً للأخرى ببركتي دعائه وتسليمه، محبه لله عزّ وجل: فلان.

وهو يحمد إليه الله سبحانه على نعمه التي يكثّ[5] عددها ولا يقطع (بشير) الشكر أبداً أمدها، وإنّ من أجلّها بعد الإسلام، ذكرى بالجميل بذلكم

---

(1) بيضة العقر: يقال إن الديك يبيضها مرة واحدة ثم لا يعود.

(2) ورد الحديث في كشف الخفاء للعجلوني طبعة دار إحياء التراث ط 3 ,202/2، وقد رواه الديلمي والقضاعي عن أنس مرفوعاً ورواه العسكري عن سهل بن سعد مرفوعاً.

(3) جاء في مجمع الأمثال 320/1 (زاحم بعود أودع) أي لا تستعن إلاّ بأهل السن والتجربة.

(4) الحتم: الخالص.

(5) كث: كثر، وأكثر استعماله في الشعر، فلعل الناسخ أراد أن يكتب (يكثر) فسها عن إتمام كتابة الراء.

(*) أبو عمران موسى بن عمران المارتلي، وصفه ابن الأبار بأنه منقطع النظير في الورع والزهد (التكملة 687 والمغرب 406/1 والذيل والتكملة 243/6 والرعيني 95).

المقام، على هفوات عندي وهنوات، وتضييع شهور جمة وسنوات، وقلة اكتراث لكل ماض وعدم إعداد لكل آت، فسبحان من أظهر يسير الجميل، وستر كثير القبيح، وخصني من اعتقاد ذلكم الجنان الظَّاهر، وذكر ذلكم اللّسان الشاكر بالبحر الربيح.

وجزاكم الله عنّي، أيها العلم الأهدى، والقدوة علماً وزهداً، والخلف المحمود صدراً ووروداً جزاء من أحسن لنفسه ولغيره وناط بالخير الأخروي همة قصده وسيره، ونفعني بالباعث على محبتكم والرغبة في المثول بحضرتكم.

ويعلم الله ـ سبحانه ـ وهو أعظم الشّاهدين، وأكرم المشاهدين أني أوثر الأندلس كلها وأحبّها وأحبّ من حلّها إجلالاً لكم ولأمثالكم، ورغبة في الاقتداء بعلومكم وأعمالكم، أما واللّقاء لم يُقض وإبرام العزيمة لا يعدم النقض، فإني أتوسّل إليكم بالله عزّ وجلّ في أن تفردوا لي منكم سَحَراً[1] تجردون فيه النية وتخلصون الطّوية، وتقصرون الرغبة على تيسير أسباب المتاب، فقد تعددت عليَّ وعدمت لديّ.

فكلما أبرمت أمراً انحل، وكلما أضمرت عقداً اختل، وهذه حالتي قد شرحتها، وحاجتي على بناء تلكم الحضرة قد أرحتها، وأرجو أن يرزقني الله من سيدي قبولاً فيسعف، ويعين بدعائه الصالح هذا المذنب المتحلف ـ إن شاء الله تعالى ـ.

فقد نفد عمره لهواً ولعباً، وقطع دهره دعوى وكذباً، والله ـ جلَّ وعلا ـ لا يقبل المتبهرج، ولا يستعمل إلاَّ المتحرج وأنا منتظر تبدُّل هذا الاختلال على يديكم، وناظر بعين الاضطرار فيه إليكم.

فاجعلوني يا سيدي ـ من بعض حسناتكم، وأعدّوا معونتي في جملة إعداداتكم، والله تعالى ينفعكم، وينفع بكم، ويجزيكم أفضل الجزاء عن سننكم القويم ومذهبكم، بمنه وعزته.

* * *

(1) السحر: قبيل الصبح، وهو من الأوقات التي يستجيب فيه الله دعاء عباده واستغفارهم.

ـ وكتب يخاطب صاحبا ويذمّ له الدّنيا وأحوالها ويصف تقلبها واختلالها ـ رضي الله عنه ـ

السّلام على فلان أكرمه الله بتقواه، وأبقاه بقاءً يرضاه، وحفظه ورعاه، ولا أعدمه على تغيّر الزّمن توفيقاً يعصم دينه وجاهاً يعضد دنياه.

كتبته ولا جديد إلا الرحمة الواسعة، والألطاف المتتابعة والحمد لله كثيراً، وودّي عبق الريّا أنيق المحيا، لم تحدث النّوى لنشره طيا، ولا انتقصت من قواه ـ والحمد لله ـ عزما[1]، وإن زمناً[2] ينبىء أمثالك ـ ويعدم أمثالك ـ لجدير بأن يطول عتابه وينتظر أقلاعه ومتابه، فأنت السّري الفعال الكريم العمّ والخال، المخصوص بخلق الخمر ممزوجة بماء زلال.

وإنك لَمَنْ يُتعد[3] بمعرفته، ويعدم المتصف بصفته، ويوثق بنزاهته وأنفته، وإن حللت محلاً لا يحل الأحرار، ولا يرعى فيهم الآل ولا الجوار، فأنت كالمسك إن قُصد كتمه ذاع شمّه، لا بل كالسيف إن حواه غمده خرق حده.

والحق عال وأن نوى حطّه، والطرس حال وإن ستر خطه، والزمن وإن كانت عادته إخمال أهل الكمال، وقسم حظوظهم الواجب لها اليمين بالشمال، فربما خرق العادة، وتدارك ما ضيع بالإعادة.

والقاضي فلان ممّن يصدق نظره، ويظفر بالأمل منتظره، وإن راب منه أول فسيحمد آخر، وإن عقل له سمع فسيكلأ ناظر، فهو حر وابن أحرار، وقد خبرته فحيّي هلا بذلك الاختبار، ولن يضيق صدرك المتّسع عما كنت ذكرته لك من الأعذار، فالحاكم ممتحن بإسعاف فل وفلان، مرتهن، والقلوب ـ كما تعلم ـ دخن كلّها واحن، أسأل الله تعالى (6 ب) صلاح ذات البين والمعونة على إصلاح الجانبين.

فالدنيا أنذر من أن يقود العقولَ خطامُهَا، أو يروق العيونَ حُطامُهَا،

---

(1) عزما: كذا ولعلها: (شيّا)، كما يقتضي المعنى والسجع.

(2) ينبىء: يباعد ويجافي.

(3) كذا ولعلها: يعتد.

فتقلّبها طبعيّ، والمرء فيها إما ناع أو منعي، والحال هذه فالتزاحم عليها غيّ أو عي، ولست أعنيك، ولا أشير إلى ألفاظك ومعانيك، فاخفض قليلاً من جناحك، واصبر على ما أعهده، من رفقك وسماحك، فكأن قد وقع الفراق بموت أو نوى، وغادر المرء أو غودر (. . . .)[1] حراً الفقيه أبو فلان جاب وجال ودخل الأمصار ولقي الرجال، وقيد الإسناد خطا وحفظاً والإرسال، وأفنى عمره بين فَعَلَ رسول الله - ﷺ - أو قال.

وبالأمس كنّا دائرين بمركزه، مسلمين لميزه وتميزه، فها هو قد أضحى رهين اللّحد، كأبي الزند، صريعاً لصفيحة الردى على صفحة الخدّ، كأن لم يعمر جسمه الرّوح، ولا كان في طلب العلم يغدو ويروح.

والله - تعالى - يغمده برضاه، وينفعه بالعلم فقد[2] رواه، ويجعلنا ممن اعتبروا ننظر فكأن الموت قد أتاه، وإن داراً مآلها الممات، وغاية جمعها الشّتات لأهل أن تترك دميمة ويُزهَدَ فيها فلا قدر لها ولا قيمة.

وقد وُعِظنا لو نتعظ، واختلفت بيننا سهام المنية ونحن لا نحتفظ، وإنّا لله على قلوب عميت بصائرها، وخبثت سرائرها، ووقف على الدُّنيا الدنية سمعها وناظرها.

أسأل الله - تعالى - صلاحاً عاجلاً، وتوفيقاً لا يغادر حقه في الظاهر والباطن باطلاً، فهو على ذلك قدير، والمولى الذي لم يعدم مع لطفه تسهيل وتيسير، وإليه سبحانه أضرع أن يعلي كعبك، ويسوء شانئك، ويسرّ محبّك، ولا زلت محروس المكان، مجزيّاً بما أنت عليه من الديانة والأمانة.

* * *

وكتب للشيخ الفقيه أبي عبد الله ركن الدين(*) - رحمه الله -

الفقيه العالم الأوحد، علاّمة العلماء، وقدوة الأتقياء، والعضب الذي

(1) فراغ قدر كلمتين.

(2) فقد: كذا ولعلها: (الذي).

(*) ركن الدين: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الملقب بركن الدين، قال ابن الزبير «كان من المتقدمين في علم الكلام» (ترجمته في الذيل والتكملة 364/6 و 504/8 والتكملة رقم 868 وبرنامج الرعيني ص 73).

(7 أ) لا يعارض حدّه شيء من الأشياء أبو فلان ركن الدين وقطب الموحدين، والشّجي المعترض في صدور الملحدين، حرس الله مهجته وأعلى حجته ونهج إلى دار السلام بذبّه عن الإسلام محجّته.

كتب معظم مقداره، الحريص على الاقتداء بآثاره، المقدم لزيارته لولا تأخير اعتذاره فلان.

ولا جديد إلاَّ فضل الله ـ تعالى ـ السابغ، ومنّه السائغ، والحمد لله كثيراً، وأنا على ما يتعيّن من إجلالكم مقيم، وتشيّعي فيكم حديث وقديم، وتقديمي لكم تقديم من لم يدله على سواكم سبر وتقسيم.

وكنت أخذت عن طلبة تونس ـ جبرها الله ـ مناقبكم تقليداً، وأودعتها خلدي صوناً لها وتخليداً، وأضمرت لها الرحلة إليكم وإن كان المزار بعيداً، فلم تزل السّنون تنقرض، والقواطع تعترض، والحاجة إلى مشافهتكم في الغوامض العقلية والشرعية تستنهض، إلى أن بان الآن أن الزمن غير موات. وأنّ بنيه حاشاكم أحياء كأموات، وصحّ أن منتحلي العلوم أدعياء، وأنهم لم يكتسبوا من حلى العلماء إلاَّ الأسماء، فاستخرت الله ـ تعالى ـ أن أوجه إلى حضرتكم التي هي حضرة المعارف، ومقر العلم التالد والطارف، مسائل طال ما صافحت بها الفحول، وذاكرت من يحسن فيما يقول أن يقول، فكلهم يروّعه مجتلاها، ويود أن غيره تولاها.

وربما سُطّرت فيها أوراق، وكان في الجواب عنها خلاف ووفاق، ومع ذلك فلم أعثر على بارقة صواب، ولا ظفرت بنكتة أرتضيتها في جواب، والإبداع[1] منكم ينادي هلمّ هلم، إلى كم تستنطق الصم، وتودع الوهاد وتدع الشماريخ الشّم، هاك روض البلاغة مزهراً، وورد البراعة متفجراً.

فقلتُ بلسان الحال: ليس قدرك بخاف، ولا تأخيرك لانكفاف، بل أردت أن يجتمع النّور والظّلماء، وبضدّها تتبيّن الأشياء، وقد قدّمت (7 ب) الوسائل وأخّرت الرسائل، لتَرِدَ على محلّ خابل، وتحظى بورد بحر ماله من

---

(1) في الأصل: (ولا يداع)، والإبداع: استخراج الشيء وإحداثه.

ساحل، وقد اتفق أرباب الحلّ والعقد، وجهابذة الخبرة والنّقد، على أنكم مفتاح مقفلها، وإيضاح مغفلها.

وأنا منتظر من جوابكم وتحقيقكم الحال من الصواب بأشرف المواضع، ما يقرّب لي به البُعْد، ولا أشكو معه مشكلاً من بَعد، ـ إن شاء الله تعالى ـ .

وهو يبقيكم للعلم تَقْبِسُون نوره، والحق تحمون إعجازه وصدوره، ولا يعدمكم مسترشداً تمدون قصوره، ومسترفداً تتولّون أموره، بمنّه، وله الفضل في الإغضاء عن خلل يمرّ به في هذا المكتوب، أو عيب يراه منه في معنى أو أسلوب، فإني كتبته والمحلّ بالفكر معمور، ودون المرتضى من الكلام خطوب وأمور، والمحتمل له في الحفز والانحفاز معذور.

* * *

ـ وكتب للأستاذ العالم أبي محمد القرطبي* ـ رحمه الله ـ

السّلام على الشيخ الفقيه، العالم الحافظ الأوحد، قدوة أهل السّنة، وعلم علومها المفتنة، والذاب عن حماها من مفهوم أفكاره ورسوم أسطاره، بأمضى من الظّبات[1] وأنفذ من الأسنّة، أبقاه الله وبحر علمه زاخر وأوصافه كلّها معال ومفاخر.

كتب معظّمه (. . . . .)[2] ومقدّمهُ لمكانه من التّبصير والتّفهيم الشّيق إلى (. . . .)[3] شوق الروض الماحل إلى وكف الغمام وهبوب النّسيم، الملقى إليه يد التّسليم بضرورتي السّبر والتّقسيم فلان.

والحال صالحة والحمد لله كثيراً، والذي يتعيَّن لحقكم من الإجلال، ولذكركم من الاطناب والاحتفال أنا أقْوَمُ الناس به، وأشدّهم مثابرة عليه، معتقداً أن ذلك عمل صالح، ومتجر ـ إن شاء الله تعالى ـ رابح.

---

(1) واحد الظبات الظبّة وهي حد السيف وتجمع أيضاً على أظب وظبا.

(2) بياض قدر كلمتين تنتهي أخرهما حسب اقتضاء السجعة.

(3) بياض في الأصل طمس كلمة وحرفاً، وقد استعنت في إتمام الحرف بمقتضى السياق، ولعل معنى الكلمة المحذوفة (شخصه أو علمه).

(*) لعله أبو محمد بن علي القرطبي المحدث والمقرىء المذكور في برنامج الرعيني ص 141.

ويشهد الله تعالى ـ وكفى به شهيداً ـ أنّ لقاءكم أحلى مقترحاتي، وأجلى ملتمحاتي، ولولا أن البحر مركوب جموح، (8 أ) وطرف[1] سرجه لوح وعنانه (لوح) لسعيت نحوكم ولو على الوجنة ولجعلت وفادتي عليكم قرعاً لباب من أبواب الجنّة، ولِمَ لا؟ وأنتم للعلوم الشّرعية عَلَم، وركنٌ بأفواه الخواطر وأنامل الضمائر مقبّل مستلم، وحلقتكم لا ينافرها إلاّ مغموص[2] عليه في دينه وعقده[3] متّهم..

وقد سارت الرّكبان بما أنتم عليه من المنابذة لكلّ أعوج الطّريقة، منكّب عن أنوار الحقيقة، وذلك مما يوجب لكم مزيد الشّفوف والتّبريز، ويقيمكم في الزّمن المبهرج مقام الذهب الإبريز، ومن كانت له عند الله تعالى حاجة تهمّه، وطُلْبَةٌ يكثر بها همّه، فما أجدره بأن يجعل دعاءكم مفتاحاً لغلقها، وبريداً لطرقها، فلا وسيلة أنجح من عالم عامل، مشار إليه من شتى بلاد بشتّى أنامل.

ولي عند الله حوائج يمنعني من سؤالها (.....)[4] الذي لا تمتدّ معه الكفّ، وأنا أرغب إليكم رغبة (.....)[5] وأتعلّق بكم تَعلّق غريق ببرّ، في أن تذكروني أعقاب الصّلوات وأوقات الخلوات، وتسألوا لي الأقلاع عن موبق الهفوات، فقد غمر المشيب، ولم يصلح القلب المعيب، وأنّى الحضور وما بيدي إلاّ المغيب، والله سبحانه يمنّ بفتح الباب، وتعجيل المتاب، ولا يكلنا إلى أنفسنا في سبب من الأسباب.

ولمّا توجّه متحمّلها حمّلته أمانة السّلام، واستنبته بحكم الضرورة في استلام ذلكم المقام، فإن أسعفت الأيام بمرامي فاللّقاء أمامي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

أبقاكم الله في نعم وافية، وعصم كافية، ولا أخلاكم في أمور دينكم ودنياكم من سلامة وعافية.

---

(1) الطرف: الكريم من الخيل.

(2) مغموص عليه: مطعون في دينه.

(3) العقد: العهد والضمان.

(4) بياض قدر كلمتين.

(5) بياض قدر كلمة.

وكتب رضي الله عنه مراجعاً بعض الأصحاب ومتشكّياً خلال مراجعته التسويف بالمتاب:

وهي رسالة جمعت نثراً ونظماً وأطلعت في أفق البيان للإجادة نجماً أولها:

أصفيتك الود مضطراً ومختارا ... ولم أخاطبك إجلالاً وإكباراً
وصنت سمعك عن قول أجشّمه ... وهو الدُّجى أن يعير الشمس أنواراً
وقلت: أيّ كلام أرتضيه له ... وهو المقدَّم ترسيلاً وأشعاراً
يخفي الأصيل أصيلاً من رويته ... لذاك يظهر بالأسحار أسحارا
ويقذف القولَ معدومٌ معارضُه ومن ... يساجل طامي(الموج)[1] (إبحاراً)[2]
قد عاف عُون[3] المعاني وهي معرضةٌ ... له فسيّرها في الناس أبكاراً
سار[4] بها العيس مرّ الطير مسرعة ... حتى حسبت لها الأكوار أوكارا
يأتيك عفواً بما تُعيي رويّته[5] ... عبد الحميد ويكسو العين بشّارا
ولو جعلتُ كلامي روضةً أُنفاً ... وصُغْتُ أحرف خطّي فيه أزهارا
وهَبْهُ يقضي على العورات يسترها ... فضلاً ففي الناس من لا يكتم العارا
وَهَبْهُ كان أدام الله بهجته ... حُرًّا فليس جميع الناس أحرارا
تكفيه مني موالاة مخلَّصَةٌ ... من الشّوائب إعلاناً وإسراراً
وأنني لا أرى في الناس كلّهم ... خلاّ يوازيه أخلاقاً وأقدارا
وأن إيثاره للخير يفعله ... لم يبق للناس في دعواه آثارا
وإنني قبل مرآه وخبرته ... وبعدها كمضيم[6] أدرك الثارا
وقد أتاني كتاب منه حمّله ... كتائب اللّوم إيراداً وإصدارا

---

(1) في الأصل: ألوج، ولا وجه له.
(2) بياض في الأصل والكلمة يقضيها سياق المعنى.
(3) العون جمع للبقرة التي نتجت بعد بطنها البكر، وقد قابلها في الشطر الثاني بالأبكار.
(4) سار (كذا): ولعلها سارت.
(5) الرويّة: التفكر في الأمر (الصحاح).
(6) المضيم والمستضام: بمعنى واحد أي المظلوم

فقمت ألثم أثار الرسول به ... وقلت أهلاً وسهلاً كيفما زارا
واستمطر الشوق لما فضّ خاتمه ... مدامعاً صرن للأسطار أسطارا
ولم أُمُرَّ بحرف منه أقرأُهُ ... إلا تأخرتُ إنصافاً وإقرارا
وصُنْتُهُ بعدما وفّيتُ واجبَهُ ... بالسَّمع أُوسعُهُ حِفْظاً وتكرارا
وكنت أُخفيهِ في جفني وفي خَلَدِي ... لكنْ خشيتُ عليه الماءَ والنارا

أبُوحُ السلام وأعطره، وأتمّه نوراً وأنضره، على السيّد الذي لا أزال أتذكره وأوثره، وأشكره وأكبره، والفاضل الذي طاب خبره ومخبره، وسما في قنّة[1] المجد حيث لا يُقتفى أثره.

كتبته، كتبني الله وإيّاك ممّن أسعد مماته ومحياه، ولم يَرْجُ لمهمات دينه ودنياه إلا إيَّاه، وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، على نعمه وعصمه، وأعوّل في صلاح حالي على فضله وكرمه، فإنّي سليم إلاَّ من العيوب، ومقلع إلاَّ عن الذّنوب، راكب من هوى نفسي شرّ مركوب، انتصر على التمني والتّسويف، وأعلّق توبتي بالأمل الضّعيف، وللمنية كل يوم سهم صائب، والدّنيا مكاره كلّها ومصائب:

حال يَقِلُّ لمثلها ... حلَّ العقابُ بأهلها
ومصيبة عظمت عليَّ ... فما أقوم بثقلها
لهفي لأيامي التي ... من غفلة لم أخلها
مرّت وما حلّت لدي ... دقيقة في حلّها
لم أستفق في بعضها[3] ... حتى أصبت بكلّها
لهفي على النّفس التي ... لا ترعوي عن جهلها
تلهو وقوس الموت تختـ ... ـرم النفوس بنبلها
وكأنها قد ألحقت ... بمن انقضى من قبلها
يا أيّها الخلّ المنادى ... مثله في مثلها

---

(1) القنة: الجبل وهي هنا المنفرد المستطيل في السماء.
(2) كذا: ولعلها: يقال.
(3) في الأصل: بغضها.

أسعد أخاك بدعوة تسقى ثراه بوبلها
فعليه من نسج الذّنوب مدارعٌ لم يبلها
والله يشهد أنني في حيرة من أجلها

أستغفر الله من قول لا يصدّقه الفعل، وأسأله أن يفعل بي ما هو له أهل، فما حقّ مثلي أن يتحلى بهذا المقال، وهو مخالف له بالحال، لكن أنا مصدور (9 ب) وفي طول التّفجع معذور، وقد فُقد الشباب، وليس إلّا العار والعاب:

وأتتني الأربعون وما نقلتُ عن زلة قدما
كلّما جدّدت عدّتها جدّدت لي عدتي ألما
كنت أرجو أن أوافيها قاطناً من توبة جرما
مصغياً للنُّصح أسمعه أذنا قد أوقرت صمما
فأبتْ نفسٌ قد اتّخذت خصمها من جهلها حكما
تركبُ الآثام دائبة ثم لا تستشعر النَّدما
يقظات كلُّها حُلُمٌ ووجود يشبه العَدما
لو رأيت الذنب منصرما لم أعدَّ العمر منصرما
خالفتْ نفسي وقد علمتْ وجنى قلبي وقد علما
وعلى هذا فلي أملٌ يرقبُ الإحسانَ والكرما

وأما ما أجده لبينك، أيُّها الأخ الأوحد والوليُّ الذي آثاره الكريمة لا تُجحد، فأمر أمر[1]، وخطب مالي على تحمله صبر، أشهد الله تعالى، وهو خير الشاهدين، وأعلى المطّلعين والمشاهدين إذ أعدُّكَ أولَ الخلصان، وأربأ بالكمال خلالك عن النُّقصان، وأتمنّى قربك في جملة ما أتمناه، وأعجب من حسن لفظك وصدق معـ(ـناه)[2] وأقطع أني لم أر في أبناء الرئاسة وذوي النفاسة أشدُّ منك انجذاباً إلى الخير، ولا أكثر كبراً عن الكبر.

تميل بطبعك السرّي إلى الفقراء، وتنبذ النابذين لهم وإن عزّوا بالعراء،

---

(1) ـ أمر الأمر: اشتد.
(2) ما بين القوسين زيادة عن الأصل.

وتجود بمجالستك[1] ذكر الصلحاء الرفعاء، وترغب لصلاحك في صلاح الفقراء، وتحسن الظَّنَّ حتى بالمخلطين وتتواضع حتى للغالطين المغلِّطين.

ها أنت تحلِّيني بالزُّهد والفضل، وتنسبني إلى سداد القول والفعل، وتخاطبني مخاطبة من نبذ الدُّنيا وانتبذ، وهجر أهلها فما أعطى ولا أخذ، حسَّنت الظنَّ بكتب صففتها وأقوال في ذمّ الدُّنيا بلسان السَّهو صرفتها، (10 ـ أ) والباطن بالمهلكات مشحون، والأخلاق كلُّها دون، والموانع من الخوض في كثير من الدنيا عجز وهون، والله ما كتمتك[2] حرفاً من حالي وانتحالي، وأما الفضل فكيف وأنى لي:

بيني وبين الفضل كلُّ تَنُوفَةٍ ... للذّنب لم تُقْطَعْ بصدق إنابة
ومهالكٍ لاجنة تلفي بها ... وثقت بغير إصابتي فأصابتِ
ولقد علمت بأنني مستهدف ... حتى أبدّل حالتي وعصابتي

أنشدك الله أيرمى قولي هذا بإزراء، وأنسب فيه إلى تملّق وطراء، كلاّ وحقِّك بل اختصرت، وأشرت وما فسَّرت، أفألام أن أنجذب إليك بالكليّة، وأولي على تقديمك كلَّ آلية وأقول (. . . .)[3] (قال: حسودك فيها من يسودك):

قل لمن يحسدكم ... يضرب فيه أصدريه
أبصرتْ عيناهُ ما ... كذّبَه عن أذنيه
ورأى أوسطَ مجدٍ ... قد نبا عن طرفيه
قال كم ذا تفرغون ... الشّكر والذّكر عليه
قلت كلّ الشّكر منّا ... بعض آثار يديه
فله فضل علينا ... وبنا شوق إليه

وأمّا ما أجرى إليه سيّدي من المعاتبة في ترك المكاتبة، مع أنه يستعملها كثيراً، ولا يرى تأثيراً، فقد فرغت الآن من أنه سبّاق الفضائل،

---

(1) بمجالستك: كذا في الأصل، ولعلها بمجالسك.
(2) في الأصل أكتمك وهو غير مراد.
(3) بياض في الأصل قدر كلمة.

وهذه إحدى الدلائل.

صدق ـ أعزّه الله ـ فيما قال، وهو أولى من أغضى وأقال، أما والله، ما تركت ذلك إخلالاً له بقدر، ولا لأنه ليس متردداً بين لسان وصدر، ولكن لم أعلم له على الحقيقة مكاناً، ولا وجدت لواجب مخاطبته إمكاناً، فأما الآن وقد علمت المستقر، وتيقنت أنه استقر، فسأوردها عليه ـ إن شاء الله تعالى، رياضاً تزهر بذكره، وتقتصر على شكره، وأخصّه ولا فخر بكلّ مخترع الكلام (10 ب) (و) بكره، ولم لا ونظمي ونثري مسترق من نظمه ونثره؟ هذه الكتب الأنيقة بمرأى مني ومسمع، وألفاظه البديعة مصروف إليها حفظي أجمع، صيّرتني محسناً وقد كنت مسيئاً، وتركتني سابقاً وما زلت بطيئاً:

فالآن أحسن إن نثرتُ ... وإن نظمت على البديهه
وأحوك كلّ قصيدة ... عذراء تكبر عن شبيهه
أنطقتها ملء اللّسان ... وطال ما كانت فهيهه
ما إن تحاذر حيث سارت ... ناقداً إلاَّ العضيهه[1]
آثار ما أودعتَهُ الـ ... ـكتب الموجّهة الوجيهه

وهو أعزّه الله يصل عادة إمتاعه برقاعه، ويعفي خطي ولفظي من نقدي عيانه وسماعه، ولا يقيس ضيق فترى[2] في البلاغة على سعة باعه، ويتلقى ما أشار برسمه بيد قبوله، ويغضي عن قصر أصوله وقصور فصوله، فإنّي كتبته والمحتمل حافز، وبيني وبين الإصابة من العيّ حاجز، وقد عجزت أعجز عجزاً فأنا عاجز، جعلني الله ممن لا يريد سواه، فيما قاله أو نواه، وممن وقى درر دينه بأصداف دنياه، فعليه قصد السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل:

ولا تزل في سعود ... موصولة وجدود
ونلت قصدك ما بـ ... ـين راحة وقعود
وزرت عمّا قريب ... للأنس باب البنود

---

(1) العضهية: الكذّاب.

(2) الفتر: المسافة بين طرف الإبهام وطرف المشيرة، وقد قابل بها الباع في الجملة التالية وهو المسافة بين طرفي اليدين الممدودتين.

وقد وعدت ولا بد ... من وفاء العهود
وصان ربّك ما فيك ... من عفاف وجود

وكتب أيضاً في مثل ذلك المعنى:

حروب النّوى والقرب فيك سجال ... يدال علينا تارة وندالُ
ألم يأنِ أن تلفي لبينك غايةً ... فتُدْرَكُ آمال وتَحْسُن حال
لقد حلَّ قلبي من وصالك جنةً ... نعمتُ عليها لو يدوم وصال
ولو خفَّ شجوى لمحةً طرتُ نحوكم ... ولكنَّ أعباءَ الفراقِ ثِقَال
وإنّي وقد بنتُم لفي كفِّ حادثٍ ... قضى رمقٌ منه وضاق مجال
فحَلِّل حزني فيك وهو محرّم ... وحرِّم صبري عنك وهو حلال
إذا عَمِيتْ أنباؤكم فتنفّسي ... جوابٌ ودمعُ المقلتين سؤال
أبعدك والإيناسُ قربُك وحده ... تروقُ رياضٌ أو تَرِقُّ شمال
وأنت الَّذي قد فقت بذلاً وفطنة ... وحسب المعالي فطنة ونوال
رحلت إلى مثوى النبوَّة والهدى ... فبورك مقصود وبرّ مقال
وأدَّيت فرضَ الحجِّ حزماً ولم تكنْ ... كمن أغفلته شرَّةٌ وصيال
ومن خانَهُ في مقصدِ الخير عَقْلُهُ ... ففي رجله مما جناه عقال
إذا جال في علم العقائد خاطرٌ ... تركت يمين الخصم وهي شمال
وصرَّفْتَ فكراً يقذف الدرَّ بحرُهُ ... دراكاً وأقصى فكر غيرك آل[1]
إذا بهرتْ شمسُ الظَّهيرة ناظراً ... فليس يبالي أن يغيب هلالُ
أعدتَ دليلَ الحقِّ حسن إبانة ... فصلتَ بسيفٍ قد علاه صقال
فكلُّ كلامٍ رائقٍ ومحقق ... إليك مُمَالٌ أو عليك محال
ولا غرو أن حزتَ السِّباق ديانةً ... فللدِّين والدنيا مدىً ورجال
يُذَكِّرُنِيكَ الفضلُ مهما ذكرتُهُ ... وفي كلِّ شيء مشبه ومثال
ولم يسلنِي شيءٌ فأنساك عنده ... وإن برّ آلٌ أو توفّر مال
ولو جاز لي دعوى السُّلوِّ ادَّعيتُهُ ... عزاءً ولكنَّ السّلو محال
ففي كلِّ ودٍّ غيرِ ودِّك ريبةٌ ... وفي كلِّ خلّ ما خلاك مقال

---

(1) الآل: السَّراب.

كتبتـه، كتبني الله وإياك ممن رضي عنـه من عباده، ونـظر في الإصلاح من عمله والتّسديد من اعتقـاده، وجعل في المنتـظر من رمسه[1] ومعـاده غايـة (11 ب) تهممه وأقصى استعداده.

وأنا أحمد إليك الله سبحانـه وأشكره وأقـرُّ بفضله المكتنف لي فيما آتيـه وأذره، وأستغفره من منكر لا أزال أحضره واستحضره، وذنب لا أبـرح أرده بيد الخـذلان ولا أصدره، وإلى الله المشتكى من أوقـات ذهبت ضياعـاً، وتقلبات لم أجد مع الإنصاف فيها انتفـاعاً، وأنفـاس فنيت أو كادت، ولم أحتقب فيهـا غير موبقـات الجرائم متـاعا، ويـا لها حسـرة إن لم يتداركني المـولى سبحانـه بعفوه الواسع، ويرشدني إلى العمل الصَّالح والعلم النَّافع.

اللَّهم لا تجعلني ممن واخذته بذنبه، وطبعت بما قدَّمت يـداه على قلبه بمنّك. أما بعـد، أيُّها الأخ الـذي أنا بـإخائـه مسرور، والـولي الذي محلّه لي مكرّم مبرور، فقد خاطبتك مجملاً ومفصّلاً وكاتبتك مرويّاً ومرتجـلاً؛ فلم أقف لك على غير الكتاب المضمّن القطعة الفريدة والفقر المحسنـة المجيدة، وهـو وإن كان نسيج وحده، ومسترق أوصاف البلاغة بحدِّه، ومعبـراً عن صدق ولاء مهديه وخلوص عقده، فقد أضرب عن ذكر ما استفهمته عنـه صفحاً، ولم يبـد لي في ليل السؤال من نور الجواب صبحاً.

وزادني على الإضراب عن هذا الباب وصفي بصفات لم أستحقها، ولا رعيت منـذ وعيت حقّهـا، حتى كـأني فـوّزت ولجّجـت، ولجـجت حـتى حججت، ورافقت الأغزاز[2] والأعراب، وأعملت المراكب والرّكـاب، ووقفت بين زمزم والحطيم، ولثمت قائماً مقام إبراهيم، واقتصـرت في الألية على ربِّ هـذه البنيّـة[3]، وشهـدت ليـالي التشـريق، وعـاينت النـور النبـويّ من ثنيـة العقيق[4]، وأقررت عيني بالسّلام على سيّد الأنام، وحططت عن ظهـري بلثم تربته الكريمة أجرام الإجرام، وزرت مشاهد صحابته الكرام أعلام الإسـلام، وانثنيت عن الذنوب متجانفاً وللأعمال مستأنفاً.

---

(1) الرَّمس: القبر والدفن.

(2) الغز: شعب.

(3) يريد بالبنية الكعبة.

(4) ثنية العقيق: موضع بقرب المدينة المنورة.

فأمّا وأنا للبيت حلس[1]، وليس بيديّ من أثمان الدّين والدنيا فلس، فما أجدرني بالذّم والشين، وأحوجني إلى الخفض من اللّسان والغض من العين، أمّا تلك الأوصاف فهي عليك ردّ، ومالك من قولها بدّ، وأما أنا فإني أختم بهذه الأبيات الثلاثة على ما هي عليه من الغثاثة:

أعد نظراً في نسبة الفضل والنُّسك ... وعُدْ ليقين الذَّم عن مدحةِ الشك
ولا تنسني تلك الحُلَى فهي كلُّها ... حُلاك على ما صحَّ بالسَّير والسَّلك
وإن جمعتنا في الظواهر نسبةٌ ... تَخيلُ فإنّ القار في الهون كالمسك

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ يحضُّ على برّ الوالدين:

أَطِعْ مولاك تظفرْ بالنّجاح ... وراقبْهُ تَحُزْ قَصْبَ الفَلاحِ
ودعْ طُرْقَ الخلاف وعدِّ عنها ... إلى طرق من التّقوى فساح
وعاملْ والديكَ إذا أَسَنَّا ... بلينِ القَوْلِ أو خفض الجناح
وَوَفِّهِمَا ولَسْتَ تطيقُ برّا ... بما منحاك في كلّ المناح
هما كنفاك في لُطْفٍ وصون ... ورعْي بالغُدُوِّ وبالرّواح
وما ذَخِرَاكَ لِيناً في مقال ... ولا أَلْوَاك نُصْحاً في سماح
وما اقترحا سواك وكلُّ نفس ... تصرّفُ في اشتهاء واقتراح
وكانا يحرسانك كلَّ حين ... بكلّ الحفظ من كلّ النّواحي
وكانا يمنعانك أن تلاقي ... شعاع الشمس أو نَفَس الرّياح
وكم من ليلة وصلا دُجَاها ... أنينا من أنينك بالصَّباح
وكم سكبا لأجلك من دموع ... يوردّ هاجفون كالجراح
وكم جبرا بجاهٍ أو بمال ... خروقاً من مساعيك القباح
وكم بذلا فداءك من نحور ... ببيض الهند أو سمر الرّماح
وكم هجرا لبعدك من مهاد ... وغصَّا فيه بالماء القراح

---

(1) حلس البيت الذي لا يبرح مكانه، والأصل في الحلس: كساء يبسط في البيت تحت حر الثياب أو ما يلي ظهر البعير. ولعل هذه الإشارة إلى الفترة التي أُجبر فيها على ملازمة بيته باشبيلية إذ لا نعرف أنه أقعد لمرض أو شيخوخة.

فكيف تنالُ برَّهُمَا وأنّى ... يُنالُ الجدُّ من طُرقِ المزاح
ولكنْ حسبنا في البرِّ جِدٌّ ... وليس على مجدّ من جناح

* * *

وقال في مثل ذلك ـ أبقى الله بركته ـ :

تقرّبت إلاَّ في رضى الأم والأب ... وبرّهما في الدّين أصل التقرّب
وقدّمت أسباب العقوق وإنها ... لمثمرة في الحشر شرّ مسبب
رضى الله يُروى أنّه في رضاهما ... فأرضهما تظفرْ به أو فجنب
وقد جاء في التّأفيف ما فيه عبرة ... تدلُّ على ما فوقها فتأدَّب
ينالهما منك القبيح وطال ما ... أنا لاك ما تهوى بسهل ومرحب
وتشنأ ما تأتي به السنُّ منهما ... وبالأمس قد جاءت به منك فأعجب
وتنفق ما لا آثلاً لك [1] أصله ... وحالهما من رِفْدِهِ حالُ مجدب
وتؤثر أهواء النّساء عليهما ... وقد منحاك الودَّ في كلِّ مطلب
فكن حذراً من أن تصيبك دعوةٌ ... تدلُّ عليك السَّخط من كلِّ مذهب
فما بين أصحاب العقوق وبينه ... سوى أدمع ترفضُّ [2] للأم والأب
ودونك نصحٌ لم تشبه خديعة ... فثق بالذي قد قلته أو فجرّب
مقالك في الدارين قول مصدِّق ... وفعلك إن أنصفت فعل مكذِّب
فبادر وفي آثار عمرك فسحة ... وإلاَّ فهل ترضيك حال معذَّب
ولا تحسبن الله يهمل عبده ... ولكن له ستر على كل مذنب

وقال ـ رضي الله عنه ـ يذمُّ الخمر :

الخمر متلفةٌ لدينك فاحذر ... ودليلةٌ نحو الخنا [3] والمنكر
وهي الجحيم معجّلاً ومؤجلاً ... فاثن العنان عن الجحيم وأقصر
كم ورَّطت في عُسرةٍ من موسر ... كم ورَّطت في عطبة من مُعْسِر

---

(1) أثلا : من معانيها كثرة المال وتأصله .
(2) ترفض : ارفضاض الدموع ترششها (قاموس) .
(3) الخنا : الفحش .

مـا استـودع العقـلاءُ طيّ ضلوعهم ... شيئـاً أضـرّ من الشّـراب المسكـر
يـا من يمـدُّ إلى المـدام يـمينَـهُ ... شُلَّتْ يمينُـكَ بـائعـاً أو مـشتـرى
سِيَّـان ألقيت البنـان عـلى الطّلا ... لـلشّـرب أو ألقيتهـا في مـجمـر
نـاران إلاَّ أنّ هـذي لا تـرى إلاّ ... بـمقـلة مبـصـر مـستـبـصـر
طهّـر فؤادك من نجـاسـة إثـمهـا ... أَوْ لاَ فـأعـددْ لـلعـذاب الأكـبـر
أنت المنجّس مـا شـربت نـدامـة ... ولـو اغتسلت[1] بماء سبعـة أبحـر
مـاذا تـريـد إلـى شـرابٍ مُـورِدٍ ... وِرْداً يسـوءك ربُّـه في الـمـصـدر
تَـرِدُ الـحسـابَ بـه وأنـتَ مـروّعٌ ... تخشى العقـاب وأنت منـه بمنـظر
إن كنت تـرغبُ في الأمان فـلا تكنْ ... مـمن يـسيـر عـلى الطريق الأوعـر
أتبيـع دينـك في الضـلال بجرعـة ... قُـبِّحتَ بـطّالاً، زمـان المـتجـر
يـا شؤمهـا من جُـرعـة مـذمـومـةٍ ... سلبتـك دينـك حيث لم تـتشعـر
فكـأنني بـك في القيـامـة نـادمـاً ... أسـفـاً تعضُّ أنـامـل الـمتحسِّـر
إن لم تتب منهـا فـإنـك ضحكـة ... للنـاظـرين وسُبـة[2] في المعـشـر
وإذا فقـدت العقـلَ كنـت بهـيمـةً ... في جلد إنسـان وحسبك فـانـظر
ولقـد نصحتُـكَ إن قبلتَ نصيحتي ... يـا حـاضـراً وكـأنـه لم يحضـر
والله لافـهـم الـحقـيـقـة سـامـعٌ ... قـد بـات في علم الضـرورة يمتـري
فـاحـذر عليـك عقـوبـة في شـربهـا ... وإذا أنبت إلـى المـتـاب فـأبشـر
يـا ربِّ أنـا مخـطئـون جهـالـة ... فـاصفحْ لنـا واستـر علينـا وأغفـر

* * *

وقال أيضاً في مثل ذلك:

يـا مـكـثـراً قـالـه وقـيـله ... وجـاعـلاً كـأسـه فـضـيـله
أفنى التراث[3] الـذي حـواه ... فيهـا ويفنى الـذي بقي لَـهْ

---

(1) في الأصل: غسلت.
(2) سبة: في الأصل: شبة.
(3) في الأصل التراث.

وَيْحُـكَ لا يخـدعنْـكَ أنسٌ ... مـن بعـده وحشـة طـويلهْ
ترجـو نجـاةً بغيـر فعـل ... وتلك لا شـكَّ مستحيله
يـا ليت شعري بـأي قـولٍ ... بـأي حـول بـأي حـيـله
تـأمـلُ زلفى لـدى مليـكٍ ... تـأتـي إليـه بـلا وسـيله
فـقـال والـخـوف قـد أراه ... من رشـده عنـدهـا سبيله
أرجـو إلـهـي وأتـقـيـهِ ... لـكنْ ظنـوني بـه جـميله

* * *

وقال في مثل ذلك:

يـا شـارب الـرّاح في أوقـات غفلتـه ... ومـسـتـسـراً بـأبـواب وأسـتـار
إذا دجـا الليـل واشمـطت ذوائبُـهُ ... خـلا بـكـأس وأوتـار ومـزمـار
أمـا عـلمـت بـأنَّ الله مـطَّلعٌ ... يُحْصِي فعـالـك من جهـر وأسـرار
لـو كنت في ظلماتِ البحرِ محتجباً ... عن كـلِّ مـرمى لأسمـاع وأبصـار
لم تَخْفَ منـك عن الرحمٰن خـافيةٌ ... بـل كـلُّ فعلك مقـدورٌ بمـقـدار
مـاذا يفيـدك جهـلُ النـاس كُلِّهِمِ ... بمـا كَتَمْتَ ولا يخفى عن الـبـاري
لا يـطغـيَنَّـكَ سـتـرُ الله مـذ زمنٍ ... فـكم أتـى دون تسـويـف وإصـرار
فـارجع عن الـذَّنب مختاراً مـراجعةً ... أو سـوف تـرجـع عنـه غيـر مختـار
وإن أبيت سـوى الإصـرار تصحبـه ... فهـل ترى لـك من صبـر على النـار

* * *

وقال في مثل ذلك:

رأيـتُ ذنـوبَ العـالـمين قبيحـةً ... وأقبحُهَـا طُـرًّا مخـامـرةُ الخمـرِ
فـإن الخنا صـدعٌ وفي العقـل جبـرة ... وإن لم يكن عقـل فيأسـاً من الجبـر
فمـا حَـالُ مَنْ كـلُّ المسـاوي جميلةٌ ... لـديه وحتم السـرِّ في قبضـة الجهـر
يرى البدر وهو البدر في صبغة الدُّجى ... ويسمـع لفظ النَّهي في صيغـة الأمـر
وأعـظم مـن هـذا وذلـك كـلِّهِ ... عذابُ لظىً ما لامرئٍ فيه من الصبر

* * *

وقال في مثل ذلك:

يـا مُـدْمِنَ الـخـمـر غَـيْـرَ آلِ[1] فـي تـركـه أمـر ذي الـجـلالِ
أبـشـرْ بـفـقـرٍ وهـتـك سـتـرٍ وقـبـح ذكـرٍ وسـوء حـال
ومـورد فـي الـمـعـاد تـفـضـي مـنـه إلـى طـيـنـة الـخـبـال
فـراجـع الـحـقَّ لا تـعـلّلْ نـفسـك فـي الفـوز بـالـمـحـال
واضـرع إلـى الله واسـتـقـله فـإنّـه خـيـر مـسـتـقـال
وسَـلْهُ فـوزاً يـجـبْـكَ فـضـلاً وهـل (جـواب)[2] بـلا سـؤال
يـا صـاح إن لـم تـكـن تـبـالـي عـنـك فـمـن ذا الـذي يـبـالـي

* * *

ولأخيه القاضي أبي عبد الله(*) في ذمّها أيضاً:

مـا خـمـر العـقـل فـهـو خـمـر والـخـمـر عـنـد الـلبـيـب جـمـر
جـمـاع إثـم (غَـوْلٌ) لـوفـدٍ بـأس وبـؤس ضـر وضـرّ
يـا شـارب الـخـمـر مـسـتـسـراً مـا دون ربِّ الـعـبـاد سـرّ
لا تـسـدل الـسـرّ مـا عـلى مـن يـعـصـي إلـه الـسَّـمـاء سـتـر
واذكـر إذا مـا الـحـيـاة ولّـت وحـان مـوت وتـمَّ عـمـر
وجـاء مـوت وجـاء قـبـر وجـاء بـعـث وجـاء حـشـر
واجـتـمـع الـنـاسُ فـي صـعـيـدٍ والـنَّـهـيُ نـهـي والأمـر أمـر
والـنـار قـد سُـعِّـرت وقـالـت هـل مـن مـزيـد فـقـيـل صـبـر
هـنـاك تـلقـى لـذيـذ مـا قـد جـنـيـت مـن الاثـم وهـو مـرّ
أيُّ مـقـام إن لـم يـكـن مـن غـافـر كـلِّ الـذُّنـوب غـفـر

* * *

---

(1) آل: رجع.

(2) في الأصل: جواباً.

(*) أبو عبد الله الفازازي: هو محمد بن يخلفتن أخو عبد الرحمن، قال ابن الأبار «كان فقيهاً أديباً مقدماً في الكتابة والشعر» (التكملة 618/2، الذيل والتكملة 362/8، الوافي 213/5).

وقال الفقيه أبو زيد في شهر رمضان :

أعـدد لـضيفـك اهبـة الإكـرامِ ... وتـحيـة (مـوصـولـة بـسـلام)[1]

وتـلقَ أيـامـاً لـه ولـيـالـيـاً ... بـصـيـام راعـي ذمّـة وقـيـام

واعـكفْ عـلى الأذكـار في آنـائـه ... مـا بـيـن مـبـتـدإٍ لـه وخـتـام

رمضـان شهـر الصَّـوم فـاغنم قـربَهُ ... تـغـنـم أجـلّ دعـائـم الإسـلام

إكليـلُ مفـرق دهـره بـل تـاجُـهُ ... والـدَّرةُ الـوسـطى لسلك الـعـام

ومُقـامُ بـذل[2] رغـائب ومـواهب ... لـو أنـه يـحـتـلُ دار مـقـام

فـاشـددْ لـه عقـد الـوفـاءِ فـإنما ... أيـامُـهُ غُـرَرٌ مـن الأيـام

وإذا ظـفـرت بـظلمـةٍ مـن لـيـلهِ ... فـالـنّـور بـاطـن ذلـك الأظـلام

لـو أن مـقـدمـه يبـاع ويـشتـرى ... بُـذلـت لـه الأرواح في الأسـوام

إن الـرّجـال على الحقيقـة زمـرةٌ ... قـطعـتـه نـائـمـة عـلى الأقـدام

علمتْ وشيـك زوالـه فسمتْ لـهُ ... مـنـقـادةً مـنـه بـخـيـر زمـام

والـجسـمُ لا يـأوي لـلذة راحـةٍ ... والجفـنُ ليس يـذوق طـيب منـام

طـوبـى لمـن وافـاه واجب حـقـه ... مـن حـرمـةٍ فُـرضت لـه وذمـام

طوبى لمن غضَّ الجفون بشهره[3] ... عـن لـحظ مـكـروه لـه وحـرام

طوبى لمن خطم[4] اللسان عن الخنا ... والـلّغـو والـتّـقـوى أكـفَّ خـطام

يـا صـائـمـين وقـائمين بـشـارة ... بـسـلامـة فـيـه ودار سـلام

في شهـركم هـذا مـواسم رحمـةٍ ... كُـتبـتْ لـصـائـمـه عـلى الإلـزام

شتّـانَ بـين الـقـائـمـين بـليـله ... لـلخـوف أو لـلشـوق والـنّـوام

صبـروا قليـلاً فـاستعـاضـوا راحـةً ... فـي دار خـلد نـاعـم ودوام

عجبـاً لمن وجـد الشّفـاء لـذنبـه ... وأقـام مـرتـبـكـاً مـع الآثـام

طـبـعُ بهـيمي وأكـثـر مـن تـرى ... يـعـتـده الـعـقـلاء فـي الأنـعـام

من لم يعـظْهُ الموتُ وهـو معاين ... لـم يـنـتـفـع أبـداً بـنـقـل كـلام

---

(1) في الأصل: موصولة وسلام، ولا يستقيم معه الوزن ولا المعنى.

(2) في الأصل: بذل.

(3) في الأصل شهره.

(4) خطم اللسان: منعه من الكلام.

وإذا انقضى شهرُ[1] الصّيام ولم تَتُبْ فمن البعيد متاب باقي العام
وإذا تعدّيت الطبيب لغيره فات الطبيبُ وفزت بالآلام
خذها نصيحة قائل بحقيقةٍ لو وافقت عوناً من الإفهام

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ يذكر عاشوراء:

يا خليّ العين والأذنِ لاهياً في السرّ والعلنِ
أيقظ القلب اللجوج فقد أثّرت فيه يد المحنِ
عامل المولى بنعمته من أيادي فعله الحسنِ
وقبيح أن تضنّ وقد مُلئت كفّاك بالمننِ
فزكاةُ المال بذلُكَهُ وزكاة الصّوم للبدن
ولعاشوراء مرتبةٌ شُهرت في سالف الزّمن
هو يومٌ لم يزلْ أبداً صومه من آكد السُّنن
فاغتنم إن كنت متجراً خَلَساً من راحة المحن
فكأن الموت مطلع وكأن العيش لم يكنِ
ترتجي فوزاً وهل أحدٌ نال ما يرجو بلا ثمن
إن من ضاعت بغيَّتُهُ لكثير الغَبْنِ والغَبَنِ

* * *

وقال في فضل شعبان المكرم:

زمان بتطهير القلوب موكّل وشهر إلى دار النعيم موصل
وأوقات برّ لا يُضيِّعُ حقَّها من الناس إلاّ مبطلٌ أو مغفل
تحفظ بشعبان وعظم حدوده فعمّا قليل عن جوارك يرحل
ويشهد بالتّقوى عليك وضدِّها فما هوا إلاّ شاهد ومعدّل
وفي النصف منه ليلةٌ إن شهدتها فَقُمْهَا فإن الأجر فيها معجل

---

(1) في الأصل: الشهر.

أتت عن رسول الله فيها فضائِلٌ ... فدونك فاغنم أيها المتبتِّل
ومغفرة الرحمن فيها معدَّة ... لمن بات يدعو ذا الجلال ويسأل
وفي سورة الإخلاص فيها فضيلة ... ومنقبة مشهورة وتوسّل
وإنك إن كرّرتها ألف مرة ... بلغت بها الأضعاف مما تؤمل
وفي النّاس كسلان يميد (قراءة)[1] ... وفيهم نشيط لا يزال يرتل
كِلا حالتي هذين فيها فضيلة ... وحالة ترتيل القراءة أفضل
فيا صاح أعدد للرحيل فإنه ... يؤخر أقواماً وقوماً يعجّل
وما دارنا إلاَّ مناخ لراكب ... يقيلُ به لكنّه يتنقَّل
مضى رجب فانظرْ أوَفَّيْتَ حقَّه ... وأكرمته أم كنت عن ذاك تغفل؟
ووافاك شعبانٌ فهل أنت عالم ... بمقداره أم بابُ قلبك مقفل؟
فجدَّ فإن القبر لا بد مسكن ... وبادرْ فإن الموت لا بد منهل
وإن صعبت طرقُ الفلاح فإنها ... إذا ذكرت دار الكرامة تسهل
إذا ذهبت أيام عمرك باطلاً ... فدونك فاختر أيَّ داريك تنزل
فلا تتعلَّل بالحياة فإنها ... سحابةُ صيفٍ أيها المتعلل
فمن كان ذا عقل أعدَّ لقبره ... وما بعده والأخذ بالحزم أجمل
وما الوعظ إلاَّ جنة إن نبذتها ... فكلك للآثام والسهو مقتل
إذا لم يوفِّق سامع الوعظ للتّقى ... فليس على طول المواعظ يقبل

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ في التوكل:

تَوَكَّلْ إذا نابتك يوماً ملمةٌ ... على من له في خَلْقِهِ الخلقُ الحكمُ
وسلّم له تقديره وقضاؤه ... فبينهما يجري لك الحرب والسلم
ولا ترجُ كشفَ الكربِ من عند غيره ... فترجع عنه خائباً ولك الرُّغم
ضعيفاً يُرجّي من ضعيف إغاثةً ... لقد غلط الإدراكُ وانعكس الفهم
فيا نائم الجفنين في حال يقظةٍ ... وكم نائم معنى ولم يغشَهُ نومُ
تفكّر ودبّر واعتبر واخلُ وادّكرْ ... ترى الخلق لا محوٌ لديه ولا رسم
وما الحكم إلاَّ حكمُ ربِّكَ وحده ... فاذعنْ له فاليأس من غيره حتم

---

(1) في الأصل: فراءة.

وكم واهم في قصد عمرو وخالد ... فإيَّاك لا يذهب بخاطرك الوهم
فمن ذا الذي أَنْشَاكَ إذ كنت نطفةً ... ضعيفاً ولا لحمٌ عليك ولا عظمُ
ومن ذا الذي غذَّاك تسعة أشهرٍ ... وأمُّك لا حس لديها ولا علم
ومن ذا الذي ربَّاك حولين راضعاً ... ولا مشربٌ إلَّا لبان ولا طعم
ومن ذا الذي نَجَّاك من شرّة الصبا ... ودهرك رام ما يصيب له سهم
ومن ذا الذي ألقى عليك محبةً ... تعاورها في حقك الأب والأم
ومن ذا الذي أعطاك عقلاً وفطنةً ... فشاع لك الوصف المشهر والاسم
ومن ذا الذي لقَّاك رشدَكَ يافعاً ... فأقررتَ بالتوحيد إذ جحد الخصم
هو الله جلَّ اللهُ فاعكفْ ببابِهِ ... له البدءُ في مخلوقه وله الختم
فكم أمسك الأرماق والروحُ زاهق ... وكم جلب الأرواح والقلب مغتم
وكم دعوة مضطرة قد أجابها ... فنلت المنى منها ومن دونها النجم
وكم زلَّة جددتها إثر زلَّة ... تداركك الإمهال فيهن والحلم
أتعلم هذا ثم تعمل ضدَّهُ ... لقد ضاع فيك الرأي واطَّرح الحزم
فمالك في التحقيق حبٌّ ولا هوى ... ولا من سداد الفكر حظّ ولا قسم
تخلَّ على المخلوق، إنَّك مثله ... وأمّ[1] الذي يهدي إلى قصده الأمّ
ولا ترجُ إلَّا الله في كلِّ حالة ... فوضع الرجا في غير موضعه ظلم
وفي يوسف الصديق أعظمُ حجة ... بأن ليس للمخلوق في مثله حكم
وفي قوله اذكرني لساقي مليكه ... دليلٌ لمن في الصالحات له عزم
فاصلحْ فساد الفعل منك بتوبة ... فمن خان مال الغير ظهَّره العزم

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ وأنشدنيه:

إني رأيت العزّ مستودعاً ... في خدمة الخالق سبحانَهْ
وخادم المخلوق في ذلّة ... تعمّ أهليه وجيرانه
وَقِفْ ببابِ اللّهِ مستمطراً ... إنعامَهُ الجمَّ وإحسانه
ولا تُرَجِّ النفعَ من غيره ... فالطّرسُ قد أعطاك عنوانه

* * *

(1) في الأصل: وأمّا.

وقال في مثل ذلك وأنشدنيه :

من خـدم المـولى بـإخـلاصـه ... عـزَّ ولـم يحتـجْ لـذلّ الـعبـيـدْ
وخـادم الـمـخـلوق إمـا عـلى ... مـهـانـة أو فـي عـذاب شـديـد
يـرجـو ويـخـشـى بَـشَـراً مـثله ... ذاك ضـلالٌ مـا عـلـيـه مـزيـد
يـا سـاريـاً في ظلمـات الهـوى ... وخـادمَ الـمـخـلوقِ مـاذا تـريـد
تـطلبُ يسـراً من يـدي مُـعْسِـرٍ ... أَفِـقْ فـهـذا مـطلبٌ لا يـفـيـد
قـد قـرَّب اللَّهُ لـك المـجتـنى ... لـكن تـنـادي مـن مـكـان بـعـيـد

* * *

وقال أيضاً في مثل ذلك وأنشدنيه :

ثِـقْ بـالإلـهِ فـإنَّـهُ ... لـلواثـقـيـن بـه قـريـبْ
ودَعِ الـعبـيـدَ فَـمُـنْـتَـهىٰ ... إحسـانـهـم ظَـنٌّ يَـخِـيـبْ
إن تَـنْـجُ مـن مـكـروهِـهِـمْ ... لم تنـجُ مـن لمـز الـمغيب
لَاحَ الـصَّـوابُ وإنـمـا ... أسفي على الـرأي المعيب

وقال ـ رضي الله عنه ـ يحضّ على قيام الليل :

كم في الـدياجيـر من ذخـر وفـائـدة ... لمن بضـاعتـه التـذكـار والسَّهـرُ
وكم بـه لـرجـال الجـدّ من أربٍ ... نـام المقصّـر عنـه وهـو مـدَّخـر
تصفـو الخـواطـر فيـه من شـوائِبِهَا ... ويحضـر الفكـرُ لـلإفهـام والنـظر
فَسُهَّـدُ اللَّيْـلِ مصـفـاةٌ مـواردُهُمْ ... ونـومُ الليـلِ لا يـدرون مـا الخبـر
شتَّـانَ من جَفْنُهُ بـالنـوم مغتـرقٌ ... ومـن خـواطـره بـاللَّيـل تَـعْتَـبِـرُ
يـا مُغنِيَ اللّيـل نـوماً والنهـار عمى ... متى تَـفِيـقُ ولا سـمـعٌ ولا بـصـرُ
تـرجـو الإقـامـة في دار منـقـلة ... وتغفـلُ الـزادَ فيهـا إذ دَنَـا السَّفَـرُ
أَيـقظْ فؤادَكَ من نـومِ ومن سنـة ... واحذرْ فذو الحَزْمِ من أوصافِهِ الحذر
ولا تُضِـعْ عُمْـراً في غيـر فـائـدةٍ ... فَعَنْ قـريبٍ، لَعَمْـري، يَنْفَـذُ العُمُـرُ
وقم إذا صُبِغَتْ في الليـل دهـمتُـهُ ... وأُسـرِجتْ في دُجَـاهُ الأنجمُ الـزّهـر
فـاندبْ ذنـوبَـكَ واستـوهبْ إقـالتهـا ... فـالعفـو عنـد اعتـرافِ العبـدِ يُنْتَـظَرُ

فأرسِلِ الدَّمع عن خوفٍ وعن نَدَمٍ ... يَمْحُ الخلافَ الذي ما زال يُسْتَطَرُ
وارجعْ إلى الله واقرعْ بابَ رحمتِهِ ... واصبرْ فذو الصَّبْرِ مضمونٌ له الظفر
واجعلْ نعيمَكَ في القرآنِ تقرأُه ... فخيرُ ما يُقْرَأُ الآياتُ والسُّور
وإن عراك عداءٌ في الدُّجى فَبِهِ ... يأتيك بالنجم في أعقابه السَّحر

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ يذمّ الحسد:

إن الكبائر للطاعات مفسدةٌ ... وإن أَفسَدَهَا للطاعةِ الحسدُ
لا تضمرنَّ على ذي نعمة حسداً ... إنَّ الحسود من الرحمن مبتعد
واقنع برزقك فالأرزاق قد قُسِمَتْ ... سيَّان في الرزق بطَّالٌ ومقتصد
فإن حسدتَ امرأً فيما يخصُّ له ... فاذهبْ فمالك إلاَّ الإثمُ والكمد
خُلقٌ ذميمٌ وأغراضٌ مذممةٌ ... ومقصدٌ بلسان الشرع منتقد
كَرِهتَ حالاً أراد الله ثروتها ... فاقنعْ بما قد قضاه الواحد الأحد

* * *

وقال في مثل ذلك:

يا حاسدَ النّعمةِ في غيره ... وذا هباً في الغيى من مذهبِهِ
بحرُ العطايا أنت في لجّهِ ... وتحسدُ المسكين في مذنبه
وقد هدى جفنك بدرُ الدُّجى ... وأنت لا تطرف عن كوكبه
تحسده في كلِّ أحواله ... وربما زدت على مكسبه
في أكله الطَّيب فى شربه ... في لبسه النعم[1] في مركبه
يا نائماً يحسد إخوانه ... الله قد فضّلهم فانتبه
انظر بعين الفكر في ذا وذا ... ما سَنَنُ التحقيق بالمشتبه
حالُكَ لا تبقى ولا حالُهُ ... ما أَقْرَبَ الظامىء من مشربه
والبدرُ إن راقك إشراقُهُ ... فإنه يشجيك في مغربه

---

(1) النّعم: كذا ولعلها الناعم.

لا تَصْحَبَنْ ذا حسدٍ إنَّه أولُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ في غير ذلك المعنى:

الخوفُ والأنسُ شيءٌ ليس يتفق والحبُّ والدمعُ أمرٌ ليس يفترقُ
فاقبض عنانَ الدَّعاوي فهي مُرديةٌ ولو تمادى بها في غيِّها الطّلق
وارجعْ وراءكَ عن طُرْقٍ مضللة فليس في كلِّ حين ترشد الطرق
ولا تقولنّ إني خائفٌ وَجِلٌ ولا مُحِبٌّ فذاك القول مختلقُ
ولا تُواكِبْ غداةَ السَّبقِ معتدياً أهل السِّباقِ وأنت اللّغو واللحق
والزمْ مقامَكَ وهو العَجْزُ وارْضَ بِهِ فالأرضُ تسفل مهما عُلِّيَ الأُفُقُ
فالعبد عند حضور الطَّرْفِ محتقرٌ والنجمُ عند سطوع الصبح (ممتحق)[1]
نادتك نفسُكَ للأهواء جامحةً والطبعُ يُسْعِدُها والوَهْمُ (والحُمُقُ)[2]
وَبِتَّ من شَهَواتِ النَّفْسِ في شُغُلٍ تُفْنِي زمانَكَ في لهو وتفترق
والدين عندك قولٌ أنت قائله وليس للفعل فيما قلت معتلق
تَحَيُّرٌ وتخاليطٌ وذبذبة وغفلة ودعاوٍ كلُّها حمق
حكيت قوماً بأقوال تسارقُهَا وللمحبين حال ليس تسترق
فاشددْ حيازيم عزمٍ في اللِّحاق بهم فالعزم أحسنُ شيءٍ أنت تنتطق
ولا تُعَلِّلْ بسوفَ فهي مهلكةٌ لم يرضَهَا قطُّ إلاَّ الجهلُ والخَرَقُ[3]

ما أنت من حالة المحيا على ثقةٍ وأنت تفعل فيها فعل من يَثِقُ
يا نائمَ القلب مَعْنىً وهو منتبهٌ والقلبُ إنْ نام لم يستيقظ الحدق
لا تفتحن بغير الجدِّ مشكلةً فليس يبقى على مفتاحه غلق
وكم تَسَابَقَ أقوامٌ على أمدٍ لكنَّه لقليل يُسِّرَ السَّبَق
خاطرْ بنفسك في بحر التُّقى أنفا إنَّ الشهادةَ فيه العيشُ والغرق

---

(1) في الأصل: ممحق.
(2) زيادة على الأصل يقتضيها الوزن والمعنى.
(3) الخرق: الحُمق.

وقد زعمتَ بأنَّ النَّفْسَ زاكيةٌ ... أنَّى وأنت مع الأمحاض ممتذق[1]

أيّنَ الدليلُ على ما أنت زاعمه ... وبالأدلة يُدْرَى الجدُّ والملق

فقي الهواجر لا جوعٌ ولا ظمأ ... وفي الدياجير لا سُهْدٌ ولا أرَقُ

ما حقَّقَ العَزْمَ إلاَّ كَيِّسٌ فَطِنٌ ... يحثُّهُ سائغان: الحبُّ والشفق

خاف البيات فبات اللَّيلَ مرتقباً ... بحارَ موتٍ على الأرواح تنطبق

مسهَّدُ الجَفْنِ في فكرٍ ومعتبرٌ ... لا الفجر يلفيه نوَّاماً ولا الشَّفق

باللَّيل مشتمل بالسهر مكتحل ... بالدَّمع مصطبح بالدمع مغتبق

يفتنُّ ظاهرُهُ قرباً وباطنهُ ... حُبَّاً وأهلُ التُّقى في حالهم فِرَقُ

سَفْرٌ إلى الله لم يَصْرِفْ رواحِلَهُمْ ... هوى النُّفوسِ ولم تصرفْهُمُ العلق

والعارفون إذا صحَّتْ معارِفُهُمْ ... للَّهِ إن صمتوا بالله إن نطقوا

موحدون فلا يلوون أعينهم ... سِراً وجهراً لغير الله إن رمقوا

أفكارهم زُهُرٌ أنفاسهم زَهَرٌ ... أجفانهم غدق أحشاؤهم حرق

دموعهم أبداً للخوف هامعةٌ ... لكن ظلوعهم للحبّ تصطفق

أضحت جسومُهُمُ في الأرض سائمةً ... وطيّها أنفس للغيب تخترق

لله في الخلق أسرار مخبأةٌ ... من دونها رُتَّجُ[2] الأبواب والغُلُقُ

وأنفس طَهُرَتْ أنفاسها فسرت ... في السرّ تنفح حباً حين تنتشق

عرفان يوسف بعد البعد إخوتَهُ ... أدَّى إلى جمعهم من بعد ما افترقوا

فأعرفْ إلاهَكَ واعملْ بعد معرفة ... فالأصل تلك وهذا الفرعُ والورق

واصبرْ قليلاً فإن الدّار دارسة ... وكلّ من حلَّهَا غادٍ فمنطلق

وإن يَفِ لك من عهد الصِّبا زمن ... فاضنَنْ به فقليلاً يمكث الرَّمق

يا شائبَ الفودِ إلاَّ من بطالته ... جَدِّدْ ملابسَ ثوبٍ أيُّها الخلق

لا تنسَ صرعةَ موتٍ سوف تذكرها ... إذا تغشَّاك كربُ الفزع والعرق

وضجعةً ترهب الأرواح فجأتها ... لو كان يعصمها من فجئها الفرق[3]

---

(1) محضة الحديث: أخلصه وصدقه، ومذق الودَّ: لم يخلصه.

(2) رتج: رتج الباب وأرتجه: أغلقه.

(3) الفرق: الفزع.

استغفرُ الله من قول تعقّبهُ ... بالنّقص فعلي فلم يعدم له رهق
أراقب الصّبح والأحشاءُ مظلمةٌ ... وهل ينير فؤاد كلُّه غسق
يا من أخاطبه والحال شاهدة ... أني لنفسي بهذا القول استبق
إذا اتفقنا على سهو ومعجزة ... فمطلب الرُّشد منّا ليس يتفق
والنّاس في دينهم صَحَّ اختلافُهُمْ ... لكنّهم في هوى دنياهم اتفقوا

* * *

وقال رضي الله عنه:

مقاماتُ أهلِ الدين عند بني الدُّنيا ... مقامات معنيّين بالرّتبة العليا
رأوا ربّهم قبل الّذين يرونهم ... فمالوا مع الإثبات واطّرحوا النّفيا
ولم يطلبوا إلاّ رضا اللّه وحدَهْ ... ولو أسخطوا هذا الأنام بلا ثنيا
ومن كان بالتّحقيق للحق قائلا ... تُقُبِّل منه ما يقول ولو أعيا
فكم مالك باغ أصاخ لواعظ ... (بحق) فلم يَسْطِعْ على وعظه بغيا
نواصي ملوك الأرض في يد مالك ... يصرّف في مخلوقه الأمر والنّهيا
فلا تُرْضِ مَخْلُوقاً باسخاطِ خالقٍ ... فربّك أولى من يُخَافُ ويُسْتَحْيَا
ومن آثر المولى على كلّ حالة ... رأى آمليه في الممات وفي المحيا
فيا من يريد الله حقاً بقوله ... تلبث فقد غلّبت دنيا على دنيا
إذا ما جعلت الزيّ برّك والتّقى ... فإنّك يوم الحشر أكرمهم زيّا

* * *

وقال ـ أسبغ الله عليه المنّة وأثابه بالجنة:

من عَذَل العقربَ في لسعها ... كلَّفها ما ليس في وسعها
فاقبضْ عن الدّنيا يداً طالما ... أجمعت العزم على جمعها
فربّما غرَّك من لينها ... ما قيَّد الأنمل عن نزعها
فَوَعْدُها داعٍ إلى خلفِهَا ... وَوَصْلُهَا عاد إلى قطعها
كم حُمَّة في شهدها كمنت ... فاستعمل الحيلة في جرعها
(غَفِلْتَ) عن حتفك في أصلها ... بزهرة غَرَّتْكَ في فرعها

حِـذْرَكَ مـنـهـا إنـهـا خـلة ... فـاسـدة بـالـطَّبـع في وضعهـا
فَقُبْحُهَـا أظهـرُ من حسنـهـا ... وضُـرُّهَـا أكثـر من نفعـهـا

* * *

وقال ـ رضي الله عنه ـ :

كـلُّ من قـاس نبيّـاً بسـواه ... في سجـايـاه ففضَّ الله فـاه
أبت العـصمـة أن يـشتبهـا ... ليس بين النّجم والشّمس اشتباه
ليس غـاد في سنـا عصمتـه ... مثـل سـار في ديـاجيـر هـواه
أنـبـيـاءُ اللَّهِ أنـوار الـهـدى ... من رأى نـورهم نـال هـداه
كـيف لا يـهـدي نـبيٌّ أمـةً ... لصفـاء الـورد والله اصـطفـاه
ظهـرتْ أسـرارهم عن كَـدَرٍ ... فهي في نوم النّهي ذاتُ انتباه
حـفظ الله لـهـم أنـفـسَـهُـم ... فهي لا تـطمـح إلاَّ لـرضـاه
وكـسـا أفكـارَهـم معـرفـةً ... عَـظُمَتْ هِمَّتُهَـا عـمّن سـواه
والـذي نـرويـه في أخبـارهم ... [كان قـد][1] صدقه من قد رواه
من حمـاه الله أكـدار الهـوى ... لا يـراه أبـداً حـيـث نـهـاه
أثبت الإجمـاع فينـا طهـرهم ... فهـل المخطىء إلاَّ من نفـاه
وحـديـث الهـمِّ في تـأويـله ... أوجـهٌ قد سفـرت عن مجتلاه
ذاك طـور جلَّ أن يـدركـه ... غير معصوم فـدع قول الشِّفـاه
تتعب الأرجـل في إحضـارهـا ... ثـمّ لا تبـلغ مقـدار الـجبـاه

وقال يندب رجالاً عفت آثارهم وأُودِعَتْ في أخبارهم :

تلهفْ ومـا يجـري عليـك التَلَهُّفُ ... مضى الحبّ إلاّ الـذّكـر وهـو تكلفُ
تقضّى رجـالاً قـد سمعت كـلامهم ... (. . . . .)[2]

---

(1) ما بين المعكوفين زيادة على النص، وفي أصلها كلمتان أولاهما غير واضحة ورسمهما كما يلي (لمن يحقق).

(2) هذا الشطر بياض في الأصل.

وكـانـوا لنـا زيناً وأُنسـاً ورحمـة ... فـنحـن على فـقـدانهـم نـتـأسـف
تـولّـوا فهـذا الأفق أسـود حـالـك ... وبانوا فهذي الأرض بيداء (نفنف)[1]
إلى الله نشكـو الحـزن بعـد فـراقهم ... على أن مـاضي أنسهم ليس يعـطف
أزاهـرُ دنيا عـاجـل المـوت قـطعهـا ... وخلّفنـا والـزّهـر لا غيـر يقـطف
فـأين ضلوع في الهـواجـر تلتـظي ... وأين دمـوع في الـديـاجيـر تُـذرف
وأين قلوبٌ من هـواهـا خـوافق كمـا ... خطرت في الرّوض نكباء[2] (جرجف)[3]
وأيـن نفـوسٌ عـن غـرام تنفّسـت ... فكـادت ضلوع فـوقهـا تتقصّـف
وأيـن عقـولٌ بـالـحقيقـة تعتني ... وأيـن جسـوم بـالـتـذكّـر تنحف
سـروا في ذمـام الحبِّ نحـو حبيبهم ... فمـا منهم عين على الأرض تـطرف

* * *

وقال يُصبِّر على المكروه المقدور، ويحضّ على ترقّب الفرج المنتظر ويذكر قصة يوسف ـ صلى الله عليه وسلم تسليماً ـ :

لا تجـزَعنَّ لمكـروه تـصـابُ بـهِ ... فقـد يُؤدِيـكَ نحـو الصّحـة المـرضُ
واعلم بـأنّـك عبـد لا فكـاك لـه ... والعبـد ليس على مـولاه يعتـرض
فسلّم الأمـر تـسـلم في عـواقبـه ... وأرض القضاء فقد فـاز الذين رضـوا
وإن غـدت أزمـةٌ فـاصبـر لشـدتهـا ... إن الشـدائـد تـأتي ثـم تنقـرض
والعسـر يتلوه يسـر إن صبـرت لـه ... ضـدان هـذا وهـذا عنـدنـا عـرض
والعيشُ كـالحُلْم أضغـاث منـوعـة ... وسـوف يلحق بـالإيقـاظ مغتمض
يـا من تسخَّطَ ما يجـري القضاءُ بـه ... كم أنت في سنن الهـلاك تـرتكض
إن ارتماضك[4] مـمـا لا دفـاع لـه ... شؤم عليـك فكم ذا أنـت تـرتمض
سفينُ صبـرك نحـو الأمـر يـدفعهـا ... فاصبر قليـلاً فمن قدَّامـك الفُرَضُ[5]

---

(1) النفنف: المفازة، والكلمة غير واضحة في الأصل.
(2) النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين.
(3) (لعلها ترجف).
(4) ارتمض: قلق وحزن.
(5) الفرض: جمع فرضة وهي محطُّ السفن في البحر.

في شأن يوسف إن فكّرت معتبرٌ ... وهو الدليل الذي ما فيه معترض
لاقى الشدائد بالتّسليم منتظراً ... لطف الإله ولم يظهر له مضض
وكم أرادت زليخا صرف خاطرهِ ... إلى هواها ببسط وهو ينقبض
وآثر السجن إرضاء لخالقه ... ولم يزلّ به في خطره الدَّحض[1]
عناية الله تحميه وعصمته ... فما يتمّ لشيطان به غرض
من كان ظاهره نوراً وباطنه ... لم يلف في ظلمات الجهل ينتهض
لَمَّا رأى اللهُ منه صدق باطنِهِ ... وأنَّ حبلَ تقاه ليس ينتقض
كانت عبارته الرؤيا له سبباً ... للملك والناس في أهوائهم فضض[2]
ومُلّك الأمرَ يطويه وينشرُهُ ... فالبذل في يده والقَبْضُ والقَبَضُ[3]
وجاء أخوتُهُ طوعاً ووالده ... شوقاً له وهو مما ناله جرض[4]
فجمَّع الشمل ربٌّ كان فَرَّقَه ... وليس لله في الحالين معترض
ومن يكن تاركاً شيئاً لخالقه ... فسوف يرضيه من متروكه العِوَضُ
إنَّا لنذكر أوصافاً مكرّمة ... ونحن لا حَبَضٌ فينا ولا نبض[5]
سُنَّتْ علينا فلم نصلح للبستها ... والطير من بلل الأمطار ينتفض
بتنا نخادع بالأطماع أنفسنا ... وكلُّنا للرّزايا والأسى غرض
ما نحن ناس إذا حقّقت حالتنا ... وإنما النّاس قوم قبلنا انقرضوا

* * *

وقال في مثل ذلك:

تصبّر إذا نابتك للخطب شدةٌ ... فبعد اشتدادٍ للحوادث لينُ
ولا تيأسنْ من فرحةٍ بعد ترحة ... فقد تخذل الأيامُ ثم تعين
فيعقوب لاقى الكربَ في فقد يوسف ... ثمانين حولاً والحنين قرين[6]

---

(1) خطر الرجل: قدره، والدَّحض: الازلاق والزلل.
(2) فضض: متفرقون.
(3) القَبْض: الأخذ، القَبَض: ما قبض من أموال الناس.
(4) الجرض: المغموم.
(5) يقال ما به حبض ولا نبض: أي حراك.
(6) الحنين بفتح الحاء: المحنة، وبكسرها: المدة الزمنية المبهمة.

فلمـا تمـادى بـعـده حين بعـده تـلافـاه مـن أنس التـقـرّب حين
فدن بالـرّضا فيمـا يجيء به القضـاء فـإن الـرّضـا للصـالحـات ضمين
وهـل يُتَّقى ليـلُ الخـطوب إذا دجى وعـقبـاه صبـح للنـجـاح مبـين

* * *

وقال في مثل ذلك:

لا تـضـقْ ذرعـاً بـخـطب نـازلٍ ربـمـا جـاءك خـطبٌ ومـضـى
لـك في يـوسف[1] أسـنى قـدوة إن تـأسيت بـهـا نلت الـرّضـا
غـاب عنـه يـوسفٌ من بعـد مـا تـرك الـقلب عـلى جمـر الـغضى
فـطوى الـكـشـح عـلى أوصـابـه لا أخـا شـكـوى ولا مـعـتـرضـا
فتلقّى يوسفاً[2] مـن بـعـد مـا صـار من طـول اشتيـاق حرضـا[3]
وانـقضـى الـحـزن بـأنس بـعـده عَـرَضٌ وَلّـى وأبـقـى عـرضـا
سـلّم الأمـر لـربٍّ قـاهـر فـأراه الـسّـول مـنـه عـوضـا
يـحـزن الـعـاقـل لـكـن عـقـده أنـه لا بـدَّ مـن جَـرْيِ الـقضـا

* * *

وقال رضي الله عنه:

لا يخـدعنّـكَ ظـاهـرٌ من بـاطنٍ حتى يـصـدّقـه لـك الـبـرهـانُ
كم ظـاهـر قـد غـرّ وهـو مـزورٌ ولـربّـمـا خـدع القـلوب لـسـان
وقـضيـةُ الأسبـاطِ فـيـهـا عـبـرةٌ إن كـنـت تـفـهـم أيّـهـا الإنـسـان
سفكـوا دماً فـوق القميص وطـالبـوا بـالـثـأر ذئـبـاً مـالـه عـدوان
وبكـوا عشـاءً كي يصـحَّ مقـالُهُمْ والـحـقُّ تـقـبـل نـوره الأذهـان

---

(1) يوسف: كذا في الأصل، وأظن المراد يعقوب بدلالة ما بعده عليه.
(2) يوسفاً: كذا وتكثر مثل هذه الضرورة الشعرية في الشعر الأندلسي، وأكثرها صرف الممنوع من الصرف.
(3) الحرض: من أذابه الحزن.

وفؤاد يعقوب يكذِّبُ قولهم ... فالأكل شكٌ والدماء عيان
أنىٰ يصحّ الفرع ينكر أصله ... ما للمحال بحاله إمكان
إن عنونوا بدم القميص فربّما ... صحّ الكتاب وأخطأ العنوان
فالغدر من شيم النفوس فلا تثق ... إلّا بنفسك فالأمين يُخَان
عاملْ بحزم الرأي أكثر من ترى ... فأبو فلان في الخداع فلان
وإذا ظفرت بمُتَّقٍ فاقنع به ... يكفيك من أحفائك[1] الإنسان
من جاء في البهتان منه بشبهة ... بَطُلَتْ لديه وأُثْبِتَ البهتان
أبدى براءة ذئب يوسف نطقَهُ ... ما بعد ابراءِ البيان بيان
لو كان ذاك الذّئب آكل يوسف ... في برده لم تسلم الأردان[2]

* * *

وقال رضي الله عنه :

أتدري من تبارز بالذّنوب ... وتعصي الأمر منه على الدّؤوبِ
وتجحدُ ما حباك من الأيادي ... وتنسى ما حماك من الخطوبِ
هو المولى الذي بثَّ العطايا ... دراكا في الشّروق وفي الغروبِ
له شهد الوجودُ بعالميه ... من الأجسام طُراً والقلوبِ
فإن له الأوامر والنواهي ... وتصريف الظواهر والغيوبِ
إلٰهي عفوك الموعود عمَّنْ ... تلقى الوعد منك على الوجوبِ
فكم أخفيتَ منّي من عيوب ... وكم فرَّجتَ عني من كروبِ
فوفقني فأنت تمنّ فضلاً ... على العاصي وتغفر كلّ حوبِ

* * *

وقال أيضاً ـ رضي الله عنه ـ :

أيا عاصي النصيحة والوصاة ... مقيماً بين هاك وبين هاتِ
يجرُّ ذيولَه مرحاً وكبراً ... أصمَّ السمع عن وقع العظات

---

(1) مفردة غير واضحة في الأصل، ومن معاني الاحفاء: الاستقصاء والالحاح في السؤال.
(2) الأردان: جمع ردن وهو أصل الكم من القميص.

أغـرّك جمعُ أنسـك وهـو جمـعٌ ... يـؤول إذا اعتبـرت إلى الشّـتـات
وأمّـنَـكَ البـيـاتَ هـوى دخـيـلٌ ... وكم قـد غُـرَّ غيـرك في البيـات
كـأنـك لستَ تبصـر كـلَّ حين ... سهـامَ المـوت في كـلّ الجهـات
تـؤمـل جـنّـةً وتـخـاف نـاراً ... وهـل طلب يصـحّ بـلا مـتـات[1]

تمسّـك مـا استـطعت عساك تنجـو ... بحبـل البـاقيـات الـصـالحـات
وأعطِ الله عـهـداً أن سـتـطفـي ... بـمـاءِ الـدمـع نـار السـيّئـات
لـعـلّك أن تـفـوز بـدار عـدن ... فـتـظفـر بـالسـعـادة والنّـجـاة

* * *

وقال رضي الله عنه باقتراح بعض المريدين :

وَجْـدٌ وسـهـد ودم يـسـفـك ... يـا رحـمـة الله كـذا أهـلكُ
أفـنـى ولا يـعـلم إلاّ الـبذي ... يـقـبـلني إن شـاء أو يـتـرك
يـا سيّـدا من نـور تـذكـاره ... خـواطـر في خـاطـر تسلك
لـم أتّخـذ غـيـرك لي مـؤنسـاً ... ومـدّعي التّـوحـيـد لا يشـرك
ملكتـني مـلّكتـني ذا بـذا ... يـا عـجـبـاً أمـلك أم أمـلك
لا ذقت طعم الـوصل إن لم أكن ... على القضـا في حبّـه أمسـك
أو لـم أشمـر لابـتغـاء الـمنى ... وأنـنـي أطـلب مـا يـدرك

---

(1) المتات: الوسائل، ومما يستحق الذكر في هذا الشأن أن بعض نساخ الصحاح وقع في خطأ على ما يبدو فكتبها (الموات) ولم يستغرب محققه وجود مادة (موت) في موضع متت، وقد وقع في ذلك أيضاً من قبله صاحب الصحاح. (انظر الصحاح بتحقيق أحمد عطار ومختار الصحاح بعناية محمود خاطر).

(في مجالس الجمعة)

وكان الواعظ المحسن أبو عبد الله الكفيف(*) ـ رحمه الله وغفر له ـ بمراكش حرسها الله عام واحد وستمائة، وقد أمر أن يذكر بجامعها ـ صانه الله ـ غدوة يوم جمعة[1]، وكانت مجالسه مشهورة محضورة، وغرراً في وجوه الأيام المشهورة.

فأشار على الشيخ الفقيه أبي زيد ـ رضي الله عنه ـ بعض من يحبُّ إسعافه، ولا يتمكن خلافه أن ينشىء لأبي عبد الله أشعاراً يستفتح بها مجالس ذكره ليستدرّ له الدعاء من حاضرين ألسنتهم ناطقة بالذّكر، وقلوبهم معمورة بالله تعالى ثم لإمامهم بالشكر فقال:

سلام وتقديم التحية واجب ... على الملأ الأزكى الذين أخاطب
على من إذا داعى المتاب دَعَابِهِمْ ... فكلُّهم داعٍ إليه وتائب
رعى الله هذا الجمع سراً وجهرة ... ففيه المعالي كلُّها والمناقب
بيُمْنِ أمير المؤمنين وَمَنِّهِ ... وعزة هذا الأمر هذي[2] الرغائب

(*) أبو عبد الله هو: محمد بن أحمد بن الحجام، كان واعظاً زاهداً (ترجمته في الذيل والتكملة 266/8 والتشوف 268 والذخيرة السنية 51 وبغية الرواد 27).

(1) كذا بالإفراد والسياق يدل على جُمَعٍ كثيرة لا جمعة واحدة.

(2) في الأصل: هذا.

إمـام بـكفٍّ الـدِّيـن منـه مـهـنـد ... لـه من رؤوس النـاكثيـن ضـرائب
تـقـبَّـل آثـار الأئـمـة قـبـله ... فـلا الـظلّ مفقـود ولا النّـور غـائب
لـه من دعـاء المـسلمين وحبِّهم ... كـتـائب مـصنـوع لـهـا ومـواكب
فسـلْ عنـه آفـاق البـلاد وأهلهـا ... تَلُحْ لـك أثنـاء الجـواب عجـائب
ومـا هـي إلاَّ مـكـنـة وعـنـايـة ... تـهـيئـهـا الأقـدار والله غـالـب
بها ائتلفت هذي القلوب على التُّقى ... وهـل تكشف الظلمـاء إلاَّ الكـواكب
إذا الغيم عمَّ الـخـافقين تـدفـقـا ... فـلا عجب في أن تـطيب المشـارب

* * *

وفي جمعة أخرى:

ألا قـل لـلثّـقـاة الـسّـامـعـينَ ... عـن المثنى عليهم أجمعينـا
لكم حظ[1] من التقـوى جـزيـل ... وحظ مـن لـقـاء الـمـتـقـيـنـا
وفـيكـم من إذا الـظُلَـمُ استقلت ... وحلَّت خلوة الـمـتـهـجّـديـنـا
نضـا ثـوب الكـرى عن نـاظـريـه ... وبـات يـردّد الـذّكـر الـمبينـا
تـلوح لـه الـشـواهـد بـيِّـنـات ... فـتكسبـه الـتـواجـدَ والحنينـا
ألا تـدعـوا الـدُّعـاء بـطول عمـر ... لـسيـدنـا أمـيـر الـمـؤمـنـيـنـا
لمن وسـع الـورى عـدلاً وفضـلاً ... ومـن فـاق الـورى دنـيـا ودينـا
ومـدَّ عـلى رعـيـتـه جـنـاحـا ... تـدفّـق فـوقهـا عـذبـاً معينـا
مـضى الـمـتـقـدمـون ولاة عـدل ... فـنـاب منـابـهـم في الآخـريـنـا
كـفى الـفقـراء إحـسـانـاً وألـقى ... (عـن[2]) الآبـاء أعـبـاء الـبـنـيـنـا
إمـامٌ صـيّـر الـتّـقـوى إمـامـاً ... فـلم يـدعِ الـتـوكّـل والـيـقـينـا
ولـم تجـد الـخـلافـةُ عـن عـلاه ... شـمـالاً تـنـتـحـيـه ولا يـمـيـنـا
رآه الله أطـهـرهـم ضـمـيـراً ... فـقـلّد جـيـده الـعـلق الـثـمـيـنـا
لأمـر مـا رأيـت الـنـاس طـراً ... بـإجـمـاع عـلـيـه مـجـمـعـيـنـا

---

(1) في الأصل: خط.

(2) في الأصل: على فكأنه بتحمله الانفاق على أبناء الفقراء قد وضع أعباء نفقاتهم عن كواهل آبائهم، وهو ما لا تفيده (على).

بـدا عـلم الـهـدى فـدعـا إلـيـه ... وكـان لـنـيـله سـبـبـاً مـتـيـنـا
فـسـلْ عنـه الـبـلاد وسـاكـنيـهـا ... تجدّهم في جـوابٍ[1] شـاكرينا
إذا ذاك الـجـبـيـن كـسـاك نـوراً ... فـنـورك فـانـتـظر تـلك الـيـمـيـنـا
نسينـا الـظلم والـظلمـات لمّـا ... تـجلّى عـدلـه[2] صـبحـاً مـبيـنـا
فمـا نـدري الهمـوم ولا الـرزايـا ... ولا نحصي الشـهـور ولا السـنيـنـا
فـإن غـرّت أعـاديـه هـنـاة ... فـإن الله خـيـر الـنـاصـريـنـا
وإن وراء دولـتـه دعـاءً ... تُـهـدُّ لـه قـلوبُ الـدارعـيـنـا
وبـيضـاً تـحت سُـمـر فـوق دُهْمٍ ... ضـربـنـاهـا ألـوفـاً في مئـيـنـا
ضـمـان أن يـنـال الـطلق طـلقـاً ... إمـام كـان بـالـتّـقـوى ضـنـيـنـا
ومن كـان الـدعـاء عليـه عـانٍ[3] ... لـمن كـان الـدعـاء لـه مـعـيـنـا

* * *

وفي جمعة أخرى:

إلى الله فلتُـرفـعْ أكـفُّ الخـلائـقِ ... وبـالله فَلْتُـدْفَـعْ صعـابُ المضـايق[4]
وفـي الله فليـعـظم رجـاء عبيـده ... وهـل تُعْـوِزُ المخلوقَ رحمـةُ خـالق
فيـا أيهـا الآوي إلـى غيـر بـابـه ... تمسّكْ فقد أخـطأتَ سمت الحقائق
تَـأمَّـلْ كشفَ الضـرِّ من غيـر قـادر ... وتـرجـو منـال الـرزق من غيـر رازق
وتصـدقُ في التّـوحيـد قـولاً ونيـة ... وتفعـل أفعـال امـرىء غيـر صـادق
أَفِـقْ فـطريقُ الـحقِّ أبـلجُ واضـحٌ ... إذا أشكلت يـومـاً جميـعُ الـطرائقِ
وَعَـوِّل على من ليس شيئـاً كمثـله ... تكن معصمـاً عـزّاً بقنّـة شـاهق[5]
ودونـك فـاسـرحْ إن أردتَ تنـزهـاً ... جفـونـك من آيـاتـه في حـدائق

---

(1) في الأصل: جوابهم.
(2) في الأصل بأعمام الذال.
(3) عان: أسير.
(4) سُهلت الهمزة وهو كثير في تآليف المغاربة والأندلسيين.
(5) عزا: من العزة بمعنى المنعة، والقنة: أعلى الجبل.

ترى ليس إلاَّ الله من غير كاذب ... وتسمع جلَّ الله من غير ناطق
ففي ملكوت الله بحرُ عجائبٍ ... يطيشُ بها من (نطقه عقلُ دائق)
سرادق نور الله دون جلاله ... وقد حارت الألباب دون السّرادق
ألاء لنا من لطفه كلَّ لمحة ... جلائل للنعماء فوق دقائق
يمنٌّ ونعصيه فيعفو تفضلا ... تباركت غفاراً ذنوب الخلائق
فيا أيُّها الرّاجون للوصل كرة ... أصيغوا فإنَّ الوصل قطع العلائق
وقوموا بشكر الله في كلِّ نعمةٍ ... تَيَسَّر منها لاحقاً إثر سابق
ومن نعم المولى علينا خليفة ... وقانا بظلِّ العدل ظلم الودائق[1]
إمام بأقصى الغرب ألقت أكفَّه ... لطاعته طوعاً أكفّ المشارق
به جمع الله القلوبَ على الهدى ... ولولاه لم يُعلمْ توثبُ ناعق
إذا ما عداه استرسلت في نفاقها ... ففي سيفه بطش بكل منافق
له ذخر النصر المبين على العدا ... وإن شئت فلْتسألْ بطون المفارق
وهل تَدفعُ الأعداءُ وهي أواخر ... معالي قد خطت له في السوابق

* * *

وفي جمعة أخرى:

بذكرك يُبلغ الأربُ ... وباسمك تُفْرَجُ الكُرَبُ
ونحوك ترفع الأيدي ... إذا ما نابت النُّوَبُ
وأنت الرَّبُّ مُبدئنا ... ونحن إليك ننقلب
تمنُّ ومالنا عمل ... وترحمنا ولا سبب
إليك تعلَّت الألباب ... إذ[2] رفعت له[3] الحجب
ولاحت من بحار الغيب ... أسرار لها رتب
فطرف شاخص فرقا ... وقلب (يمنه) يجب
إذا ما خلّفت عجباً ... بدا من بعده عجب

---

(1) الودائق: الدواهي.
(2) في الأصل إذا.
(3) له: كذا ولعلها (لها).

طريق مابه حَزَنٌ وسير ماله تعب
لك العبر التي نطقت به الأرواح والأهب[1]
لك المنن التي صَلُحَتْ عليها العجم والعرب
لك الجبروت والملكوت لا شكٌ ولا ريب
تعالى مُلْكُ من شهدت له الآيات والكتب
ولاحت من دلائله وجوهٌ ليس تنتقب
مكاتبة ولا خطأ مخاطبة ولا كذب
فيا من تبعد الدُّنيا به والموت مقترب
أَجِلْ نظراً تفدْ عِبَراً ولا يقعد بك النَّظَرُ
لأمر ما وأمر ما تشيب وتطلع الشُّهب
تمرّ بأذنك الذكرى ولا خوف ولا أدب
وكيف ترى حقيقتها ونور العقل محتجب
رقيب الموت مطلعٌ عليك وليس ترتقب
تيقَّضْ أيُّها السَّاهي فخلف حياتك الطَّلب
وظلُّ الله ممدود عليك بستره طنب[2]
أنالك ما تؤمله[3] ولا همٌّ ولا نصب
وكفُّ عداك والأيدي ذوات الأيد[4] تنتهب
بمن عُقِدَت إمامته ولم يسمعْ بها صخب
وأذعنت البلادُ له ولم تصرم لها شعب
بأمر الله مضطلع لدين الله محتسب
مؤيدةٌ عزائمه إذا ما اصطكت الركب
صفا جوداً فلا بخل صفا حلماً فلا غضب
وأغمد سيفه لمَّا كفاه السَّعد والرّعب

---

(1) الأهب: الأجساد.
(2) الطنب حبل يسد به سرادق البيت.
(3) في الأصل: ما تأمله.
(4) الأيد: القوة.

وأصبح رحمةً للناس ... مما ليس يُحتسب
فنور جبينه قمَرٌ ... وصوبُ يمينه ذهب
لذاك غمام دولته ... على الأفقين منسكب
همامٌ ترهب الهيجا ... ءُ صولته فتلتهبُ
يقوم (بجيشه) التّقوى ... ويقدم جيشه الرعب
يدبّ وراء دولته ... (دعا نصه العربُ)[1]
وجيش هل رأيت البحـ ... ـر يطفو فوقه الحبب
به السُّمر الرُّدينيات ... والهندية القضب
وجُرْدٌ سَيْرُها عَنَقٌ ... ورَجْلٌ مشيهُمُ خبب
وطائفة مؤيدة ... إلى التوحيد تنتسب
فلا تنكر نجابتهم ... فإن جميعهم نجب
إذا ركبوا رأيت الموت ... منشوراً له العذبُ[2]
وخِلْتَ السُّحب مرعدةً ... ومبرقةً لها لجب
بأولِ دفعةٍ منها ... تغيضُ وتغرق القُلُب
إذا مَا الحربُ قادتْهُمْ ... إليها شفَّهم طَرَبُ
تَلَذُّ لهم مواردها ... كأن شرابَهَا ضَرَبُ[3]
فيا من غرَّهُ سفهٌ ... وقاد برأسه عطب
أعدَّ لبأسه هرباً ... فإنَّ مآلك الهرب
وسوف ترى وسوف ترى ... وإن أملتْ لك الحِقَب
أثَرْتَ عليك داهيةً ... لها من بأسها لهب
أسودُ وغىً لِسُمْر الخَطْـ ... ـطِ فيها معقل أَشِبُ[4]
فما أعدَدْتَ من نفرٍ ... فهم لوقودها حَصَبُ
وما أكثرت من عددٍ ... فإن جميعها سلب

---

(1) هذا رسم الشطر ولعله: (دعاء بيضه العرب) على أن بيضه سيوفه.
(2) العذب: الأطرف.
(3) الضرب العسل الأبيض الغليظ.
(4) أشب: ملتف ومختلط.

أَفِقْ فاللَّيْثُ مطَّلعٌ عليك وأنتَ مقتربُ
وبادرْ قَبْلَ هَوْلٍ ما له رأْسٌ ولا ذنب
ولا تَغْرُرْكَ شِرْذِمَةٌ لديك فإنَّها لعب
ولو أنصفت لم يزحفْ إليكَ الويلُ والحرب
فإن الحق تعبده قلوبٌ ليس تنقلب
ومن كان الدعاءُ له فمضمون له الغلب

وفي جمعة أخرى:

لِعزّك ذلّت الأُمم وفيك تعلت الهمم
ونحوك حارت[1] الألبابُ لا يأسٌ ولا سأم
إذا ما خلّفت عَلَماً بدا من خلفها علم
طريق لا انتهاءَ له وسيرٌ ما به ألم
تعاظم مُلكُ من وجدت به الأجسامُ والنّسم
وأيقن أنّه الجبّا ر هذا الخلق كلُّهم
ولاحت في الوجود له شهود ليس تُتَّهم
مخاطبةٌ ولا كَلِمٌ مكاتبة ولا قلم
لقد نادتْ مصرِّحةً بأنَّ الله ربكم
فيا عجباً أيَعصي اللهَ من بُسِطَتْ له النعم
فلم يسهرْ له جَفنٌ ولم يتعب له قدم
فيا من لا يؤدي شكـ ـره عُرْبٌ ولا عجم
ومن بهرتْ دلائله وقد عمَّ النُّهى عمم[2]
ومن تعصي خليقته ومنه الستر والكرم
بدت شمس من التوحيد فانقشعت لها الظُّلم
وجاء خليفةٌ شهدتْ بطاعته لك الأمم
جمعت الخافقين له ولم يسفك لديه دم

---

(1) لعلها جازت.

(2) النّهى: العقول، والعمم: التام من كل أمر.

وصنت المسلمين له فلا خوف ولا عَدَم
فأمر الدين والدنيا بحمد الله منتظم
وكفُّ الفضل واكفةٌ وثغر العدل مبتسم
لنا منه مع السَّاعات جود ليس ينصرم
إمامٌ مشرقُ الآثار ماضي الفكر معتزم
فقد صنعت له الأقدار ما لا تصنع البهم[1]
إذا عظَّ[2] الورى زمن فإن فناءه حرم
وإن غشيتهم[3] محن فطاعة أمره عصم
له نعم على الآوى إليه وفي العدا نقم
فنور جبينه برق وجود يمينه ديم
فقل للجاحدين له وفي آذانهم صمم
أفيقوا إن خلفكم جيوش سيلها عَرِمُ
بحار غير راكدة وفيها النار تضطرم
وطائفة موحدة عراهُ ليس تنفصم
إذا ما الإفكُ قابلها فإن الإفك منهزم
فيا من غرَّ ناظره زخارف شادها الحُلُم
أَعِدْ نظراً فإنَّ هواك في دعواك متهم
وفي الأغماد إن أصرر ت سر ليس ينكتم
فإنَّ خليفة الرحمـ ـن بالرحمٰن معتصم
أمام عدوّه نقمٌ وخلف وجوده العدم

* * *

وفي جمعة أخرى:

بدت لجفونك العِبَرُ ولا فكر ولا نظر

---

(1) البهم: الشجعان.

(2) العظاظ: المشقة والشدة.

(3) في الأصل: عشيتهم بالعين المهملة.

وأنـذرت النّهي فصممـ ـت عـمـا ألفـت النّـذر
ولـم تحـفـل بـأحـقـاب لـك الأيـام والـعـصـر
وأهـملت الصّبـا سفـهـاً فـهـذا الشـيب والـكبـر
تـطيـل منـاك مجتـهـداً وعـمـرك خـانـه القصـر[1]
وتـعـطي أيُّهـا الـمغـرو ر مـن عـصـيـانـهـا غـرر
وتجحد فضـل من شهدت لـه الآصـال والـبـكـر[2]
وفيـه شـواهـد التّوحـيـ ـد، بـيّـنـةٌ ولا بـصـر
تعـالى ملك من خضعتْ لـه الأرواحُ والـصـور
ومـن نـطقـت بـفـطرتـه يـقـيـنـاً هـذه الـفـطر
إلـهٌ لـيس يـلحـق مـلـ ـكَـهُ نـقصٌ ولا غـيـر
وربٌ لا تـحـوم عـلى سـوى آيـاتـه الـفـكـر
فـلم يـنـكـرْ أدلّـتـه صحيـح العـقـل مُـدَّكِـرُ
ولـم ينـسـب إلـى أحـد سـواه الـنّـفـع والـضّـرر
لـه مـن خـلقـه حـجـج وفي تـصـريـفـهـم عـبـر
غـنّـي لا افـتـقـار لـه ونـحـن إلـيـه نـفـتـقـر
فـسبـحـان الـلطيـف بـنـا وبـأس الـخـطب منتشـر
وسبـحـان الـذي يُـعصىٰ فـيـعـفـو وهـو مـقـتـدر
لـه فـي كـل شـارقـة أيـادٍ لـيس تـنـحـصـر
وهـل تخفى وقـد وَضُحَتْ لـهـا بـوجـوهـنـا غُـرر
ريـاضُ الـمـنِّ بـاسـقـةٌ ففـيـهـا الـظل والـثـمـر
وخـيـر جـمـيـعـهـا أثـراً إذا مـا عـدَّت الـخِـيَـرُ
إمـامُ يـأْمُـرُ الـدنـيـا بـطاعـتـه فـتـأتـمـر
إلى الـمـنـصـور منـتسب وبـالـرحـمـن مـنـتـصـر
شـديـد شكـائم العـزمـات سـاعـة تـضـعـفُ الـمـرر[3]

---

(1) القصر: ضبط في الأصل بفتح القاف.
(2) البكر : جمع البكرة أي الغدوة.
(3) المرر: جمع مرّة وهي قوة الخلق وشدّته.

إذا ما ( )[1] ناظره تكاد الأرض تنفطر
هو الدُّنيا لنا والدِّين وهو الصَّحو والمطر
له من بأسه عدد ومن عزماته نفر
فإن يصبح خليفتنا فنعم الركن والوزر
وإن نصبح رعيته فسعد ساقه القدر
سمعنا ثم أبصرنا فطاب الخُبْرُ والخَبَرُ
وردنا نحو نائله[2] فلذَّ الورد والصدر
فقد أغنى الورى فضلاً فأثرى البدو والحضر
وقد وسع الورى عدلاً فلا حذر ولا ضرر
وفاق النّاس قاطبةً فلم يعدل به بشر
وكيف يحيف ملتزم لما جاءت به السُّور
يروح الليث والأروى[3] وتعد والشاة والنَّمِرُ
تحلت (يمنه)[4] الدنيا فلم يعزب لها وطر
فكلُّ بلادها زهر وكلُّ زمانها سحر
له جودٌ كأن البحر تطفو فوقه الدُّرر
وحِلمٌ هل رأيت الطَّو د لا ريح ولا قترْ
وبأسٌ هل لمحت النَّار لا تبقى ولا تذر
سيكفيه العدا ظفر بظهر الغيْب مدَّخر
وأدعيةٌ تؤكدها دموعُ العين والسّهر
وطائفةٌ مُوحِّدةٌ لنصر الحَقِّ تبتدر
فقد وثقتْ بأنَّ الفتـ ـح في الأعداء منتظر
فلم يعرض لها فشل ولم يقعد بها خور
لها من سمرها شجر ومن راياتها زهر

---

(1) بياض في الأصل.
(2) النائل: ما ينال.
(3) الأروى: جمع الأروية وهي اسم للذكر والأنثى من الوعول.
(4) يمنه: بركته، وفي الأصل يمينه.

إذا ركبوا حسبت البحـ ـر فوق البحر ينهمر
وإن حملوا ظننت النَّا ر تحت الرِّيح تستعر
كأن قتامهم سُحُبٌ وفيها الشُّهب تنكدر
كماةٌ[1] خيرة نجب حماةٌ ذادةٌ صُبُرُ[2]
أمامَهُمُ إمامُهُمُ وحسبكم فنقتصر
وكيف تضل طائفةٌ يسير أمامها القمر
تَقَدَّمُهُمْ بَسَالَتُهُ وفيها البيض والسمر
وتكنفهم سعادتهُ فلا خوف ولا خَوَرُ
فلا تحذر أعاديه فهم لسيوفه جزر[3]
ولا ترهب مناوئه وإن أملى له البطر[4]
إذا سيمت رقاق الهند لم تعدل بها الإبر
وإن زأرت ليوث الغيل[5] لم تثبت لها الحمر
فيا من غرَّ ناظره جهام[6] مالها مطر
أفقْ فاللَّيث مطّلع عليك وأنت منتظر
أغرّك حلمه زمناً ستعلم حين تختبر
يلين الغمد تلمسه وفيه الصَّارم الذَّكر[7]
كذاك النار ساكنة وتحت سكونها الشَّرر
كأني إن عرضت له ولا عين ولا أثر
فبادر باب من يعفو لمن يهفو فيعتذر
وأيقن أن أمر اللّـ ـه، عقد ليس ينتثر

---

(1) الكماة: الشجعان.
(2) في الأصل: ذا درة طبر، وهو تصحيف.
(3) الجزر هنا: جمع جزور وهو البعير.
(4) أملى: أمهل، والبطر: الطغيان بالنعمة.
(5) الغيل: موضع الأسد.
(6) الجهام: السحاب لا ماء فيه، وما بعدها من التأكيد أو من القوافي المجرورة.
(7) الذِّكر: أجود الحديد، وذكرة السيف: حدته، والمراد بالصَّارم الذكر هنا السيف.

وسوف تنال ما يجني ... عليك الغَدْر يا غَدِرُ[1]
تذكّر ما الذي انقلبت ... به أشباهك الأخر
خليفتنا هو المنصور ... فاحتفلوا أو احتضروا
سيعلو الصَّفو مرتفعاً ... ويسفل تحته الكدر
ومن كان الهدى معه ... فمضمون له الظَّفر

* * *

وفي جمعة أخرى:

أيا ذا الفضل والمنن ... وربِّ السِّر والعلنِ
ومن شهدت بريته ... له بفعاله الحِسَنِ
أنلت السؤل من منحٍ ... كفيتَ السوء من محن
بما لم يجرِ في خلدٍ ... ولم يخطر على أُذن
فكوّنت الأنام فكا ... ن عن عدم ولم يكن
ونبَّهت العقول علي ... ك فاطردت على السنن
فلم يثبتْ سواك لها ... صحيح الفكر والفطن
ونطت أمانة الدنيا[2] ... بجيد أغرَّ مؤتمن
إمام أوليِّ الذكـ ... ـر جاء بآخر الزَّمن
أتته خلافةُ الدُّنيا ... وأمر الدِّين في قرن[3]
فأجرى الأمر مضطلعاً ... على سنن من السُّنن[4]
وأغنى الناس قاطبة ... عن الأهلين والوطن
فقد أَمِنَ الأنام به ... دعاة الشّرّ والفتن
وقد ظفرت جفونهم ... بلذَّتها من الوسن[5]

---

(1) الغدر: ضد الوفي، وفي الأصل (يا عذر).
(2) نطّت: علّقت.
(3) القرن: حبل يقرن به البعيران، وقد استعاره لجمع الدين والدنيا في خلافة واحدة.
(4) السنن: بفتح السين: النهج والجهة، وبضمها الأحكام.
(5) الوسن: النعاس.

لـه صـحّ الـكـمـال ولـم يـكـن إلاَّ لِـمَـنْ ومَـن
ذكـاءُ إيـاسٍ الـمـزنـي وزهـد أويس الـقـرنـي[1]
فـقـل لـلحـاسـديـن لـه وتـلك نـتـيـجـة الأحـن[2]
وجـودكـم إلـى عـدم وهـدنـتـكـم إلـى دخـن
أفـيـقـوا مـن عـمـايـتكـم وكـفُّـوا فـضـلة الـرَّسـن
وهـل تـلغي حـقـائـقـنـا بـبـاطـل تـلكـم الـظـنـن
وهـل يـنـأى عن الـتّحقيق إلاَّ ضـيّـقُ الـعَـطَنِ
تـركـتم جـانـب الـتّـوفـيق تـعـويـلاً عـلى وثـن
ولم تخشوا[3] فـوات الـحـظْـ ـظِ بيـن الـغَـبْـن والـغَـبَـن[4]
وهـل ضـاحٍ مـع الـسَّبَـرا تِ كـالآوي إلـى حِـصْـن[5]
كـأنـي إن تـمـاديـتـم ومـا نـلقى سـوى الـدِمَـن[6]
بـحـكـم الأبـيض الـهـنـديّ أو بـالأسـمـر الـلَّدِنِ[7]
فَـمِـنْ بَـدَنٍ بـلا روحٍ ومـن رُوحٍ بـلا بَـدَنِ[8]
خـذوا لـلـمـوت أُهـبـتَـهُ فـلـيس يـكـفّ بـالـجـنـن
ولا تـقـفـوا فـقـد دفـعـت سـيـولُ الـعـارض الـهـتـن
ريـاح الـحـق عـاصـفـة ومـا لـلإفـك مـن سـفـن

---

(1) إياس بن معاوية المزني، قاضي البصرة، مضرب مثل في الفطنة والذكاء (انظره في: البيان والتبين 56/1. ووفيات الأعيان 81/1 وثمار القلوب 72). أما أويس فهو ابن عامر بن جزء القرني، مضرب مثل في النسك (انظر ترجمته في ابن سعد 111/6 وحلية الأولياء 79/2 وغيرهما).

(2) الأحن: الأحقاد.

(3) في الأصل: يخشوا.

(4) الغبن: بتسكين الباء الخديعة في البيع وبتحريكها في الرأي.

(5) من معاني يضحى: يبرز أو يخرج، والسبرات جمع سبرة وهي الغداة الباردة.
والحضن: ما بين الصدر والعضدان.

(6) من معانيها الأحقاد.

(7) اللدن: اللين وفي الأصل البدني.

(8) تصوير جيد لحالتي الفزع والموت إثر حربهم مع الخليفة.

ولـيس لكـم مـع العـصيـان غيـر السَّـيـف والـكـفـن

* * *

وفي جمعة أخرى:

بـذكـرك نستكفي وإيـاك نعبـدُ وأنت الـذي نـدعـو وأنت نُـوحِّـدُ
ومن ذا الـذي يرجو سواك ولم تـزل لـفـضـلك فـيـنـا أنـعـمٌ تـتـجـدد
هـديـت إلـى الإسـلام أول مـنـة وكـم منّـة مـن بـعـدهـا لا تـعـدد
وأغـنيتنـا مـن فـاقـة وكـفـيـتـنـا مكـاره لـولا أنت لم تـك تبـعـد
فـواللهِ لـولا اللهُ لـم تـرنُ مـقـلةٌ ووالله لـولا اللهُ مـا بـطشـتْ يَـدُ
فيـا أيهـا الآوي إلـى غيـر بـابـه أفقْ ليس إلاَّ اللهُ يـرجـى ويقـصـد
إذا كنت بـالمخلوق يـومـك واثقاً فمن لـك بالمخلوق إن جاءك الغد
تـأمـلْ فـصنـع الله جـلَّ ثـنـاؤه عـلـيـك بـوحـدانيـة الله يـشهـد
ومـن لُـطْفِـهِ سبـحـانـه بعبـاده إمـام مـعـانٌ بـالقـضـاء مـسـدد
حمى بيضةَ الإسلام والـطرف مطرقٌ وشـدَّ عرى التّـوحيد والسيف مغمـد
ولـم يستعـنْ في الأمـر إلاَّ بـربـه لـذاك أعـاديـه تـقـوم وتـقـعـد
لـه جمع الله الـديـانـة والـدُّنـا وهـل جَمَـعَ الـدارين إلاَّ مـؤيـد
فـفـي كـل غـور لـلتـنـزه روضـةٌ وفي كـلِّ نجـد للتهجـد مسجـد
ومـن كـأمـيـر الـمؤمـنيـن وعـنـده سـريـرةُ أمـر الله وهـو مـخـلد
خـلافـةُ أمـر الـمسلمين قـلادةٌ يـنـاسبهـا في القـدر هـذا المقلَّد
مـواردُ تحميهـا الأسـنـةُ والـظُّبَـا فمن شاء فليقـرب فللمـوت مـورد
يغـرّ عقـول الممتـرين سـرابـه ومـا تحتـه إلا الحسـام الـمجـرد
فنحن بحمـد الله في ظـل نـعمـة مـليـك سـمـاوي ومـلك مـمـهـد
أمِنَّـا الـذي نخشى بيمـن خليـفـةٍ لـه العـدل درعٌ والـدعـاء مهنـد
فقـل لـلأعـادي أَذْعِنُـوا قَبْـلَ وَقْعَـةٍ تـكـونُ عليكـم جـمـرةً تـتـوقـد
إذا بَعُـدَ المـأمـولُ بـالأمس عَنْكُمُ فَمَـطْلَبُـهُ منكم مـع اليـوم أَبْعَـدُ
قـضـى الله أنَّ الـنـاكـثـيـن أذلـة وأنَّ أمـيـر الـمؤمـنـيـن مـحـمـد

* * *

وفي جمعة أخرى:

سبحان من في كلِّ شيء شاهدُ ... أنَّا عبيدٌ وهو مولى واحد
سبحان من ظهرت بمخلوقاته ... آياتُ حقٍ لا يراها الجاحد
سبحان من لا ملك إلاَّ ملكه ... ذلَّ الطَّريف لعزه والتالد
سبحان من سبق الوجودَ وجودُهُ ... فله البقاء وكلُّ شيء بائد
سبحان من هو واحد في مجدِهِ ... لا الرَّب مولود ولا هو والد
بهر العقولَ بديعُ مصنوعاتِهِ ... لما تقدَّمها الدليلُ القاصد
وتقلبتْ هذي البريّةُ كلُّها ... في جوده والكلُّ منهم واحد
وبدت (. . . .)[1] القلوب مشاهِدُ ... تبدو لها بين الجفون شواهد
أغنى الفقير وللزمان مفاقر ... وحمى الضعيف وللعدو مكائد
يا ناظراً وكأنما هو مطرقٌ ... مستيقظاً وكأنما هو راقد
أحضر فؤادك إن أردتَ إجابة ... وابسطْ يديك فللدعاء فوائد
واشكرْ إلٰهاً لا يغبّك حفظه ... والناس إما شامت أو حاسد[2]
أو ما ترى الألطاف وهي كثيرة ... عمدت بها الآفات وهي شدائد
ووراء ما تخشى الأنامُ خليفةٌ ... أيامه للمعلوات معاهد
حَسُنَتْ به الأغوار فهي حدائق ... وزكت به الأنجاد فهي مساجد
هادٍ إلى طرق الحقيقة مرشد ... متأول فيما يحاول راشد
معقود أزرار القميص على التُّقى ... والله حافظه له والعاقد
دَانَتْ له الدنيا ولم يُسْفَكْ دَمٌ ... وَتَقَلَّدَتْهُ ولم يُنَبَّهْ راقد
ولطال ما خدعتْ سواه فقد رأتْ ... أن ليس ينخدعُ الإمام الزاهد
حكمتْ له بالفتح نفسٌ حرة ... وَيَدٌ مؤيدة وذهن واقد
وكفته أعمال الجياد سعادة ... أضحتْ له الأقدارُ وهي سواعد
أما العداة لخوفه فَمَرُوعَةٌ ... والليثُ يرهبه النَّعام الشاردُ
سمعتْ نداءَ البيض وهي صوامتٌ ... وَرأت عيونَ السُّمر وهي أباعد

---

(1) نقص في الأصل أشار الناسخ إلى موضعه بسهم ولم يكمله في الحاشية وبقدر كلمتين مثل (لنا بين).

(2) في الأصل: شامة.

فـاليـوم لا غيـر الـمُـجَـدّل وارد ... منهـا ولا غيـر الحتـوف مـوارد
هـذا الإمـام وكـلُّ بـاغ راغـم ... هـذا السعيد وكُـلِّ غـادٍ جـاهـد
عمت سيـاستُـه فيُسْعَـدُ صـالـح ... فـي نـظرةٍ منـه ويـصلح فـاسـد
بـأْسٌ كمـا اهتـز الحسامُ المنتضى ... جـودٌ كمـا انبجس الغمـام الـرَّاعـد
فَلَهُ من الـوصف المقـدَّم مـوعـد ... ولـه من الـوصف المؤخـر واعـد
ضمنتْ لـه نجحَ المقـاصـدِ فكـرةٌ ... غـابت عن الأفكـار وهي تشـاهـد
قـل كيف لا يلقى النجـاح خليفـةٌ ... أمِنَ الـولـيُ بـه وخـاف الـمـارد
فـوراءَ دولـتِـهِ ثـنـاءٌ نـازلٌ ... وأمـام دعـوتـه دعـاء صـاعـد
والله يـكـلأ أمـره ويـديـمـه ... فهـو الحسام لـديننـا والسَّـاعـد

* * *

وفي جمعة أخرى:

بـحـمـد الله يـفـتـتـح الـكـلامُ ... ويـظفـر من يـروم بمـا (يـرامُ)[1]
ومـن أولـى بـذاك الـحـمـد منـه ... وأنـعـمـه مـضـاعـفـةٌ جـسـامُ
تنـامُ وأنتِ مـن غـرض المنـايـا ... وربُّـك حـافظ لـك لا يـنـام
كـفـاك البـؤس والبـأساءَ مـولـي ... لـكفـك فـي مـواهبـه احـتـكـام
ولـو جـازاك بـالأعـمـال عـدلاً ... مكـان الفضـل عـاجلك انـتقـام
عليـه ضمـانُ رزقِـكَ كُـلَّ يـومٍ ... وتـأبـى أن يـفـارقـك اتّـهـام
وتـطمـع في الأنـام فليت شعـري ... مَـنِ الـرزَّاقُ إن بـخـل الأنـام؟
فمن يحيي البسيـطَة بـعـد مـوتٍ ... ومـنْ يهـمي بـقـدرتـه الـغـمـام؟
لقـد أعمَتْ بصيرتَـكَ الخـطايـا ... وغـرَّكَ ظـاميـاً هـذا الـجـهـام
شَغَلْتَ الـطرفَ عن معنى بـحسٍّ ... وبـيـن يـديـك أهـوال عـظام
وكنت بـطبٍّ جسمـك مستقـلاً ... وتحت ضلوعـك الـداءُ العـقـام[2]

---

(1) في الأصل يروم وهو مخالف لسياق القوافي.

(2) العقام: الداء الذي لا يبرأ منه وقياسه الضم وسمع مفتوح الفاء (الصحاح).

تُلامُ على انهماكك في المعاصي ... ولا قلبٌ فيوجعه الملام
يلمُّ بك الظلامُ ولا قيامٌ ... ويطرقُكَ الهجيرُ ولا صيام
أَطَلْتَ رضاعةَ الدُّنيا سِفاهاً ... وكلُّ رضاعة فلها فطام
فَشَعِّرْ للمنية إنّ شيباً ... بفودك من حبائلها خطام
بكى الناسُ الذنوبَ وليس إلاَّ ... سلوُّ عن ذنوبك وابتسام
ومِلْتَ إلى حطام تقتنيه ... فلا تكثرْ فيحطمك الحطام
بخلتَ بما جمعت وهل صوابٌ ... لمثلك طول بخلك والحرام؟
فيا شيبَ الذُّنوبِ إلاَّ حياءً ... تبدّى الصبح وانقشع الظَّلام
إلى الله المصيرُ ولا مقام ... إذا حُثَّ المسيرُ ولا مقام[1]
أفِقْ فالشيبُ قد ملأ النواصي ... وليس ورائَهُ إلاَّ الحمام[2]
فقد حتم الفناء عليك ربٌّ ... له وجب التفرُّد والدوام
تأملْ صنع ربِّك تَلْقَ فيه ... عجائبَ دون رؤيتها لثام
لَهُ نِعَمٌ تفوتُ القولَ شكراً ... لها من فوق أرؤسها زحام
وإن المنّة العظمى إمام ... لملك الأرض في يده زعام[3]
تلوذ بملكه عرب وعجم ... ويرقب ملكه يَمَنٌ وشام
غَمَامٌ ليس يعقبه انقشاعٌ[4] ... وبدر لا يفارقه تمام
بجود يمينه مَطَرٌ يرجى ... ونور جبينه برق يشام[5]
يدبُّ وراء دولته دعاءٌ ... هو البيض المواضي والسِّهام
أَيَجْحَدُ فَضْلَهُ عقلٌ سليمٌ ... وقد نطقت بسؤدده الحمام
فَقُلْ لعدوِّهِ أَقْصِرْ وأقصر ... أو استبصر فقد سُلَّ الحسام
وقد ملأ البلاد عليك رُعْباً ... إمامٌ خلفه الجيش اللهام[6]

---

(1) المقام بفتح الميم وضمها يستويان في الدلالة على الإقامة والموضع، أما وقد تعاطفا فلانفراد كل منهما بأحد المعنيين.

(2) الحمام: الموت.

(3) الزعام: السيادة.

(4) في الأصل: انقشاع.

(5) يشام: ينظر إليه أين يمطر.

(6) اللهام: الجيش الكثير، كأنه يلتهم كل شيء (صحاح).

بكل معوَّد خوضَ المنايا ... إذا ما الحرب شبَّ لها ضرام
وأجردَ يسمع التحريض سراً ... ويفهم ما يريد به اللجام
فَلُذْ بجنابه تَغْنَمْ أمانا ... إذا ما صح منك له اعتنام
ولا تذهبْ بك الخُيَلاءُ واعلمْ ... بأن المهر يطغيه الجمام[1]

وبادرْ ثُمَّ بادرْ ثم بادرْ ... إلى ملك زيارته دمام
ولا تقدم على أسد هصور ... وأنت العير يتبعه النَّعام
تمنيك السفاهة ما تمنى ... ويأبى الله ذلك والإمام
لك الكدَّ المبرح ثم تشقى ... به وله السَّلامةُ والسَّلام

وفي جمعة أخرى:

رضا الله أعلى ما ارتجتْهُ عبيدُهُ ... وتقواه أَوْلَى منجز[2] تستفيدُه
وفي الإنس بالمولى هو الانس كله ... إذا صحح الذِّكْرَ الخَفِيَ مريدُه
وإن بنى الدنيا ودنياهم معاً ... لنهبة أسبابِ الردى وحصيده
إذا غاب قلب المرء عن غير ربه ... فمولاه في ذاك المغيب شهيده
ألا حفظ الله المصيخ لسمعه ... إذا ما أتاه وعده أو وعيده
ومن جعل الذكر[3] حديثاً لنفسه ... يردِّده مستعذباً ويعيده
رأى الزُّهد في دار الفناء فلم ترق ... نواظره مما أتاه زهيده
وأيقن أن الكلَّ بالله لاحق ... فمن شوقه إعداده وعديده
وأحْسَنَ للمخلوق في حق خالقٍ ... يوفقه فيما نوى ويزيده
ولم يرض إلاَّ العدل في الناسِ شيمة ... بدنيا يوفِّيها ودين يفيده
هو العلمُ الضافي على كلِّ ظلة ... وكافيه مما نابه وعميده
إمام بكفيه من الدّين والدّنا ... مآثر لم يخلص إليها عبيده
فمقول ذا عالي الخطاب فصيحهُ ... وصارم ذي ماضي الغرار[4] حديده

---

(1) الجمام: الراحة.
(2) في الأصل: معجز.
(3) في الأصل: الذكرى.
(4) الغرار: حد السيف والرمح والسهم. (قاموس).

وإن أمير المؤمنين لسَيِّد لمن فوقها من عالم ووحيده
له من دعاءِ المسلمين مواكب تصرفها الأقدارُ فيما يريده
لذلك تأتيه الفتوحُ تواتراً ويدنو له من كلِّ أمر يعيده
فريد الورى معناهم ولأجلها تقلَّد هنديّ الخلافة جيده
فلا زال وصَّالاً إلى ما يحثُّهُ ولا زال منصوراً على من يكيده

انتهت والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم.

النوع الثاني

في الرسائل الإخوانية

من ذلك رسالة رفيعة جداً سمعتها من لفظه غير قطع الشّعر التي في أولها، وهي:

يا نازحاً عني ولو ... أسطيع ما فارقتُهُ
ومؤلّفاً مني هوى ... لسواهُ قد فرّقته
ومعلقاً أملي به ... من بعد ما عُلّقْتُه
اللهُ يعلم أنني ... فتّ الغرام وفقته
وجهلتُ ما فَعَل الهوى ... في النأي حتى ذقته
وظننت أني شيّق ... فالآن قد حققته
وملكت أنسي بعدكم ... لكنني أعتقته
كم أورق جاريته ... شأو الأسى فسبقته
ما زلتُ أسكب مدمعي ... حتى لقد أنطقته
لم أدرِ إذ غَنّى ونُحْتُ ... أشاقني أم شقته
إن كان صبري بائداً ... يوماً فهذا وقته

فالقلب قد أحرقته والجفن قد أغرقته
وبليت غير صبابة من مدمع رقرقته
لولا رجاءُ لقائكم من بعدها لأرقته

* * *

أغيب وعندي بالوفاء حضور وينأى مزاري والكتاب يزور[1]
وأغدو وللتذكار بين جوانحي لهيب لدمع العين عنه صدور
وأدعوك والأشواق تفعلُ فعلها دعاءً له فوق الخلاص عبور
أعلل نفسي بالكتاب وَقلَّمَا شَفَتْ دَاءَ بَيْنٍ أَحْرُفٌ وسطورُ
وإني[2] وصبري عنك في النأي ليلة فكيف ليالٍ عدة، لصبور
وكيف اصطباري عن سَنِيٍّ سناؤه لأنفي نَوْرٌ (أ) ولطرفي نور
وما كنت ممن ضيّع الحزمَ قبلها ولكن حزمي في القضاءِ قصور
أبعدك والعلياءُ فيك سجيةٌ يطيب نعيم أو يتم سرور
أبى الله إلاَّ أنك الفضل كله وإن حَرِجَتْ مما أقول صدور
فكم لك عندي من معانٍ أنيقةٍ تسير ومعنى مَنْ سواك أسير
ومن فِقَر لو أَلَّفَ النظمُ بينها تحلتْ صدور درّها ونحور
يقصر عنها جِرولٌ ومهلهل[3] ويحذو عليها أخطل وجرير[4]
ففي كل خلّ ما خلاك مقالةٌ وفي كلِّ ودّ غير ودّك زور
ألا ليت شعري هل للقياك كرةٌ فيعدل دهر لا يزال يجور
ولا بأس من روح الإلٰه ولطفِهِ فإن تصاريف القضاءِ تدور

---

(1) هذا البيت بداية نص شعري يختلف عن سابقه دون أن يربطه مع سابقه برابط نثري.

(2) في الأصل: وان.

(3) جرول: هو جرول بن أوس الشاعر المخضرم المعروف بالحطيئة (انظر ترجمته في وفيات الأعيان 99/1 والأغاني ط دار الكتب 157/2 وغيرهما). مهلهل: هو الشاعر الجاهلي عدي ابن ربيعة التغلبي (انظر ترجمته في الشعر والشعراء 99 وجمهرة أشعار العرب 115 والبغدادي 300/1).

(4) الأخطل وجرير هما شاعرا النقائض المشهوران في العهد الأموي (انظر الأغاني 3/8 و 80 م ووفيات الأعيان 102/1.

فَتُدْرَكُ آمال وتُقْضَى مآربٌ وتحدث من بعد الأُمور أمور

* * *

تَغَيَّرتَ والأيامُ تصفو وتكدر ومن ذا الذي ينأى ولا يتغيرُ
وعاملتَ بالسُّلوان خِلاًّ فؤادُه ومنطقه ذكر لكم وتذكّر
طوى لك والأيامُ تبلى مودة تكادُ لإفراطِ الغضاضة تقطر
أبى الله أن أنسى إخاءك لمحةً وإن بَعُدَتْ منَّا ديارٌ وأعصر
وكيف تناسى من هواه وشخصه لقلبي فكر أو لعيني منظر
إذا غاب عن طرفي تلقاه ناظري فمن لُقْيَةٍ تُمْحَى وأخرى تُصَوَّرُ
وما زِلْتُ من خَطْبِ التَّفَرُّقِ مُشْفِقاً فقد حلَّ بي منه الذي كنت أحذرُ
فيا ليت سوءَ البُعْدِ عنك مقدمٌ ويا ليت حُسْنَ القُرْبِ منك مؤخر
وقد كثرت أيامُ لُقْياكَ قبلها ولكنَّ أيام التفرّق أكثر
وقد طالَ وجدي في ليالٍ طويلةٍ لبعدك كانت حين قُرْبِكَ تَقْصُرُ
وقد أصممتني عنك للبين روعةٌ ولكنْ لسانُ الحالِ عنك يعبر
ففي طَيِّ أحشائي لذكرك مجمر وفي نشر ألفاظي بذكرك عنبر

أَحَبُّ الكلام إليّ، وأصعبه عليَّ ما مثلته بمثالك، ونسجته على منوالك، ما الوشْيُ وقد أنقت صوانعه، وقَيَّدَتْ أوابد الألحاظ طرائقه ووشائعه:

وشى حكى روضة الآداب مودعة نور البديعين تتميم و(تجنيس)[1]
ترى به حيوان البرّ مصطلحاً ظبي الكناس يوازي ضيغم الخيس
كأنه وضياء الشمس تنشره والكفُّ تطويه أذناب الطواويس
كأن لابسه والتيه يعطفه نشوان يختال بين الكأس والكيس

مرّت لتخييره أعصار وأعصار، وكلَّت في استخراجه قوةً وفعلاً قلوبٌ وأبصار، فلما دانت القطاف أزهاره، وقاربت الإفصاح أطياره، وأخذت

(1) في الأصل: الأدب، وتحسن عوض تجنيس.

بمجامع القلوب خطوطه المتقاطعة وألوانه، ومَثُلَ في علمية[1] ذو يزن وغمدانه، وكسرى[2] وإيوانه[3]، ونمّقت يد الصّابغ والصابغة صفحته الناصعة، وحارت في بدائع رقومه العين المبصرة والآذان السامعة.

وأربى حسناً على الدِّينار المنقوش، والروض المعروش وصحَّ بعد نقده أنه نسيج وحده، وأصبح ليشكو الحر والغرب مظاهره، وليشف رقة عن باطنه ظاهره، سامه ندب[4] يهين المال وهو مكرم، ويرد الجيش وهو عرمرم، ويحوز سبق المجد بخلقي ابن مامة وابن مكرم .

عزته[5] المملكة بلبانها، وأطلعته السيادة في (أركانها)[6] فكساه[7] معاطف ريمية رومية، تستخشن الخزّ حين تلمسه وتستهجن القزّ وهي تلبسه، فشفَّ عن حسنها حسنه، ودلَّ على نهدها وخصرها زرّه وردنه[8]، وانثنت فيه فكان القضيب الميال فوق الكثيب (. . . . ل)[9] وأقبلت وأدبرت فكان الموت والحياة في ذلك الإدبار والإقبال.

ولا اليمّ وقد سمح ركابُه وسنّح ركَّابُهْ[10]، هبتْ ريحُهُ بليلاً وأعادت هجيره أصيلاً، وقرنت (32 أ) رباه بوهاده تسوية وتعديلاً، وأقامته للطرف الناظر، والذهن الحاضر سماء مَوْجُهُ (مَوْجُهَا)[11] وفلكه فلكها، فلما اطمأنت

---

(1) لعلها في عينيه.

(2) ذو يزن: سيف بن ذي يزن الحميري أحد ملوك العرب اليمانية في القرن السادس الميلادي، وغمدان هو قصر ملكه (انظره في سيرة ابن هشام 22/1 والكامل لابن الأثير 158/1)، وكسرى: ملك الفرس.

(3) والأيوان دار ملكه.

(4) النّدب: الخفيف في الحاجة الظريف النجيب.

(5) عزته: كذا ولعلها: غذّته.

(6) في الأصل: أكانها.

(7) القزّ: الابريسيم.

(8) الردن: أصل الكم.

(9) بياض في الأصل.

(10) سنّح: استدبر الريح.

(11) زيادة يقتضيها الأسلوب وموضعها بياض في الأصل.

جوانبه، واستوت أخصاره ومناكبه، (وتنابقت)[1] في أعنة الشمال والجنوب مراكبه، وسافرت بالنواظر فيه مسارحه الممتدة ومساربه، وافاه لآل [2] صُنْعَ مبدع له منقطع يستحثه الإقلال، ويستعجله المسكن الذي لا مال به ولا آل، ولا ماء عنده ولا آل.

فألفاه ودين العشيّ قد رجح، وغرابُ الغروب قد سنح، وطرف النجم إلى حمل الغزالة قد طمح، فركبه عجلاً، وأراغ مطلبه مستعجلاً، وما زال يحلُّ ويعقد، ويروم الوجدان فيفقد، إلى أن تجهم وجهُ الشمس بالنوء، وبقل[3] عارض الظلام في حدِّ الضوء.

فلما عاين دوائر السفن إلى مركز الشّط تَقْفِل، وأبواب البحر بينٍ السماء تُقْفَلْ، ورأى الشمس إلى الأفق الغربي تأرز[4] وألويةَ الليل في كل مرقبة تركز، ضمَّ مرساه، وذمَّ ممساه[5] وعزم على العودة، وقد ألقى بيد الخيبة زمامه، ورأى غنيمة غيبته تلك السلامة، فأنس وقد ولى، واستحوذ عليه الأسف واستولى.

لمعا[6] قاد عنان نظره، إلى اقتصاص أثره، فأمَّل وسجد، وأيقن أن وجد، وعَلته الأريحية وعاودته هزة الطمع الوحية، وود أن تعيره الشمس ولو وقفة التحية، وأرسى سكانه، ولم يعد مكانه، وأدلى رشاءه حيث شاءه، ثم غاص وقد أوثق أسبابه وتأبط جرابه فعثر على أعلاق لم تسبق إليها يد، ولا دل عليها قبله أحد، فظفر من الغنى بعايرة عينين، وطفق يحث في الجراب بكلتا اليدين، حتى أفعم ما تأبط، وعجل وقد كاد أن يتثبط، فصعد وقد سعد، وشد على تلك الغنيمة كَفَّ الضنانة، وأدَّاها إلى محله المقفر بالأمانة، فلما مد غرابُ الجنح جناحه، وأطفأ (هواءُ) الصبح مصباحه، فض الأغلاق عن الإغلاق، وما زال يميز الدُّرَّ من الخشلب، ويطلب الأنفس فيلح في الطلب

---

(1) تنابقت: كذا، ولعلها تسابقت أو تتابعت.
(2) اللآل: صانع اللؤلؤ. والآل بعده السراب والأهل.
(3) بقل: ظهر.
(4) قفلت السفن: رجعت، وقُفلت الأبواب: أغلقت.
(5) أرزت الشمس: رجعت، وهي مثلثة الراء.
(6) كذا ولعلها: ولمّا.

(32 ب) إلى أن خلَّص اللؤلؤ والـدر، واستخلص المتاع الحـر، فمن يـاقـوت كحلمـات النهود، وجـوهر كـالثغر البـرود، وزمردٍ وعقيق حكيـا الأصداغ على الخـدود، إلى بِلَوْرٍ كالأجيـاد والجباه، ومـرجان كـاللثات والشفـاه، فنظم عنـه عقـوداً وسلوكاً، وأمَّ بهـا رؤساء وملوكـاً فباعهـا بين المغـالي بـالثمن الغـالي، فَعُـوِّضَتْ من بطون البحـور بنحور الحُـور، ونُقلت من الصدف المقصـور إلى ضياء[1] القصور.

ولا الربيع وقـد نمقت رياضُـهْ، وأفهقت حياضـه، وقَيَّد العيـون وأطلقها خضرته وبياضه،يضاحك الشمس منه كوكب‌مشرق ،ويغازل خد الورد فيه جفن للنـرجس أرق، ويهفو على نـواره حشا للصبـا بالصبـابة قلق، ويلف أغصـانـه النسيم العليل بالسحر والأصيل، فتعتنق ثم تفترق، جادت عليه كل عين ثـرة، وعاهدته العهاد مـرة بعد مـرة، حتى لم تُبق له صـدأ في صفيحة ولا لحقـاً في صحيفة، فأصبح قد مج الماء رياً، وانبط في كل محنية سريـاً، وافترن شقـائق البوارق كمائم عمائمه، وانحلت عن أناشيد الأغاريد تمـائم حمائمـه، واختال في مفوفات البـرود، ومرصـوفات العقـود، وأبدى من نـرجسه وورده مـا أنسى مرض العيون وصحاح الخدود، وأضحى من خرير الجداول والغصون الموائل في خضر الغلائل، بين طبول ورايات، وأقام معركة اللهو في سفك دم المـدام ونياح النايات.

عثرتْ في نهره الصبا فدرجته، ونثرت دُرَّ طله في حجر ظله فدحـرجته، وتولعت بسر زهده في ضمير سحره فأحرجته حتى أخـرجته، فكـل ريح روح، وبكل محنية دوح، ولكل ورقاء في كل روضة غناء وفرح.

فأحسن مرئياً ومسموعاً وأحلى في أذن الفؤاد وقوعاً من كتاب فيـه كتائب للظرف ومـذاهب للسمـح والـطرف، وغـرائب مـودعـة منـه في قـوالب الاسم والفعل والحرف.

خط حكى الوشي المحبر، والروض المنور، ولفظ وجـد البلاغـة صورة فتشكـل وتصور، (شقق) عليـه المقـلُ (33 أ) جلبـاب الـطرب، ومـدّت إليـه

---

(1) زيد هنا حرف الجر (إلى).

الأسماعُ أسبابَ الطلب:

فكـأنــه شجــر بــدا لكنهــا شجر جنيت الطرف من ثمراتها

* * *

فسمــا بــه وهــو الـنهــايــة في الجـلالــة والـجـزالــه
ولــه الإطــابــة والإطــالــة والإصــابــة والأصــالــه
لـقــد اغتــدى فـي حسـنــه فــوق الـغــزالــة والغــزالــه

[إلى ابن حوط الله(*)]

لا زال فــي عــفــو وعــافــيــة تمض الليــالي وهي لا تـمضـي
وسـعــادة تــبــدو دلائــلهــا منــه عـلى الإبــرام والــنـقض
ومكــانــة طــرف الحســود لهــا وبـنــانــه فـي الــغض والـعضّ
هــذا مكــان القــول ذو سـعــة فضــل التقى وطهــارة العــرض
تــأوي المعــارف من نــداه إلى بعـد المدى في الـطول والعرض
شــابت خــلائقــه عـلى ضمــأٍ صـرف الحجا بـالسؤدد المحض
فــالله يــمــتــع أمــليــه بــه ويـصــون رونق عـلمــه الـغض
فــبـقــاؤه وبــقــاء مشــبــهــه زمــن لأهــل الأرض والأرض
نــظر نــواظــره مــســهــدة لـنــواظــر ملئت مـن الـغـمض
أخـللت بــالكــلّ الـحقيق لــه وأتـيـت مـن عـليــاه بــالـبعض
وأرى الــنــوافــل لا تـصــحّ إذا ذهب الفســاد بصحــة الفــرض
ومـقــام سـيــدنــا ومـسـنــدنــا أبـهـى حـلى لـكـنــه يـغــضـي
فـبـقـيـتَ والأعــداء ســاهــمــة جــذلان فـي دعــة وفي خـفض
مــا أَنَّتِ السُّحْبُ الـثقــال وقــد أخـذت عروق البـرق في النبض

(*) ابن حوط الله: عرف من معاصري الفازازي بهذا اللقب أخوان هما أبو محمد بن سليمان وأخوه داود المكنى بأبي سليمان، وكانا قاضيين في مدن كثيرة بالأندلس وفي سبتة، وقد ترجم لهما ابن عبد الملك وابن الزبير ونقل ذلك ابن الخطيب في الإحاطة (503/1) ولهما ذكر عابر غير الترجمة في الذيل والتكملة 230/8 - 232 والبيان المغرب (قسم الموحدين) ص 256 والاحاطة 327/2 والتكملة 883. كما عرف أبوهما وكان زاهداً فاضلاً).

وعليك السَّلامُ ما أعمل المدح إلى بابك السّنيّ ركابَه، واستعاد السماع ذكرك من كل مجيد لوضعه واستطابه، (ود)[1] عا الوافدين نحوك بسطٌ وثنتهم عن الوصول مهابه. كتابي كتاب ودّ وإن كان ضعيفاً في شعره والكتابة، (. . .)[2] بالنظراء والأشباه، في مدحهم للمال أو للجاه، وأنفت من صرف العنان لأمر يزهي بطاعة أمر أوناه، وعلمت أن الناس جنس واحد وتركت ما يجري على الأفواه، واحتطت للدنيا على علاتها والدين في مدح ابن حوط الله .

[إلى ابن معروف[3]]

وكتب رضي الله عنه؛

قل للمحدث[4] الصوفي من ... مغرم بالكمال مشغوف
أنت الذي إنْ وصفتُ شيمته ... فهمت منها أجلّ موصوف
علم ودين يعمّ نورهما ... كلٌّ بصير وكلٌّ مكفوف
إن كنت عنه بالشّخص منصرفا ... فخاطري عنه غير مصروف
وإن أشاع الصحاب حبَّهم ... قصرت حبي على ابن معروف

فلان أدام الله عزته وأنماها، وحرس مكنته وحماها، ولا أعدمه نعمة يتطابق اسمها ومسماها، وفطنة يقرب تناولها ويبعد مرماها.

كتب محبّه ومتمنيه، الراغب إلى الله تعالى في حال تقربه منه وتدنيه، المعتذر إليه عن إبطائه في مخاطبته وتأنيه، الذي إن مدح خِلاً سواه أو أشار إلى وليّ بهواه فإنما يعنيه فلان.

ولا جديد إلاَّ فضل الله السَّابغ الأثواب، ولطفه المفتح الأبواب، ورحمة

---

(1) زيادة عن الأصل يقتضيها تمام المعنى.
(2) بياض قدر كلمة.
(3) ابن معروف: لم أقف على ترجمته وما بين المعكوفين زيادة عن الأصل.
(4) في الحاشية وردت عبارة الفقيه على أنها في موضع المحدث.

الله التي لا تحوج ـ وله الحمد كثيراً ـ إلى وساطة الأسباب، وأنا لذكرك نديم، وبي من بعدك مقعد مقيم، ومضمر جناني ومظهر(ه) [1] تبجيل لك وتعظيم.

وشوقي إليك شوق الأرق إلى إصباحه وا(لـ. . . . .) [2] ألى نغمة ممتاحة، وأنسي بذكرك أنس المحبّ بمعالم أحبا(به) [3]، وابن الثمانين بتذكر أيام شبابه، وثنائي عليك ثناء الرياض على مدة حياها، والجسوم على مدة محياها، فإن كنت للروح روحاً، وخلا لم يزل محموداً ممدوحاً، والحبيب الذي سرّني مسموعاً وملموحاً.

قسماً بالله العظيم وهو أجل الأقسام، والحلف الذي لا يبيح غيره الإسلام، إني لأحنُّ إلى لقائك حنين الواله، وأوالي ذكرك ولولا الحبّ لم أواله، وأتمنى مثال أنسك ومن لي بمثاله، ومتى أظفر بشخص تلقى به النفس مناها، وترى منه غاية القرة [4] عيناها، تفنّن ألقت المعارف في يمناه يمناها، وتديّن شهدت له الكعبة المقدسة وعرفتها ومناها، ومودة تفهم من صدق ألفاظها صدق معناها.

أفنى الشبيبة عالماً أو عاملاً، ورأى في حجته المبرورة وزيارته المشكورة كلَّ ما كان آملاً (34 ب) وحلَّ من تلك المواضع الشوقية والمطالع الشرقية بكل طائل، وقضى أرباً من لقاء كل عالم فيها وعامل، وشارك أشياخه علماً وعملاً فيما لديهم من المعارف والفضائل، إلى ما امتاز به من مجالسة تفضح الروض وهو أنيق، ومحادثة تبهرج [5] المسك وهو فتيق [6].

أن عاينته رأيت ظرفاً مملوءاً ظرفاً، أو باحثته لم تفقد من تلك المعالم المطهَّرة حرفاً، فكأنك تعاين الإسكندرية ومنارها [7] ومصر وعـ (. . . .) [8]،

---

(1) زيادة عن النص.

(2) بياض في الأصل.

(3) زيادة يقتضيها تمام المعنى والسجع.

(4) قرّة العين: بردها أو رؤيتها ما كانت متشوقة إليه.

(5) تبهرج المسك: تهدره وتنشره.

(6) فتق الشيء: شقه، والفتق أن ينحل الغشاء وينفذ منه جسم كان محصوراً فيه قبل الشق.

(7) منارة الاسكندرية: إحدى عجائب الدنيا السبع كانت ترشد السفن بالضوء الناتج عن احتراق الخشب ليلاً وبدخانه نهاراً.

(8) بياض في الأصل.

وأدلاجها وتعريسها[1]، ودمياط وتنسيها[2]، والنيل ومدّه، وابن أيوب وجنده، وعذاب[3] وصحراءها، والبجات[4] وأسراءها. وجدة ولجتها[5]، ومكة وبهجتها، والعمرة وحجتها، والتلبية وضجتها، والكعبة وسناءها، وزمزم وماءها، والركن وميزابه[6]، والحرم وأبوابه، والطواف وأسباعه، وأبا قبيس[7] وارتفاعه، والباب وعروته، والصفا ومروته، والكسوة وجلوتها، والدار وندوتها، وعرفة ومشعرها[8] ومنى ومنحرها، والموقف وأريجه، والحجيج وعجيجه، والدموع وانسكابها، والضلوع والتهابها، والعقبة وحجرتها، والبطحاء وعمرتها، والعراق وجموعها والعجم وشموعها، وبدراً وكثيبه[9]، والمشهد ... والعقيق[10] وأشرافه، والتخيل والتفافه، وطيبة وطيبها[11] وقاضيها وخطيبها، والروضة ونورها، والمدينة ونورها، والمدينة ودورها، والمسجد وزواياه، والمنبر وبقاياه، وقباء وقبته[12]، وسيد الشهداء وتربته[13]، والبقيع وسكانه[14]، وأحد وأركانه[15].

---

(1) الادلاج: السير ليلاً، والتعريس: نزول المسافر للاستراحة.

(2) دمياط: مدينة بمصر تقع شمال الدلتا، وإلى الشرق منها بحيرة المنزلة التي تعد تنيس من أكبر مدنها في العصور الوسطى، وقد اشتهرت تنيس آنئذ بالمنسوجات.

(3) عذاب: (كذا): والمراد: عيذاب وهي مدينة صحراوية يجتاز الحجاج المغاربة منها إلى جدة عبر البحر الأحمر (انظر الروض المعطار 423).

(4) البجات: قبائل تسكن صحراء مصر الشرقية، وكان منها يرسل وال ليتولى شؤون عيذاب.

(5) اللجة: معظم الماء.

(6) الركن: هو الركن اليماني، وميزاب البيت في جهة منه وهو المعروف بميزاب الرحمة.

(7) أبو قبيس: جبل في مكة ينعت بشيخ الجبال (راجع عنه الروض المعطار 452 ومعجم ما استعجم للبكري 1040/3).

(8) مشعرها: المشعر الحرام وهو آخر أرض المزدلفة الواقعة بين عرفة ومنى.

(9) بدر: موقع المعركة الشهيرة، والكثيب: القل من الرمل.

(10) العقيق: اسم لموضع بالجزيرة العربية، والمراد هنا عقيق المدينة المنورة.

(11) طيبة: مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

(12) قباء: موضع بالمدينة المنورة أسس فيه أول مسجد بها ويقع في الجنوب الغربي منها.

(13) سيد الشهداء: هو حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(14) البقيع: مقبرة بجانب المسجد النبوي فيها رفات أكثر من عشرة آلاف من الصحابة رضي الله عنهم.

(15) أحد: جبل أحد معروف ويقع على بعد أربع كيلومترات شمال المدينة وفي سفحه مقبرة شهداء معركة أحد.

معـالمُ يفنى كـلّ شيء وإنـهـا مجـددة في قلب كـلّ مـوحـد
نلوذ بهـا حسـاً ومعنى فـننـشني بمـا نشتهيـه بين قبـر ومسجـد
ومن ذا الـذي تُعْيِيهِ أوجـهُ مطلب تنـاولهـا مستشفـعـاً بمـحمـد

صلى الله عليه وسلم، ولله أيامي بجواره، ومسرتي بالعلق[1] الخطير من حواره، آه لفقدانها، ومن لي بها تعللاً بنشدانها، وعسى الله أن يعيدها ويقر[2] بالي في عافية يعيدها (. . .)[3] أما أنّي (معيت) بعـدك، أيها الـولي الحميم، والخل (35 أ) الذي ودُّه الود الصميم، بمن تشجى النفس لقياه، ويقذي العين مرآه، ويجعل دينه وقاية لدنياه، لا همَّة إلا في الحطام وجمعه، ولا حديث إلاّ في الضر الدنيوي ونفعه، طـوى ذكر الـدين بتاتـاً، وأصبح الجمهـور في طرق الحقيقة وهم أحياء أمواتاً، فقد قَلَّ المفلح والله المصلح.

أسأل الله تعالى جمع الشّمل بك في تلك العرصات الكريمة، والحلول في كنف الرحمة في أنضر روض تحت أغزر ديمة [4]؛ والمنّ بتوبـة لا مثنويـة فيها، وإنابة تتكفل بجبر هذه الحال المختلة وتلافيها، حتى تنقبض بقايا الدنيا في وجوه بنيها، ونترك أطلالها في يدي من يبنيها، فما ذلك على الله بعزيز.

أوثر منك تعجيل جوابك، والتعليل بكتابك، ومعـاملتي في الخروج من العجر والبجر [5] معاملة أحبابك، وإعلامي كيف ذلك القطر الأنيق وانفساحه، وتلاعه الموشية (و) بطاحه، وبحره اللجيّ، ومولجـه الزنجي، وبـاب البنود[6] ورابـطته، وطـرفا الـروض الأمـامي وواسـطتـه، وخـطا النهـر السلكي وتـربـه المسكي، والجـو المشـرق والنسيم العبق، والأزاهـر التي هي لـو (. . . .)[7]

---

(1) العلق: النفيس من كل شيء.
(2) يقر: في الأصل (نقر).
(3) بياض في الأصل قدر كلمة.
(4) ديمة: مطر.
(5) يقولون أفضيت إليك بعجري وبجري: أي بأمري كله (الصحاح).
(6) بـاب البنود: يـطلق على أحد أبـواب حي القصبة في غـرناطـة بني الأحمـر ويفصله عن قصبـة الحمراء نهر حدرة (انظر الاحاطة 65/2 ، 75، والنفح 294/7 والآثار الأندلسية البـاقية 163، فهـل كان هذا قائماً في حياة الفازازي؟.
(7) بياض في الأصل.

ريحاً تختلف وتتفق هل حالها حالها أم غيرها؟ والله (. . . .)[1] محالها، فالزمن خوان، وسيرته في الزمان نقصان.

( )[2] كانت للمسرة معهداً فبانت فلي من غيرها الخُزْنُ والحَزْنُ

( )[3] الحيا ما دام حياً خيالها سجالاً يكلُّ الليل عنهن والوزن

إذا المزن لم يضحك عليها بوارقا ولم يبك أجفاناً فلا طلع المزن

طالما ألممت بذلك الساحل، وأسلفت فيه أياماً طويتها طيّ المراحل، وها أنا الآن حِلس البيت[4]، وحيٌ في معنى الميت، عاقتني عن لحج الطير عوائق، وحالت بيني وبين الحدائق، وأين الحدائق؟

وأما الناس فالجنسية معدومة، ووراء هذه الإشارة أمور مكتومة:

أطلت وحقي أن أطيل لأنني أخاطب طوداً مشرفاً هضباته

إذا أشكلت[5]. .

[الى ابن المعز[6]]

لله أيامي بكم لو لم تعاجلها السآمهْ

صدرتْ لحين ورودها فكأنها كانتْ منامه

هي كالحياةِ فقدتها فلقيتُ أهوال القيامه

ما العيش بعدك صالحاً يابن المعز ولاكرامه

يا سيدي ولديَّ ودٌّ قد تحققت التزامه

إن النوى لم تنتقص مما عهدت ولا قلامه

---

(1) بياض في الأصل.

(2) كلمة على وزن (منازل) ومعناها، وموضعها بياض في الأصل.

(3) كلمة على وزن ومعنى (يدوم) وموضعها بياض في الأصل.

(4) حلس البيت: كناية عن طول مكثه فيه ولعلها إشارة إلى الفترة التي أجبر فيها على ذلك.

(5) انقطاع طويل إذ لا نجد في الصفحة التالية تكملة التعقيبة المتبقية أعلاه.

(6) ابن المعز: أظنه يوسف بن محمد المكلاتي الذي وضع الفازازي طرراً في الرد عليه (الذيل 432/8).

أنـى تـخـونُ مـودةٌ كـانت لهـا التقـوى دعـامـه
ولقـد نـظمتُ عـلى النـوى شعـراً فلم أحمدْ نِـظَامـه
ويـقـلُ ذاك لـحـاضـر رام الـتـبيُّـن حـيـن رامـه
فـي مـوقف لا ابن العميـد[1] يـفـوه فـيـه ولا قُـدامـه[2]
حـزتَ الـعـلوم فـلم تـدعْ فـيهـا عـلى نـور كـمـامـه
وزريـتَ في شـاوِ الـسَّمـاح على (عـلا) كعب بن مـامـه[3]
فـاخـلُدْ فـإن الفـضـلَ مـا خُلِّدتَ مـرفـوعِ الـظُلامـة
وتـوقَّ مـكـروهَ الـزَّمـان مـن الـعـلا بـأجـنّ لامـه
ولقـد نـدمتُ عـلى الفـراق وغـايـتي فـيـه الـنَّـدامـه
إن بـنـتـم فَـوِدَادُكُـمْ حسنُ الـوسـامـة والقَسَـامـهْ
سـيَّـان قـربـك والـنَّـوى في خـاطـري لهـما المقـامـه
فـإذا دنـوت فـمـرحـباً وإذا نـأيـت فـبـالـسَّـلامـه
ثـم الـسَّـلام عـلـيـك مـا غـنَّت عـلى فَـنَـنٍ حـمـامـه

وكتب رضي الله عنه شافعاً لبعض الطلبة (أبرَّهم الله)

الفقيه أبو فلان، كاتب الإمامة، المخصوص بالحظوة والكرامة، أبقاه الله في عصمة لا ينتثر عَقدها، ونعمة لا ينتثر عِقدها.

(36 أ) كتب وليُّه المسرور بما لا يزال يسمعه عنه من الأفضال مع التكرار، والاشتمال مع الأحرار، واللطف متعهد، والفضل مع الساعات

---

(1) ابن العميد: هو محمد بن الحسين العميد الكاتب العباسي المشهور (360 هـ) (ترجمته في يتيمة الدهر 2/3 والوفيات 57/2 ومعاهد التنصيص 115/2 والكامل حوادث سنة 359).

(2) وقدامة: هو قدامة بن جعفر البغدادي الكاتب المتوفي في سنة 337 وصاحب المؤلفات الجياد في الأدب والتاريخ والسياسة (ترجمته في النجوم الزاهرة 297/3 ومعجم الأدباء 203/6 ونقد النثر 33 وغيرها).

(3) كعب بن مامة: هو كعب الأيادي الذي يضرب به المثل في حسن الجوار، عاش في الجاهلية وكان في الكرم ثالث ثلاثة مع حاتم طيء وهرم بن سنان (انظر أمثال الميداني 109/1, 123 وهبة الأيام للبديعي 249 والأزمنة والأمكنة 221/2).

متجدد، وقد وشج بيننا من ذمة الصحابة ما (. . .)[1] على حرمة القرابة، فلا غرو أن يحمل بعضنا بعضاً كَلَّه[2]، ويجشمه بعض مهمه أو كُلَّه، فاليد تعين أختها، والضلوع تصون ما تحتها.

وقد كنت استدعيت إحسانك لفلان فأجاب، ووالى قبله الأيادي الرّغاب، فهو الآن يهصر[3] أفنان الإحسان، ويحضر في مديان الامتنان، قد كثرت فاشيته[4]، وأدى الزكاة عينه وحرثه وماشيته، والله تعالى ينفعك بها يداً قَلَّ مُسْدِيها وعدمت يد تؤديها.

وإن فلاناً حامل راية الفضل باليمين، والسامي إلى البراعة والبلاغة منقطع القرين، واختباره يغني دعواه عن تكلف شاهد عليها أو يمين، وكنت صحبته بفلانة[5] فألفيته في المعاملة براً، وعلى المباحثة حراً، وكان ينتحل حرفة التوثيق وهي غير وثيقة، ويحاول تنبيه الحال بها وهي غير مفيقة، ولما رأى الكف لا تزداد إلاّ صفراً أخذت سفراً، وقال لعلي أجد للعين عيناً أو أثراً. ثم رمى بهمّته (. . .)[6] القصيّ، واعتام بأوامه[7] السّدي السّري، وقال: غرناطة (. . . .)[8] ليس له مترك، وقاضيها مفضل ليس عنه معزل، ولا تكرار يلفي المورد عذباً، وقد يمم[9] حراً ندباً، ولا غرو أن يجد الأرب سهلاً، وقد اعتمد مستحقاً للاحسان وأهلاً، وستسمع من نظمه لمحاسنك ما يكسبك أريحية وحيه[10]، ويحرك منك عصبية أدبية، والطالب يقنعه البشر، ويكفيه من اللب القشر، لا زلت وقدرك مرقي وذكرك بالدعاء له والثناء عليه موفى، ولأهل الحقوق على الناس، يوجبون لك على أنفسهم فضلاً وحقاً، إن شاء الله تعالى.

---

(1) بياض قدر كلمة في معنى (يزيد).
(2) الكلّ: الثقل والأعياء.
(3) يهصر: يجذب. وأفنان: ضروب.
(4) الفاشية: ما انتشر من المال كالغنم السائمة.
(5) اشارة إلى مدينة.
(6) بياض في الأصل لعل فيه (إلى البلد).
(7) أوامه: يقال أوامه الكلاسمنة، وعظم خلفه.
(8) بياض في الأصل قدر كلمة.
(9) يمم: قصد.
(10) وحيه: سريعه.

وكتب رضي الله تعالى عنه في ذلك المعنى:

السلام على ذي المواهب التي لا يكتّ[1] حسابها، والمناقب (36 ب) التي لا تنبتُ أسبابها، أبقاه الله معتزاً بالدين مهتزاً لمطالب القاصدين.

كتب محبه لكرم خلاله، الشاكر له على تجاوزه في الإحسان والإيثار طور حاله، المسرور بالمسموع من صنائعه الجميلة من جاهه وماله، المتمني لقاءه ليرى الشخص المجمع على فضله وأفضاله، وهو يعترف بالله[2] سبحانه باللطف الدائب، وعلى نفسه بالتقصير في الواجب، وعنده أيها العلم المحترم، والسَّرِّي الذي سجاياه الفضل والكرم، من التشيُّع لك والمشايعة لمن آثرك وفضَّلك، والمكاثرة والمفاخرة بالمحاسن التي قبلك، ما عند من عرف الحق فآثره، (. . .)[3] مصدق بعدم الجود وقد عاين أثره.

وقد كان فلان ألقى من (. . . . . .)[4] لك المنازع، وشرف ذلك الخلق البارع، ما انقادت له النفس انقياد السامع الطائع، وعزمت على التبرك برؤيته لولا إباء الأعذار، وغلبة الموانع، وإلى هلم جراً، ففي كل يوم يُهدي عنك خبر سري ويبدو منك أثر بالشكر حرّى، لا جرم أن الأفئدة مفطورة على ولائك، والألسنة مقصورة على شكرك وثنائك، أمتعك الله بالعلا، ولا سلبك هذه الحُلى.

وفلان كنيف[5] مليء محاسن، وشخيص يروق الأذن والمعاين، ما شئت من خط يبهر الحمائل المنورة، وشدو يخجل العنادل[6] المصرصرة[7]، وأدب يستجلب النفوس الأبية ويستحضر القلوب النائية، وقد أصابه الزمن بأرزائه

---

(1) لا يكت: لا يحصي.

(2) بالله: كذا ولعلها (لله).

(3) بياض صغير.

(4) بياض قدر كلمتين.

(5) الكنيف: الوعاء، وقد جاء في الحديث (كنيف مليء علماً) وهو وصف أطلق على الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أيضاً أطلقه عليه سيدنا عمر (رض).

(6) العنادل: جمع العندليب وهو البلبل؛ أو الطائر يصوت ألواناً، أو الهزار.

(7) المصرصرة: المصوتة.

وخامر الزمن[1] كلَّ جزء من أجزائه، فأصبح ذا كف صفر، وطرف لا يجول في بيض ولا صفر، وقد أمَّك لما تُؤمِّ به الأكارم، واعتامك كما تعتام البحور الخضارم[2]، وسيرد منك على حرٍّ يأسو كلمه[3]، ويسرّي بجميل اللقاء همّه، ولا يخليه من نظر له وإليه، ورفق به وعطف عليه، لا زِلْتَ للآمال منتجعاً وللسّؤال مصطافاً ومرتبعاً.

وكتب رضي الله عنه في ذلك المعنى:

فلان أبقى الله رفعته عالية المراقي، حالية التراقي، (37 أ) كتبته ونعمة الله السابغة لا تزال تتغمد، والله تعالى يعين على شكر نعمته، ويمن عاجلاً بالعودة إلى عز خدمته بمنه.

وعندي أيها الشيخ المحترم الجانب، الملتزم الواجب، من الثناء على فضلك، والاعتراف بأني لم أظفر في أبناء الرئاسة بمثلك ما عند من علم تصرفك في كرم المناحي والمنازع، وتوقفك في المشكلات مع أفضل صارف من الدين وأفصح وازع، نفعك الله بما خصك به من صدر سليم من الحقد، وطبع بعيد عن تعقب النقد.

وفلان صحبته مدة، وخبرت منه حسن أدب وصدق مودة، وله رغبة في أن تكون من آكد عُدده، وأقوى الأسباب بعد الله تعالى في إقامة أوده، وأنت تأخذ محسناً بيده، وتعينه على ما يبغيه من العودة إلى بلده وولده، جعلك الله ممن صان ماله ببذله، وتوسل بالمؤاساة بفضله إلى جود الله تعالى وفضله، ولا أعدمك إسداء معروف وإجزال إحسان إلى مستحق له ولأهله.

وكتب في ذلك المعنى أيضاً:

كتب ملتزم برّه، المعترف بما رآه من سماح كفه وانشراح صدره، ولطف الله تعالى ظل منهمل، وظل غير منتقل، والحمد لله رب العالمين حمداً يجدد نعمته، ويخلد رحمته.

---

(1) الزمن في الجملة الأولى: الوقت، وفي الثانية المرض الدائم..

(2) البحار الخضارم: كثيرة المياه.

(3) يأسو كلمه: يداوي جرحه.

وعندي من تعظيمك والثناء على حديثك وقديمك ما عند من تحقق سروك، ورأى وجوه الآمال متوجهة نحوك، والله تعالى يديم لك النعم التي لها تقصد، ويبقى عليك الشيم التي عليها تُحْسَد.

وفلان صحبته فوجب لصحبته ذمام، وتعيّن لمعرفته ( )[1] وإكرام، وإن لم يتفق في المعونة فعل فلا بأس أن يتفق كلام، ولا أكسد من بضاعة الشفاعة إلاّ عند مثلك من كريم وابن كرام. وحاجة هذا الصاحب استمطار لهضبة فضلك، واستنصار بهضبة طولك، وفي مجدك الشهير ما يورده الظّل صافياً، ويسبغ عليه الظلّ وافياً. أبقاك الله لتكريم الوفادة، وتفخيم الإفادة، ونفعك بما حلاك من شمائل السّرو[2] والسيادة بمنه.

وكتب رضي الله عنه مراجعاً:

(37 ب) سلام على فلان، أبقاه الله في كرامة جديدة المعاهد، وسعادة شديدة المعاقد، وفضله قذى في عين الناقم، وشجى لصدر الناقد.

كتب الشاكر له حلاً وارتحالاً، المجدد مع كل برق بخفوق نسيم يهفو له ذكراً وعنه سؤالاً، والألطاف تبهر الغمائم انسكاباً، وتملأ الأنامل حساباً، وتعد لكل حاجة قضاء، ولكل مسألة جواباً، والحمد لله رب العالمين حمداً يفتح للقبول أبواباً، ويجعل مضاعفة النعماء ومتابعة الآلاء أجراً وثواباً.

وودّك أيها الصديق البيّن صدقه، المتعين حقه، المتشوق لأجله ناسه وأفقه، غالب على الفكر مالىء ما بين الجوانح والصدر، والله تعالى ينفع بها أخوة صافية، ويزينها بلذتي المجاورة والمحاورة عافية، بمنه.

وقد وصل كتابك المبرور، فنعمَ بالي، وجدَّد أنسي البالي، وقدَّر عندي من صفائك ووفائك ما لم أزل أتعرفه المتصل المتوالي، فلو أن السطور تستحيل شذوراً، والفقر تصير دراً، لما نفقت للسلوك عند الملوك سوق، ولا تحلت سواها سوالف ومعاصم وسوق.

وأحْرِ بكلام أسَّسته وثاقةُ الصداقة، وحسنته جدةُ المودة أن تنتقد[3]

---

(1) بياض في الأصل قدر كلمة.

(2) السرو: سخاء في مروءة.

(3) كذا: ولعلها تلتقط.

العيون عيونه، وتعتقد القلوب كل سحر دونه، فلو أن الصادين رأياه لفدياه، ولو أن الدالين سمعاه لما تعدياه، والله تعالى يبقيك وروض فهمك أنيق، ونسيم ذهنك رقيق، وكلام بلغاء عصرك لنثرك رقيق[1] بمنٍّ الله تعالى.

وحالي عقب ترحالي على ما يرضيك، لم أعدم محبوباً إلاَّ مرآك، ولا وجدت مكروهاً إلا مناك[2]، ومثلك يكفيه تعريض لفظه، ويغنيه إيماءٌ[3] لحظه. والحمد لله الذي كلّ يسر بتيسيره، وكل خير بتقديره، وتفصيل هذا التجميل[4] يمنع منه شغل أستحق اليد والخلد، ومحتمل أطال الحفز[5] وقصر الأمد، وفضلك يغضي عن خطلي ولا يقيس حليّه على عطلي، فما أصبحت من أصبح، ولا سبحت من بحر البلاغة حيث يسبح، أبت لي ذلك نسبة بربرية[6]، وفكرة من دعوى الأدب بريئة، والله تعالى يرزقنا إراحة من العلل، وفصاحة في العمل، بمنه:

رحلتُ وقد وجدتُ العيش مرا ... بسعي البغي والمرعى وخيما
فسنّى الله لي براً حديثاً ... نسيتُ بطيبه البرّ القديما
فمن يك سائلاً عني فإني ... وجدتُ الله رحماناً رحيما

وكتب رضي الله عنه إلى شمس الدين أبي المعالي محمود بن أبي القاسم الفارسي[7]:

صدروا وسحر لحاظهم يغريني ... ونأوا وفرط صبابتي يدعوني

---

(1) رقيق في الجملة الأولى: عليل وفي الثانية: مملوك.
(2) مناك: بعدك.
(3) في الأصل: أيما.
(4) التجميل: صوابه الاجمال لأن المصدر القياسي لأفعل الأفعال.
(5) الحفز: الدفع.
(6) انظر التعريف بنسبه في المقدمة.
(7) أبو المعالي الفارسي: ورد اسمه المذكور أعلاه في الذيل والتكملة 368/8 وفيه أن ابن الآبار ذكره في الغرباء تَزَيُّداً على منهجه لأنه لم يدخل الأندلس، وفيه إشارة إلى أن الفازازي لقيه بتونس زمن الناصر من بني عبد المؤمن (قارن مع التكملة 730) والقصيدة في الموقع المشار إليه من الذيل والتكملة.

وتحملوا وتخلفوا مني لقي ... في ربعهم أشجيه أو يشجيني
فأقول للأطلال أين أحبتي ... وتقول لي الأطلال أين قطيني
لازمت من إيثارهم آثارهم ... لو أنني عاملت من يجزيني
لله وجد فيهم أخفيته ... فيما أظن وإنما يخفيني [1]
لاموا على ترك البكاء ... نزفتْ شؤون الحب ماء شؤوني
نعب الغراب وللمشوق كهانة ... فعلمت قطعاً أنه يعنيني
لما استقلوا واستقلوا عذرهم [2] ... نسخت مناي لديهم بمنون
فتبعتهم وجِمَالهم يُحدى بهم ... وجَمَالُهم من فوقها يحدوني
يا معرضين وقد عرضت مشيّعاً ... ردُّوا السَّلام فلفظة تكفيني
هاكم فؤادي فاقبلوه وإنه ... ثمن يجلّ لديّ عن مثمون
فضوا سجوف [3] الخزّ عن أحداجهم ... فبدت لي الأقمار فوق غصون
وفهمت سرَّ الحسن وهو مكتّم ... في ليل شعر فوق صبح جبين
ورهنت لُبِّي والحياة بوقفة ... ضنوا بها من بعد قبض رهون
وتسلموا رهني وما أن أسلموا ... تيهاً فبؤت بصفقة المغبون
أملت آرام الكناس ودونها ... للطارق المحزون أسد عرين
وسلكت وجداً في طريق هواهم ... ما بين مأسور وبين طعين
وظننت لين قدودهم بقلوبهم ... فإذا القساوة طيّ ذاك اللين
عاهدتهم ألّا فراق وإنما ... عاهدت كالحرباء في التلوين
وقررت عينا بالخداع وقلّما ... قرَّتْ عيون عند حور عين
ورجوت في تحسينهم تحصينهم ... فجهلت ما للصاد معنى السين
ولقد مررت على المنازل بعدهم ... فذكرت عهد صبابتي ومجوني
ولمحت من نعمان [4] ما يشفيني [5] ... ورأيت من يبرين [6] ما يبريني

---

(1) هذا البيت غير وارد في الذيل والتكملة.

(2) في الذيل: خدرهم.

(3) السجف: الستر.

(4) نعمان: وادي عرفة «الروض»

(5) في الأصل: ما يشفني وفي الذيل والتكملة: ما يشقيني.

(6) يبرين: اسم لمواضع في الجزيرة العربية والشام (معجم البلدان).

أيام طرفي[1] رابع في روضة ... للحسن بين سوالف وعيون
متفرق اللحظات في أفنانها ... للجمع بين الورد والنسرين
ووجدت من ريق هناك ونغمة ... أشهى من الصهباء والتلحين
ونشقت عرفا خلت حين نشقته ... أن النسيم يهب عن دارين
عيش نعمت به فبان ببينه ... صبر أتاني فقده بشجون
كان الفؤاد براحة[2] في راحة ... للوصل بين معاقل وحصون
فالآن إذ حلَّ الصدود بربعها ... عقدت عليه عقدة التسعين
يا قلب طاوعت الجفون سفاهة ... فجزاك ضعف فتورها بفتون
أسرتْكَ لما قَيَّدَتْكَ بسحرها ... فاخلدْ بلا فك ولا تأمين
خلت الجفون من السيوف قريبة ... ما جُرْحُ أسيافٍ كجرح جفون
إياك من لمح اللحاظ فإنه ... سهم لقوس الحاجب المقرون
هوّن إذا هولت[3] واعلم إنما ... تقوى على التهويل[4] بالتهوين
ولكم عذول قد رددت مقاله ... ردَّ المقيم على مقام الهون
لم أستطع رجع الكلام وإنما ... أعربت عما شفني بأنين
لا نصح يجدي في مشوق جسمه ... قد دقَّ حتى عاد كالعرجون
دع ذكر عروة أو كثيّر عزة ... وابن الذريح وقيس المجنون[5]
يكفيك من بحر الغرام وعصفه ... دمع الهوى وتنفس المحزون
لا صبر لي من بعدهم لا صبر لي ... لو أنني في حلم شمس الدين[6]
العالم العلم الذي تزهي به ... أرض العراق إلى أراضي الصين
والأوحد السباق غير مدافع ... في حلبة المفروض والمستون
إنسان عين الفضل قلب ضلوعه ... بشواهد جلت عن التبيين

---

(1) في الأصل: ظرفي.
(2) في الذيل: برامة.
(3 - 4) في الأصل: هونت والتهوين والتصويب من الذيل.
(5) في البيت إشارات إلى عروة بن حزام وكثير عزة وقيس بن ذريح وقيس بن الملوح، وهم من شعراء الغزل المشاهير.
(6) شمس الدين: هو الممدوح أبو المعالي الفارسي.

بـالله أو لله أوفـي الله مـا ... يـأتيـه حيـن تـحـرَّك وسكـون
لم يـأت في الإبـداع فنـاً واحـداً ... إلَّا أتـى مـن بـعـده بـفـنـون
حِفْظُ ابن اسمـاعيـل فقـه ربيعـة ... زهـد الجنيـد ذكـاء أفـلاطـون[1]
أن ظـن أرسـل ذهنـه مستثبتـاً ... فـأتـاه عـمـا ظـنـه بـيـقـيـن
يـا من يعـارضـه بعـارض علمـه[2] ... أيـاك خـوض البحـر دون سفين
كـم مـدَّع رام الـذي قـد رمتـه ... بـمغـالـطات في حلى تـزيـين
عـطف الصـواب للبسـه فـأزاحـه ... عـطف الصباح على الليـالي الجون
(لا)[3] تـطلبنْ حصراً لبعض كمالـه ... قـد جـاء مـا قـد جـلَّ عن قـانـون
نصِّ الإمـام الـشـافعي بـمقـول ... بـالـحق في تحقـيقـه مـقـرون
يفـري مقـال مخـالفيـه كـأنـه ... سيف الـوصي يجـول في صفّين[4]
لـولا التعصب إذ سمعت حجاجـه ... لعـدلت للمـزني عن سحـنـون[5]
حـاز[6] البيـان فـمـا يحيط بمثله ... فـلك الـبـروج إلى مـقـر الـنـون
وحـوى أفـانين العـلاء بـأسـرهـا[7] ... والـنـاس يـفـتـنـون فـي أفـنـون
ولقـد أبـرَّ على الجميـع بيـانـه ... في فـنّي الـمعلوم والـمـظنـون
إيـهٍ ولـلآداب مـنـه فـخـرهـا ... إذ فـاق في المنثـور والـمـوزون
سِلْمٌ لأبـكـار الـمعـاني ذهنـه ... وسـواه حـرب للمعـاني العـون[8]
بـرزت لـنـا ألفـاظـه مـختـالـة ... في كـل عـلق لـلعلوم مـصـون

---

(1) ابن إسماعيل: هو الإمام البخاري وربيعة: هـو ربيعة الـرأي شيخ الإمـام مالـك. والجنيد هـو الصوفي الجنيد بن محمد البغدادي وأفلاطون هو الفيلسوف المشهـور، وقد علق الـدكتور ابن شريفة على الإشارة إلى أفلاطون بقوله: (ومن الغريب تمثيل الفازازي به مع أنه اشتهر بمعاداة أهل الفلسفة، واستشهد ببيت له ينال من الفلاسفة وأولهم أفلاطون. الذيل والتكملة 368/8 .

(2) في الأصل/ (تعارضة يعارض).

(3) في الأصل: لتطلبنَّ.

(4) الوصي هو الإمام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وصفين إشارة إلى المعركة الشهيرة.

(5) المزني هو الإمام الشافعي المذهب إسماعيل بن يحيى، وسحنون بن عبد السلام جامع المـدونة في الفقه المالكي وفي البيت إشارة إلى مذهب أبي المعالي وهو المذهب الشافعي.

(6) في الذيل: عجز البيان.

(7) في الذيل: يدري أفانين العلوم.

(8) الأبكار: العذارى، والعون: الثيبات، وقد استعار اللفظتين للمعاني الجديدة والمبتذلة.

وأبـان من علم الكلام وغيره ... ما كان إذ ما كان غير مبين
وطمت بحار علومه فتقاذفت ... من لفظه باللؤلؤ المكنون
ساوى لديه معلم متعلماً ... إذ كلهم في رتبة التلقين
صدروا وقد وردوا بحار علومه ... من غير ممنوع ولا ممنون[7]
يا طالباً للعلم هاك نصيحة ... لمجرب في نصحه مأمون
لا تعدلنْ بأبي المعالي غيره ... فتقيس مضموناً[2] على مظنون
عنوان ما أخفاه من أخلاقه ... بشر يلوح بوجهه الميمون
أكرم بنفس للنفائس أُهِّلَتْ ... فتمكنت في رتبة التمكين
لو يُستطاع لَدُوِّنَتْ آدابُه ... لكنها أعيت على التدوين
حبر يقل لذرة[3] من بحره ... ما جهَّزت بورانُ للمأمون[4]
يا سيدا عمّ البرية علمه ... قولاً وفعلاً فاستفادوا دوني[5]
من شك في أن ليس غيرك مَعْلَمٌ ... يُبْطِل دليل شهادة ويمين[6]
إني عقدت أذمتي بولائكم ... وجعلت ركن جلالكم لركوني[3]
وتركت فيك سواك غير معقب ... فتركت تموزاً إلى تشرين[4]
وقرنت شكرك بالفرائض رفعة ... فوجدته للفرض[9] خير قرين

---

(1) في الأصل: (من غير ممنون ولا ممنون) والتصويب من الذيل والتكملة 371/8.
(2) في الذيل والتكملة: مضنوناً.
(3) في الذيل: لدرة بالدال المهملة وهو أنسب.
(4) بوران هي ابنة الحسن بن سهل الكاتب وقد أعدت لعرسها جهازاً عظيماً صار مضرباً للمثل (انظر ثمار القلوب 165).
(5) رواية الذيل:
يا سيدا عمّ البرية فضله ... قولا وعلماً فاستفادوا دوني
(6) الشطر الثاني في الذيل والتكملة: (بطل لديه شهادة بيمين).
(7) في الأصل: حلالكم.
(8) تموز: هو الشهر السابع وهو من الشهور التي لا يغاث فيها الناس في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بخلاف تشرين الذي يوافق الخريف بأنوائه المغيثة. وفي ذلك إلماع إلى عطاء الممدوح العلمي وامحال غيره مقارنة به.
(9) في الأصل: كالفرض.

صُغت المديح وقد سبقت بمد حكم ... فكأنني قد جئت بالتضمين
ما قلت قط الشعر لكن يمنكم ... في كل صعب آخذ بيميني
ولقد بعثت به وأعلم أنه ... نقد ولكن عفوكم يعفيني
وإليكها تشنا سواك لو أنه ... في ملك كسرى أو غنى قارون
لو أنني قلدت غيرك حليها ... أضحى بها التقريظ كالتأبين
لم أدعُ بالدنيا لكم إذ لفظها ... دُونٌ ولا أرضى لكم بالدون
فعليّ أن أدعو بطول بقائكم ... وعلى جميع الناس بالتأمين

* * *

وكتب إلى بعض الصالحين، نفع الله بهم:

لكم من فؤادي خُلِّصَ الودُ والحبُ ... وفيكم لنفسي لُخّصَ العذل والعتبُ
ترحلت عنكم والخطوب كثيرة ... ولكنّ خطب البين أسهله صعب
أأبكي نواكم أو نوى القلب إنني ... بحكم الهوى لم يبق لي بعدكم قلب
فلا تعتبره بعد أعتابكم له ... فبعد انعقاد الصلح لا تصلح الحرب
إذا كان للأيام ذنب بعادكم ... كفاني عذراً إنني ليس لي ذنب
تصفّحْ حروف الرّكب تُفْصِحْ بسرها ... فظاهرها ركب وباطنها كرب
لئن بَعُدَتْ أرجاء أرضي عنكم ... فما لي في الدنيا سوى شعبكم شعب
وإن كان في طول البعاد ملالة ... فإني على طول البعاد بكم صب
فحسبي داء أن تشطَّ دياركم ... وحسبي دواء أن يكون لها قرب
ألا أيها الحبر المقدَّم والذي ... محبته جبر وجبرته[1] كسب
أردت بوصل الكتب تأكيد ودكم ... وما خير ودّ لا تؤكده الكتب
فمنوا بإهداء الجواب فليس لي ... إمام على الدنيا سواكم ولا قطب

* * *

(1) جبرته: كذا، ولعلها جيرته.

وكتب إلى بعض إخوانه[1]:

أأسلوا وقد غِبْتَ عن ناظري ... وَمثَّلَكَ الشوقُ في خاطري
أيا غائباً حاضراً في الحشا ... ويا واصلاً في حلى هاجر
دعاء فتى صدعته النّوى ... فأصبح كالمثل السائر
أكابد ليل النَّوى مفرداً ... ومالي، وحقِّك، من ناصر
وأذكر غابر أيامنا ... فأبكي على الزمن الغابر
نظمت الغرام نثرت الدمو ... ع فسمّيت بالناظم الناثر
فلا تنكرن ادعائي الهوى ... فحسبك من باطني ظاهري
عسى من قضى بالنوى أولاً ... سيقضي بوصلك في الآخر

* * *

وكتب رضي الله عنه:

كناس الأنس بعد نواك خيس[2] ... وحظ[3] النفس تعريس وعيس[4]
رأيت غداة فرقتكم ضميري ... فقلت الآن قد حمى الوطيس
ولولا طول ذكرك طار لبي[5] ... ولكن أنت بالذكرى جليس
ألا يا أيها الخلّ المصفّى ... ألا يا أيها المولى الرئيس
تروق حلاوة وتروع جوداً ... فأنت بذا وذا كأس وكيس
منحتك صفو ودّي وهو ود ... يهون لكسبه العلق النفيس
فجاز بأن تجاوبني وإلاَّ ... تجاوبني فقد بلغ النسيس[6]

---

(1) هذه الأبيات وردت في برنامج الرعيني 138.
(2) الخيس: موضع الأسد.
(3) في الأصل: وحط.
(4) التعريس: نزول القافلة آخر الليل للاستراحة القصيرة. والعيس: الإبل.
(5) في الأصل: لي.
(6) النسيس: بقية الروح وغاية الجهد.

وكتب إلى ابي علي عمر بن عبد العزيز*:

ماذا أقول ولا عتب على القدر ... وقد فقدتك فقد العين للنظر
وشتت البين شملاً كان يجمعنا ... فالعين تجمع بين الدمع والسهر
ودون زورتكم والحال شاهدة ... ورد على البيض فى ظل من السّمر
وأسد رغبة تردي أعوجيتها[1] ... بحيث لم تُبْقِ إنساناً ولم تذر
سدوا الفجاج ببيض الهند محدقة ... صوناً بأحداق بيض الدّل والخفر
وأوردوا الخيل ورد الموت ضاحية ... وأصدروها فكان العيش في الصدر
ومهمه قذف الأرجاء متصل ... بشامخ بنطاق الغيم محتصر
سدَّ السبيل فهل طيف يخبرني ... عمن أحب بما أهوى من الخبر
كيف السّلوّ ولي نفس مقسمة ... بعض لديّ وباقيها لدى عمري
أخ توخى المعالي في الصبا فأتى ... كالماء ما أثرت (فيه) يد الكدر
ونال ما شاء من مجد ومن كرم ... أغرى[2] المشيبَ به في غُرةِ العمر
ندى كما شقَّ جيب الغيم يكنفه ... خلقٌ كما هب عرف الدَّهر بالسحر
وعفَّةٌ لم ينلْ منها الصِّبا وطراً ... ما للصِّبا من أبي حفص وللوطر
يثني اليراع بما خطت أنامله ... والنفس والطرس قد أثنى على أثر
وشى بهذا وهذا صفح ذاك كما ... وشتْ يدُ الغيم صَفْحَ الروض بالزهر
ألقى الكهولُ عنانَ الحِلْم في يده ... والحلم ليس بموقوف على الكبر
شوقي إليك أبا حفص يجدِّده ... تجديد ذكرك بالآصال والبكر
شكوت طول الليالي بعد فرقتكم ... وعندكم كنت أشكوه من القصر[3]
أما الفؤاد فقد طار النزوع به ... إليك لكن عذاب البين لم يطر
كم لي هنالك من أنس برؤيتكم ... لو لم تكدّر صفاه بغتة السَّفر

(*) لم أعثر على ترجمته وهو أحد الشخصيات التلمسانية التي التقى بها الشاعر في تلمسان.

(1) الأعوجيات: نسبة إلى أعوج وهو اسم فرس شهير كثير النسل.

(2) في الأصل: أعي.

(3) نظر في هذا البيت إلى قول ابن زيدون:

إن يطل بعدك ليلي فلكم ... بتُّ أشكو قصر الليل معك

وكم غـدونـا وكم رحنـا على طـرب ... بالصخرتين إلى الصفصاف فالنهر[1]
وبـالبصيلة جـاد القـطر سـاحتهـا ... معـاهـد عهـدهـا مني على ذكـر
وزورة لغـديـر الجـور قـد لبست ... لنـا أباطحهـا مـوشيـة الحبـر[2]
وقـد أطـافت بـه أزهـاره فحكت ... زهـراً قـد اشتبكت منـه على قمـر
والـطيـر صـادحـة من كـل نـاحيـة ... كمـا أصخت إلى زمـر عـلى وتـر
تصغي وتـرنو فمـا تنفك من طـرب ... يسري إلى النفس من سمع ومن بصر
ولـيلة بـربـاط الـتـونسي[3] لـنـا ... زهـراء من غـرر فيهـا على غـرر
من كـل مشتمـل أطـمـار ليلتـه ... مـردد القلب بـين الـفهـم والفكـر
يـتـلو وقـد خَـلُصَـتْ لله نـيّـتـه ... فـيجتلي نـور تـلك الآي والسّـور
لا خـلق أحـزم منـه وهـو مـدرّع ... درعين بين رجـاء الـفـوز والحـذر
ووقفـة لي بـذاك الصحن خـاشعـة ... تجني ثمـار التقى من دوحـة النـظر
وقـد أطـار الكـرى عني وأرقني ... تـرجيـع بـاكٍ بـه أو صـوت معتـذر
لـهفي على زُمَـرٍ فـيهـا ألـفـتـهُـمُ ... أوصـافهم ثبتت في آخـر الـزُّمـر[4]
تشب لـلحـزن نيـرانٌ بـأضـلعهـم ... فتـرتمي من دمـوع الشـوق بـالشـرر
لا خير في العيش لي من بعد فرقتهم ... والـروض ليس بمستغنٍ عن المـطر
فليس يَعْـدِمُ قـلبي فـي تـذكـرهم ... طعنـاً من السُّمـر أو وخـزاً من الإبـر
وإن حسنهم[5] فـي أثـرتـي أثـراً ... أبـو علي ولـو أبعـدت فـي الأثـر
أطلتُ بـاعي في وصفي محاسنـه ... وهـو الحقيق بقـول غيـر مختصـر
ومـا صبـرت رضىً مني بـفـرقتـه ... لـكن رضـىً بـقـضـاءِ الله والـقـدر

* * *

(1) الصخرتان والصفصاف في هذا البيت والبصيلة وغدير الجور ورباط التونسي أسماء مواضع في تلمسان بالجزائر.

(2) الحبر: الألوان والهيئات، وبذلك فسر الفراء قول الرسول ﷺ (قد ذهب حبره وسبره)، وقال الأصمعي: الجمال والبهاء.

(3) رباط التونسي: نسبة إلى أبي محمد بن عبد السلام التونسي دفين عبّاد تلمسان وقد كان زاهداً عالماً بالمسائل صليباً في الحق (انظره في التشوف 110، والبستان 122 والأعلام 470/8.

(4) زمر: جماعات، وآخر الزمر: إشارة إلى قوله تعالى في سورة الزمر: (وسيق الذين اتقوا إلى ربهم إلى الجنة زمر. . الآيتان 70 - 71).

(5) حسنهم: كذا ولعلها أحسنهم.

وكتب إلى سعيد بن عيسى(*):

لاح وقد فاح بهارُ النهارْ ... برق أطار القلب لما استطار
ذاب لجين المزن لمّا رمى ... معدنه البرق بمقياس نار
ومرّ يختال كما قلبت ... راحة ماضي العزم ماضي العرار
واغرق الروض فقضبانه ... عن مبسم النوار ذات افترار
فالطلُّ في مفرقه بهجة ... تاج وفي المعصم منه سوار
ذكرني العهد وما أنسه ... وإن نآى الصحب وشطَّ المزار
وجيرة حالي لفقدانهم ... نوم غرار[1] ودموع غزار
رددتُ عاريةَ أنسي بهم ... وأوجبُ الأشياء ردُّ المعار
والدهر لا يبقى على حالةٍ ... ففي صعود تارة وانحدار
محبوبه عنوانُ مكروهِهِ ... وآفة الخمر بقايا الخمار[2]
يا برقُ طارحني[3] أحاديثهم ... فهات تطويلاً وهاك اختصار
فربما سرّيتَ عن بهجة ... أضحت لفقدانهم في إسار
جددت عندي مثلاً سائراً ... في الناب حنت لرغاء الحوار
فلا تسمني الصَّبر من بعدهم ... فلستُ أصغي لا ولا لي اصطبار
أهوى تلمسان وسكانها ... لو كان لي في الكون اختيار
أرضٌ خلعتُ العُذْرَ في تركها ... أضعاف ما فيها خلعتُ العذار
أقسم بالبيت وأستاره ... وزمزم والركن والمستجار
وصفوة أنضوا إلى حجهم ... عيس المهاري وعتاق المهار[4]
والبدن كالأسطار معقولة ... مصفوفة فوق طروس(. . . . .)[5]

(*) من زملاء الشاعر في تلمسان.
(1) الغرار: الناقص.
(2) الخمار: ألم الخمر وصداعها وأذاها.
(3) في الأصل: طرحني.
(4) في الأصل: (عيسى الماهر وعتاق المهار) ولا يخفى ما فيه من خلل في الوزن والمعنى. . والمراد بالعيس: الإبل البيض المختلط بياضها بشقرة، والمهاري نوع سريع منها، والمهار جمع مهر، وهو ولد الفرس، والعتاق من الخيل: جيادها.
(5) بياض في الأصل.

قد حملا العشر وطي الفلا ... حتى تساوت حولُها والعشار[1]
تغني عن المورد في ظميها ... بعارض النقع ورد السعار
أليّة[2] تقضي على نفسها ... بصحة العقد وطيب النجار
ما سكنت نفسي إلى غيرهم ... وهل يروق الصُّفْرُ بعد النُّضَار[3]
يا سكّن الله فؤادي بهم ... فما له بَعْدَهُمُ من قرار
أُعلِلُ النفس بطول المدى ... وقد مضى وَعْدٌ وطال انتظار
فأين مني والنوى غربة ... أولئك الناس وتلك الديار

* * *

وكتب إلى أبي عبد الله بن المسطاسي: (*)

يا نسيم الريح يهفو سحراً ... ولسان البرق يحدو المطرا
نبّها نوم الرّبا من نومه ... فانثنى ينفض أذيال الكرا
وأعادا روحه مذ سكبا ... ماء ورد المزن في مسك الثرا
أودعاه نفحة ضنَّ بها ... فأذاعا عنه ما قد سترا
أبلغا عني أخاً خَلَّفْتُهُ ... بتلمسان سلاماً عطرا
وأعلما أنّي مذ فارقتُهُ ... لم أجد في بينه مصطبرا
كيف أسلوه ومن آثاره ... مُلَحٌ تملأ نفسي أثرا
أدب غضٌّ وخط رائق ... وعفاف وندى قد بهرا
كم لنا من ساعة أُنسيةٍ ... نجتليها أُصُلاً أو بُكُرا
ورياض قد هتكنا سَجْفَهَا ... فاجتلينا نهراً أو زهرا
أُودِعَتْ من كلّ شيء حسن ... فأنالت كلّ قلب وطرا
بين ورد هام في وجنته ... نرجسٌ يسرق منه النظرا
وأقاح رشفت ريقته ... قضبُ الروض فمالت سَكْرا

---

(1) حول: جمع حائل من النوق، وقد ضبطت بفتح الحاء في الأصل.
(2) الألية: اليمين.
(3) الصفر: بالضم الذي يعمل منه الأواني، والنضار: الذهب.
(*) لم أعثر على ترجمته.

وأزاهير ترى من طلِّها ... حبباً قد قلَّدته دررا
نظمته المزن في أغصانها ... وسرت ريح الصِّبا فانتثرا
يا له من منظر أفقدني ... بَيْنُهُ العَيْنَ وأبقى الأثرا
أذكرتني أُنْسَهُ قمريةٌ ... ذكرتْ وجداً فناحت سحرا
أشبهتْ غافية غانية ... قد شدتْ صوتاً وهزت وترا
يا لذاك العيش لولا أنه ... كان في مدته مختصرا[1]
طمست معناه في إبَّانه ... فُرْقَةٌ دبَّتْ إليه الخمرا[2]
وكذا الأيام لا أمن لها ... مرة صفواً وأخرى كدرا
هي كالخمرة تبدو حبباً ... أول الدن وتخفي شررا
أيها النازح لكن خاطري ... راكب في الصبر عنه الخطرا
أنت أسنى الناس عندي موقعا ... عرف العاذل ذا أم أنكرا
والذي قد طلع الصبحُ له ... ليس يبغي بعد ذاك القمرا
ليت شعري كيف أنسى بعدما ... عاد معروفُ التداني منكرا
قُبِّحَ البينُ فما أفجعه ... كم محب بحبيب وترا
غرني إطراقُهُ من قبلها ... وهو قد كمّن فيه الغِيَرَا
ورأى للأنس عندي صوراً ... فانبرى يمسح تلك الصّورا
واعظٌ بالحال ما أنصحه ... فتأملهُ تعاينْ عِبَرَا
هو جمع لفراق أبداً ... زُمَراً يدني لينئي زمرا
ولقد قال وقد عاتبته ... سلْ بما تكره مني القدرا
سلّم الأمر لمن قدره ... سوف يجري كلّ ما قد قدرا
لا ومن قدرتُهُ نافذةٌ ... ما فؤادي بعدكم مصطبرا

وكتب إلى أبي عثمان سعيد بن يوسف المعلم(*):

يا من له شيم تملـ ... ـكه العلا ومناقبُ

---

(1) في الأصل: محتضراً.
(2) تقول: جاء الخمر أي في سر وغفلة وخفية.
(*) لم أعثر على ترجمته

وفضائل عَيِيَ الحسو د بها وأعيا الحاسب
ومجانباً لي وهو من أسنى الذين أجانب
في كلّ يوم حادث يدنو فينأى صاحب
أعزز عليّ بأن أُرَىٰ بعد اللقاء أكاتب
كيف السّلو وبيننا خطب (ل)ـبينك[1] خاطب
وضحاضح وأباطح وبسابس وسباسب [2]
ومعالم ومجاهل وأعاجم وأعارب
وضراغم أنسية وسلائب ونجائب
وعلى الغوارب كالأهلـ ـة في الحدوج غرائب[3]
صور من السحر الحلا ل لها القلوب قوالب
فإذا نظرن فإنهنَّ على النفوس غوالب
فَسِهَا مُهُنَّ لواحظٌ وقسيهُنَّ حواجب
حفَّت بهن أعنة وأسنة وقواضب
ومواكب هي والعجاج غمائم وكواكب
أعطتهُمُ شرَف الإباءِ مناسب ومناصب
فالقوم إما سالب أو طاعن أو ضارب
ورد المنية معرض فيهم وغيري شارب
من كان من شُهَّادهم يوماً فإني غائب
يا من أُطالبه بودٍّ دائم ويطالب
ثقْ بي وإن نأتِ الدّيا ر فإنّ حقَّك واجب
فلقد صَدَقْتَنِي الودا دَ، وَوُدُّ غيرك كاذب
وسَنَنْتَ بِراً حاد عنـ ـه أحبَّةٌ وأقارب
إني وإن رغم البعا دُ على ودادك دائب

---

(1) في الأصل: بينك، وهو مخل بالمعنى والوزن يمكن تعويضه بلام أو واو.
(2) البسابس: جمع بسبس وهو القفر الخالي، والسباسب: جمع سبسب وهي المفازة أو الأرض المستوية البعيدة.
(3) في الأصل: عرارب.

ولقد تُذكِّرُني العهودُ بوارق وسحائب
وحمائم قامت لها فوق الغصون نوادب
وشمائل في طيها نشر الهوى وخبائب
والروح حفَّت جانبيه أزاهر ومذانب
ما كان وصفي للحسا ن كما يظن العاتب
لكن ذكرتك طيباً فذكرتهن أطائب
فكأن طبعك رقة لنسيبهن مناسب
أما الزمان ففي تقلّـ ـبه علي عجائب
يعطي ويرتجع العطيّـ ـة فهو معطٍ سالب
(فدع المواهب إنَّ صدقَ (قياسهن) مناهب [1]
ولقد نصحت وللنَّصيـ ـحةِ قابل ومجانب
فاصبر على طب النفو س فللنفوس مذاهب
جَدَّ الزمان وكلَّنا إلاَّ قليلاً لاعب
ولكم فقدتُ زخارفاً جاذبتها وأُجاذب
ولكم تقضَّتْ للزما ن مطاعم ومشارب
لم تَصْفُ منها لذةٌ إلاَّ وفيها شائب
وعهدت نفسي راغباً حيناً فها أنا راهب
ومن العجائب أن تغيب ونهج قصدك لا حب[2]
لكن جِدِّي راتب فيـ ـها وجَدِّي ذاهب
بالسَّعد يرفع رافع يوماً وينصب ناصب
ولذاك عمرو النحو مضـ ـروبٌ وزيدٌ ضارب
لا والذي بقضائه نطق الغراب الناعب
ما باختياري بعدكم لولا القضاء الغالب

* * *

(1) البيت غير واضح في الأصل وقراءته فيه كالآتي:
(فدع المواهب إن صدق القياس مناهب).
(2) لاحب: واضح.

وكتب رضي الله عنه لعياض بن عياض[1]:

يـا أبـا الـفـضـل وابـنـه وأخـاه ... وسـنـاه وحـليـه وحُـلاَهُ
وشـبـيـهـاً بـأوّلـيـهِ فـإن لا ... ح حـسـبـنـا جـدَّه وأبـاه
عَـلَمٌ تـحـسـر الـلواحظ عـنـه ... سفحـه الجـود والعـلا مـرتـقـاه
لـم أزلْ سـامعـاً بـفضـلك حـتى ... حـقق الـلَّحظ عنـك مـا قـد رواه
أنـت من أنـت فضـل طبـع وارث ... طـابـق الـفـرع أصـله وحـكـاه
أنـف مـن تـقـلّد الـكبـر وصـفـا ... ولـك الـمـوجـبـان مـال وجـاه
وأخـو الـعـقـل إن أسـف لـنـقص ... من مهـاوي الـهـوى نَهَـتْـهُ نُهَـاهُ
سرّني القـرب منـك والـدهـر دأبـاً ... مـازج طـيـب وصـله بـنـواه
وسـواء لـديـه جـبـلة غـدر ... نـالـنـا مـنـه خـيـره أو سـواه
أنـا مُغْـرًى بكُـتْبِ جَـدِّك عـلمـا ... إنـه الـبـحـر والـجـمـيـع رداه
فـإذا أُبْـتَ سـالـمـاً فـأَعِـرْهَـا ... مـن يـكـافـيـك شـكـره وثـنـاه
ولَـبَـثُّ الـعـلوم أعـظمُ فـضـلٍ ... فـاغـتـنـمْـهُ فقـد حـويـتَ مـداه
ولْـتَسِـرْ ولْـتَـؤُبْ مـرقّـى (. . .)[2] ... تـسـمـع الـخـيـر دائـبـاً وتـراه
ولِـطَرْفِ المخـافِ عنـك اغتماضٌ ... ولـطرف الـمـراد مـنـك انـتـبـاه
مـا طـوى الـروضُ سِرَّهُ جنح ليـل ... فـأذاعـتـه لـلـصـبـاح صـبـاه

* * *

وكتب إليه أيضاً:

دليـلُ عُـلاك ليس على اعتـراض ... وبـسط نـداك ليس إلـى انقـبـاض
وفـيـك محـاسـنٌ لفـظاً ومـعـنـى ... نـهضـت بـعبئـهـا أيَّ انـتـهـاض
يـقـر الـحـاسـدون بـهـا ولِـمْ لا ... وجـدُّك شـاهـدٌ ونـدا (ك) قـاضي
بـقـيـةُ مـنـجـبـيـكَ أبـاً وجـداً ... وبـالـبـاقـين تُعتبـر الـمـواضـي
وأورثـهـم وقـد كـثـروا وطـابـوا ... كـ ـرث الـزهـر أنفـاس الـريـاض

---

(1) راجع ترجمته في مجلة كلية آداب تطوان 311/3 والذيل والتكملة 344/8 والإحاطة 226/2.
(2) نقص في الشطر بمقدار كلمة.

فهـذا النـور من تلك المشـاكي ... وهـذا النهـر مـن تلك الحيـاض
أتـاني عن أبي الفضـل ارتحالٌ ... ثنـاني بـين وجـد وارتـماض
فلم نُحْنِ الضلوع على سلوٍ ... ولم نـطوِ الجفـونَ على اغتماض
فـراقُ النفس ليس عـن اختيـار ... وفقـدُ الـروح ليس عن التَّراضي
ومـن يعتضْ خليـلاً من خليـلٍ ... فما عُوضتُ[1] خِـلاً مـن عـياض
ولـي دَيـن بـلقـيـتـه ولـكـنْ ... أرى الأيـام تـمـطل بـالتقـاضي
أبـا الفضـل الـزمـان كمـا تـراه ... يـقـلبُ فـي انبـرام وانـتـقـاض
رضيتُ عـن الفـراق وفيـه سخط ... وإنـي عـن فـراقـك غـيـر راض
فَسِـرْ متمهـلاً وارجـع سـريـعـاً ... كـصـقـر فـي عـلو وانـقـضـاض
وعشْ في غـبـطةٍ وعُـلاً ومـجـدٍ ... وسـعـدك ذو انـقـيـاد وارتـيـاض
متى صَحَّتْ دعـاوى كـلِّ صعبٍ ... بـتـزكيـة مـن الحـدق المـراض

وكتب رضي الله عنه إلى غيره[2]:

قـل لـلنسيـم إذا الـصبـاح أعـلَّه ... والبـرق أغـمـده الـغـمـامُ وسَـلَّهُ
يتجابـدان[3] الـروض شـرك عنانـه ... هـذاك نـبّـهـه وهـذا بـلّه
عـوجـا على وطن الصَّبابـة والصِّبا ... بـتـحـيـة تـسـع الـمكـان وأهـله
وتـحـمـلا عـني تـحـيـة شـيـق ... أبـقـى الـنـزوع إلـى الـلقـاء أقـلَّه
أهـوى العقيق وسـاكـنيـه وإنـمـا ... أهـوى المحـل لأجـل من قـد حلَّه
بين البصيلة والمجـاز منـاظـر ... أودعـتـهـا مـذ بـنـت أنـسي كـلَّه
دمن إذا مـا الـطرف رام سلوكـهـا ... لـم يـدنُ منـهـا أو يـجـدد نـعـله
رقّـت مـواردهـا فـكـانـت راحـة ... وذكـت منـابـتهـا فـكـانـت نَـقْـلَهُ
وتعـاقبـت أنـوارهـا مـوصـولـة ... حـتـى كـأن الـصبـح قـيّـد لـيـله
وبمصـرهـا وهـو النهـايـة بهجـة ... خـلٌ رأيـتُ الـنـاس طـرا خـلـه
هـو كـالـربيع فلست تعـدم دائباً ... حُـسْـنَـيْـهِ إمـا طـلّهُ أو ظـلـه

---

(1) في الأصل: عرضت.
(2) كناه في القصيدة بأبي محمد وتبين من المواضع التي أشار إليها أنه تلمساني.
(3) يتجابدان: يتجاذبان.

أثنى عليه بقوله وبفعله ... حفظ الجنان بيانه فأملّه
وأرى مبرته وأرعى عهده ... و(أ) لذّ ذكراه وأشكر فضله
يهنا[1] الفضائل أن غذا موصوفها ... دون الأفاضل واغتدت صفة له
والدهر يَطّرِح الجليلَ وربما ... خرق العوائد نادراً فأجلّه
لكنه قد ظن أن وليه ... مذ بان عنه اعتاض منه فمله
لا والليالي السالفات وحسنها ... إذ لم أعاين مثلهن ومثله
ما إنْ رأت عيناي خلا بعده ... يعتاض منه ولا رأته قبله
ثق[2] بي فإن العين فيك قريحة ... والجنب ناب والفؤاد مولّه
أأبا محمدٌ الوفي على النوى ... لأخ رآه أخاً الوفاء وأهله
شيم الزمان كما علمت تفرق ... وعساه يجمع بعدها ولعله
أنبطتها[3] مستعجلاً من خاطر ... يشكو لفقدك صحبه ومحله
فأتتك يرقص حولها ابن قلاقس[4] ... طرباً ويشرب بالكبير الأبلَهُ
بكر رأيتك كفأها[5] من دونهم ... والشكل يحسن أن يلاقي شكله
فاسلم على ريب الزمان مبلغاً ... أقصى المنى في رفعة وتملّه

* * *

وكتب إلى الفقيه أبي العباس الشريشي[6]:

أَ (وَ) خَطْبُ فُرْقَتِكُمْ لَديّ قليلا ... كَلاَّ ولا الصبر الجميل جميلا
يا نازحاً عن غير قلبي إنَّه ... مُذْ بان عنه أقامه تمثيلا
كيف السُّلُو وبيننا من رغبة ... أُسْدٌ تكون لها الأسنة غيلا

---

(1) في الأصل: يهني.
(2) في الأصل: ثقب.
(3) انبطتها: استخرجتها.
(4) ابن قلاقس: هو نصر بن عبد الله الأغر من كبار الكتاب المترسلين، يلتقي مع الفازازي في كثير من خصائصه الفنية في كتابة الرسائل، (له ترجمة وافية في الأعلام للزركلي اعتمد فيها على مخطوطة في ترسله، وانظر فريدة القصر ـ قسم شعراء مصر 145/1 وابن خلكان 156/2).
(5) في الأصل: كفؤها.
(6) لم أعثر على ترجمته ويبدو من المواضع التي أشار إليها أنه ممن لقيهم في صباه بتلمسان.

وسباسب تذر الدليل مرددا ... انظر إلى أثر المطي كليلا
لله أنت فقد وجدتك عدَّة ... سمح الزمان بها وكان بخيلا
وبلوت منك شمائلا من دونها ... صفو الشمول فما أردت بديلا
أبلغ رباط التونسي[1] عني ... وأوسعْ قبره تقبيلا
وأقرأ به الذكر الحكيم موفياً ... آياته التجويد والترتيلا
واذكر أخاك بدعوة مبرورة ... تطرح بها عبئاً عليه ثقيلا
واعطف على صَفِّ البصيلة إنه ... قد كان لي مأوى وكان مقيلا
والمح بقبلي المدينة منظراً ... أضحى لمشتبك النجوم عديلا
لبست ملونة الأزاهر أرضه ... وخطت به ريح الشمال بليلا
وأنساب في تلك الأباطح نَهْرُه ... فهجرت دجلة عنده والنيلا
وكأنما الجبل المنمق فوقه ... أضحى لمفرق رأسه إكليلا
نشق الهواء به صحيحاً عندما ... هبَّ النسيم بصخرتيه عليلا
لا أنسى أياماً قصاراً فيه لي ... أضحى تذكرها عليَّ طويلاً
سدَّ السبيل عن اللقاء فلم أجدْ ... لما نأيت إلى السلوّ سبيلا
أعزز عليَّ بأن أكون محملاً ... شوق الدنو إليكم ترسيلاً
كن كيف شئت أخا الوفاء فإنني ... أثني عليك إقامة[2] ورحيلا
دعواي حبك بالضرورة لاحق ... وعلى الضرورة لا تريد دليلا
أفتن في فن الثناء عليكم ... وأواصل التعظيم والتبجيلا
خذها إليك قصيدة حملتها ... فتحملت شوقاً إليك دخيلا
ولقد أردت زيادة في نظمها ... لكن كرهتُ وحقك التثقيلا
لا والذي كان الفراق بحكمه ... ما خطب فرقتكم لديَّ قليلا

كتبت، دامت كرامة سيدي الفقيه والأخ الذي أفديه بالنفائس وأفيه، ولا زال غنياً بوقاية السعادة عن توقيه، متعرفاً على الدوام عادة ترفعه وترقيه، من حضرة فاس ـ حرسها الله ـ والحال جميلة صالحة، وألطاف المولى (46 أ)

---

(1) تقدمت الإشارة إليه.

(2) في الأصل: أمامة.

سبحانه غادية رائحة، والحمد لله رب العالمين.

وجديد الأنس بعدك بال، وفكر الشوق متتابع متوال، والنفس حنانة إلى أيام ماضية لنا وليال، فما كُثَيِّر[1] وقد غلبه الشوق وعَزَّ(ه)، واستدعى البكاء من خليليه حيث حلت عَزَّة، ولا سميه معنى وقد فارق الجزيرة، وتيمته عزة الأخيرة، وكان في مضمار المحبة وذكر الأحبة عديل سميه المعنوي ونظيره، وإياك أعني يا جارة فاسمعي، وخذي في اللوم إن شئت أو دعي.

بأوجد مني مذ نَأيْتَ وإنما ... أعلل نفسي بالتجلد والصبرِ
وإلا فأنفاسي أحرُّ منْ الغضى ... عليك وأجفاني أَدَرُّ من القطر
فيا ليت شعري هل لقربك كَرَّةٌ ... وهيهات كم بيني وبينك من قفر[2]
لعل الذي كان الفراق بحكمه ... يعيد لنا عيشاً تولى وما ندري
فنُسْرِحُ في تلك البطاح نواظرا ... تَنَقَّلُ من روض نضيرٍ إلى نهر
ونرقى وبين الصخرتين مناظر ... تمثل ما بين الغديرِ إلىٰ البحر
وَنَنْشَقُ أنفاس النسيم بليلةً ... معطرة بين المذانب والزهر
تذكرتُهَا والبين (بيني)[3] وبينها ... ولا بد للمشتاق من لوعة الذكر
أمّا وهواها بل هواك فإنه ... تمكن ما بين الجوانح والصدر
لما لبست إلاَّ بحسنك حسنها ... ولا بد للحسناء من نفحة العطر
وإيه وقد وفيت شَوْقِيَ حَقَّهُ ... أَعِدْ نظراً في البدر والغصن النضر
فهل طلعت في الغصن للبشر نوره ... وهل وضحت من غيمها صفحة البدر
وهل للجياد القب في القب مسرح ... بأسد هياج غيلها (أجم السمرِ)[4]
وما كان من نذر نذرتُ صيامه ... مع الوصل من عشر تضاف إلى شهر

كم ذا أُطيل، ويكثر مِنِّي القال والقيل، وأخرج عن حد انتزاح، إلى

---

(1) أشارة إلى كثير عزة تكررت في شعره ونثره.
(2) في الأصل: فقر.
(3) زيادة عن الأصل يقتضيها تمام المعنى والوزن.
(4) الفرس الأقب: الضامر البطن، والقب الثانية لعلها اسم موضع، وما بين القوسين غير واضح الأصل.

وَجْدٍ مزاح[1]، وقد فُقِدَ السجل وكَلَّ أخوك المجل[2]، ولم يبق إلا أن أختم الرقعة بهذه القطعة:

أنا مذ بنت يا أبا العباس ... في رجاء من اللقاء وياس
ودموع للبين تهمي ولكنْ ... نشفتها حرارة الأنفاس
كيف حال أمرىء تَشُطُّ تِلِمْسَا ... نَ[3] عليه وقد أقام بفاس
لم يكن ما لقيته مذ تناءيت ... من الوجد جارياً بقياس
لا وريم يصون خداً بصدغ ... فيصون الورد الجني بآس
وجفون تعلمت صنعة السحر ... فضلت بها حلوم الناس
ما مقامي وقد فقدتك إلا ... كمقام الذراع في المقياس

قد حلَّ باب الهوى، وتم الآن واستوى، وكنت أحتفل فيه وأطنب لو وجدت أين أكتب، وهَبَ الله لي ولك توبة نصوحاً، وباب عمل إلى قبلة الرضى مفتوحاً.. بمنه.

---

(1) كذا: ولعل المراد «إلى جدٍّ ومزاح».
(2) مجلت يده من العمل: نفطت فمرنت «تاج».
(3) أشارة إلى تلمسان تبين أن المواضع السابقة من معالمها، وقد تكررت تلك المواضع في نصوص مختلفة فدلتنا على أن الأعلام الذين راسلهم بها تلمسانيون أو مقيمون بها فترة طويلة.

النوع الثالث

في مخاطبته رضي الله عنه ـ الصادرة عن الأمراء وما يتعلق بذلك:

فمما كتب للحضرة[1] عن بعضهم:

الحضرة الأمامية مقام الفضل المتتابع المتوالي، ونظام الإحسان المتناسق المتتالي، أدام الله علوها وظهورها، وأجرى وفق إرادتها أوامرها وأمورها، ووصل ببركتها للأمة جذلها وسرورها، عبد[2] مننها الواضحة الحجول والغرر، ومسترق أياديها الكريمة الإثر والأثر، المتقلب من تعهداتها المتلاحقة وتفقداتها المتناسقة، بين غيم متحاح المطر، ودوح نفاح الزهر، الشاكر لها بألسنة أقواله وأحواله، وغايته العجز والحصر.

وبعد حمد الله الذي جعل المقام العليَّ ظلاً يكنف الأنام ويكفيهم، وغيثاً يغيثهم مظان الأوام ويرويهم، والصلاة على سيدنا محمد رسوله الكريم منقذ العباد من أشراك الإشراك ومنجيهم المخصوص وحده بمزية (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) وعلى آله وصحبه الكرام بأنفسهم (47 أ) وأوليهم الباذلين

---

(1) الحضرة: حاضرة الخلافة في عهد الموحدين، وقد عاصر منهم أكثر من خليفة ويفهم من خاتمة الرسالة أن المرسل إليه هو الخليفة المنصور.

(2) لعل هذه الكلمة مسبوقة بأخرى محذوفة هي (كتب) أو (مِنْ).

في الذَبِّ عنه ـ عليه السلام ـ أتم احتفالهم وأعم تحفيهم.

والرضى على الإمام المهدي[1] مبيد المبطلين بعد اشتداد أهوائهم وامتداد مهاويهم، ومعيد الحقائق على أهلها حين احتياج منـاياهم واقتراح أمالهم، والدعاء لسادتنا المتمّين لدعوته طعناً بأسنتهم وضرباً بمواضيهم، المقتفين لسنته الواضحة بعلمهم ونيتهم وتوخيهم، والدعاء لسيدنا أمير المؤمنين بسعد يحمي أولياءه ويقيهم، ونصر يذر عداه نهبة لأول يد تلاقيهم.

فكتب العبد المسترق السر والعلن، المستحق بترادف الآلاء وتضاعف المنن، وكتب الله للمقام جنوداً من الجد لا تزال غالبة منصورة، وبنوداً من السعد لا تنفك عالية منشورة، ولطف الله تعالى يؤمن كل شعب، ويسهل كل صعب، ويذلل كل جامح، ويقرب كل نازح.

والحمد لله الذي جعل اليمن لديها، وأجرى الخير على يديها، وعند العبد من الالتزام للرسم الذي رسم له، والاستعمال للقانون الذي فَسَّر له الصواب قولاً وعملاً وفصَّله، ما حسّن الأثر، وعمّ بالأمنة والصلاح من بدا وحضر، فالعافية شاملة، والطرق سابلة، والرعية إلى المقترحات النازحة والمبتغيات الطامحة واصلة، وكل ذلك بلطف الله تعالى، ويمن مقام أقامه الله للمصالح فبثها، وأمره بتمشيته النصائح فحثها[2] فلا مصر إلاَّ وقد تبلج إنارة وتأرج عطارة، ولا فئة إلاَّ وقد وجدت تمنيها وفقدت بالنظر الأصلح تعنيها، مد الله للجميع ظلال الحضرة العليا، ووصل للكافة بقاءها الذي هو عز الدين وبهجة الدنيا.

وقد وصلت للعبد المنة العظمى، والمنة التي (ليس) وراءها لأمل من آمال الدنيا مرمى[3]، فَتَمَّمَتْ الأيادي المتقدمة وجددت المواهب المتصرفة، وكانت كالظل المنسكب بعد طلال، والطل المنسحب فوق ظلال، فمدَّ العبد إليها يداً ملأتها المنن، وأجال في شكرها لساناً أنطقه الصنع الحسن، وأعد لموقعها قلباً تشرف بحلولها هو والبدن، ولم يبق له جارحة إلا استجدت عزمة

---

(1) الإمام المهدي: هو ابن تومرت إمام الموحدين.

(2) كلمة غير واضحة في الأصل في صورة (جنتها).

(3) في الأصل: مري.

في شكر النعمة، ولا جانحة إلاَّ استعدت همة لِمُسْتَقبَلِ (47 ب) الخدمة.

على أن العبد لو أبان بمقول سحبان لَقَصَّرَ عن الحد، ولما كان إلاَّ سكيت حلبة الحمد، (فـ) بحر المنن الإمامية من حاول قطعه سبحاً لقي برحاً، ومن تعاطى استنفاده عَبَّا ركب مركباً صعباً، وحسب القوى البشرية استكراد طبعها، واستنفاد جهدها ووسعها، ثم إلى الله تعالى المفزع في مكافأة مقامٍ لا يكافئه سواه؛ ولا يؤمل لمجازات نعماه إلا رحماه.

وإن كانت أيادي المقام قد أكملت الرغائب وشملت الحاضر والغائب، فالعبد أرحبهم مذاهب مواهب، وأمرعهم مسارح منائح، كما أنه أصدق العبيد ظاهراً في الشكر وأخلصهم ضميراً، وأمدهم في الخدمة باعاً، وأشدهم تشميراً، جازى الله عنه المقام أفضل ما جازى به مقاماً شرف بالاستخدام، وتعهد بالمنن الفرادي والتؤام، وهو سبحانه المسؤول أن يديم للمقام أفضل ما عوده، ويصل له وعلى يديه منصور العزم ومؤيده، ويعرفه على الدوام فتحاً يعلي كعب الإسلام ويبسط يده، بمنه.

* * *

وكتب أيضاً ـ رضي الله عنه ـ :

السيد أبو فلان، أدام الله مجده جديد المعالم، ووصل سعده حديد الصوارم، أخوه السابق في مضمار ودِّه، المتطابق الحال والمقال في الإفصاح بحمده، البرّ به، المجلّ له لعظم حقه وكرم عهده، المترقب لما ينفس ويروح عن روحه من نبأ سار من عنده، فلان.

أما بعد... فكتب ـ كتب الله لك مجداً لا تهي أركانه، وسعداً لا ينتهي إمكانه، وألطاف الله تعالى متصلة الوفود، طالعة بمعهود الفضل والجود، والحمد لله رب العالمين حمداً لا زال به ديم النعمة ثرة تجود، ولا تبرح معه قسم العصم كلما ولّت تعود، والذي يتعين لجانبك من التكريم ولواجبك من التقديم سنن أسلكه متديناً، وديدن أعتقده فرضاً (48 أ) متعيناً، والله تعالى ينفع بها أخوة كريمة الأواصر سليمة البواطن والظواهر، لا تؤيس النوى تراها، ولا يطوي النزوح مغداها ومسراها.

وقد علمت أن النفس بأنبائك متولعة، وإلى ما يتزيد بأرجائك متطلعة، وبحسب ذلك أوثر منك التعريف بمآل الحركة التي استعملتها، وأحوال الجهة التي استقبلتها، فإني منذ انفصالك عن فلانة[1] ألى إيابك إليها لم أزل أستبطىء الرواحل، إلى أن استفاض إيابك على الإجمال وبقي الموجب له تحت احتمال، فمن قائل خيراً وقائل ضده، وكل بحسب الهوى الغالب ينفق مما عنده، وفي النوى يكذبك الصادق ويخونك الأصادق، ولم أر لدفع هذا الإبهام وقطع أطباع أهل الاتهام، إلاَّ البدار بخطابك ، والانتظار لجوابك، وأنت تعرف بسبب سرعة المنقلب، وتبشر بمرجو الظفر ومأمول القلب، وتشرف على الوفاء ما سفرت عنه تلك السفرة، وانتجته مقدمتا السنان والشفرة، وتهدي ذلك إلى من يشركك[2] في نعيم الأوقات وبؤسها، ويلقى كل حالة من خير أو شر بلبوسها، والذي بيننا من تلاصق الاشتباك يقضي بتطابق الاشتراك، ويُرَجِّي الله تعالى لوصول كتابك الأثير متقد(م)[3] البشير، ناطقاً بنجح ذلك المسير، وذلك على الله تعالى يسير، وهو سبحانه يبقيك وصدور الصدور على حبك منطبقة، وألسنة الجمهور في شكرك وجميل ذكرك متفقة، وحركاتك وسكناتك في سلك المصلحة منتظمة متسقة، إن شاء الله تعالى.

* * *

وكتب إلى المكتوب إليه المتقدم، عن نفسه:

وإني على بعد الديار وقربها ... وتغيير مغتاب وتغيير عاتبِ
لشاكر ما أسديته من مكارم ... وآثر ما أبديته من مناقب
وكم حاضر[4] ....

* * *

---

(1) أشارة إلى بلدة.
(2) في الأصل: يشرك.
(3) زيادة على الأصل.
(4) انقطاع في الأصل قدر صفحتين.. ثم عود إلى شعر بقافية مختلفة.

لـم تبـق معـلوةٌ إلاَّ خصـصت بـهـا ... في العلم والفضل والإقدام والكـرمِ
فـأنـت تنـقـل من بـذل إلـى ورع ... إلـى حسـام إلـى طـرس إلى قـلم
تـنـقّـلٌ فـتَّ أعـلام الـمـلوك بـه ... مـا أبين الفـرق بين الـرأس والقـدم
دَعْـني أُحَبِّـرْ حُلَىٰ مُـلْكٍ أَقَـرَّ لَـهُ ... من في الأقـاليم من عرب ومن عجم
لـزمتُ مختتمـاً من شكـر مِنَّتِـهِ ... لـزوم غيـري شكـراً غيـر مختتم
شـريتُ بـالشكـر نُعماه يـداً بيد ... فـاعجبْ لمنتشـرٍ يُشـري بمنتـظم
حـرمتُ شكـر سـواه وانفـردتُ بـه ... من عاين الصبح لَم يجنح إلى الظُلَمِ
ولـم أبـالِ بـلومٍ فـي محـبتـه ... فـاللوم في حبـه ضـربٌ من اللَّمم
نـام الـملوكُ عـن العـليـا ونـبَّـهَـهُ ... قلبٌ إذا نـام أهـلُ اللهـو لم ينـم
حـدُّ الـوجـود بـه صحَّتْ حقيقتُـهُ ... وكم وجـودٍ إذا حققت كـالـعـدم
كسـاه غيـري من أمـداحـه حُلَلاً ... لكن جعلت مـديحي مـوضـع العلم
لا زال تـزري بنـور البـدر غـرّتُـهُ ... وجـود أنـمله يـغـني عـن الـدّيـم
مـا أمـطر الأرض ريَّـاً تحت رايتـه ... دمّ الجماجم بـرق الصـارم الخـدم

وكتب برغبة صاحب[1]:

(يهنَ)[2] الجـزيرة[3] منـك أيُّ حسام ... لـلذبّ دون شـريـعـة الإسـلام
وبجيدها في السلم منك وفي الوغى ... سـلكـان مـن جـود ومـن إقـدام
خلقـان مـا كـانـا سـواك لقـائـد ... سيب[4] الغمـام وبـطشـة الضـرغـام
أبـرأتهـا بهـمـا وقبـلك أصبحت ... لـلذّعـر وهـي كـثيـرة الأسـقـام
وغـدوت لـلقـوّاد نـاظـر مـقـلة ... وسـنـان خـطيّ وحـدّ حـسـام
ورآك سـيـدُنَـا الإمـامُ أحـقَّـهُـمْ ... بـقـيـادة الأعـلام والأعـلام
فكسـاك مـن خلع الـولايـة حلة ... جـلت عـن الـسّـوام والأسـوام

---

(1) القصيدة في مدح أبي عبد الله بن صناديد كبير قواد الأندلس في معركة الأرك (الأنيس المطرب 225 البيان المغرب 70/30 - 80 - 223).

(2) كلمة غير واضحة في الأصل.

(3) الجزيرة: الأندلس.

(4) السيب: العطاء.

وحمى بـك الثغـر القصي ودونـه ... شيـع الصـليب تـروم كـل مـرام
فـولجت مـا بين الأسنـة والظُّبا ... حتى فـرجت إليـه كـل زحـام
وغـدوت سهمـاً في نحـور ثغـورهم ... والأمـر قـوس والإمـام الـرّامي
وشننتهـا كـالسيـل في عـرصـاتهم ... والنـار تحت الـريـح فـوق ضـرام
من كـلِّ ذمـر[1] حنكتـه يـد الـوغى ... فـرأيـت رأى الكـهـل سنَّ غـلام
يلقى الأسنـة حـاسـراً فيـردّهـا ... متهلل الصفحـات كـالـصمـصـام
ومـعـود ألَّا تـنـام كـمـاتـه ... حتى يـوسـدّ هـامـهم بـالـهـام
ومـجـدل أقـرانـه لـم تـنـتـقـل ... أقـدامـه إلَّا إلـى الإقـدام
زمـن الـعـدوّ بـهـم ظـلام كـلُّه ... لـيـلان ليـل دجى وليـل قـتـام
قـوت العـدات إلى الكمـاة وإنمـا ... أغـديت أسـد الغـاب بـالأنعـام
ومـلأت أعـينـهم بـهـم وقـلوبـهـم ... رعـبين فـي الـيـقـظات والأحـلام
فـالـروم قـد ألقت إليـك قيـادهـا ... إلـقـاء إسـلام أو اسـتـسـلام
وتـيـقـنـت أن الـفـنـاء يـعـمّـهـا ... بيـديـك إن لم تنصـرف بسـلام
فـتـدرّعـوا ثـوب الفـرار مـذلـة ... فـأسـال بهم أقصى دروب الشـام
حاكمتهـم يـوم الجلاد إلى الـظُّبا ... وهـي التـي جـارت على الـحكـام
ورددتـهـم والـمـوت دون مـردهـم ... رغمـاً على الأعقـاب وهي دوامـي
وسطوت بالأذفنش[2] سـطوة واثـق ... فـي أمـره بـالـواحـد الـقـيـام
(من)[3] شأنه عجب الظهـور ولا رأي ... من نفسـه حكـمـاً من الأحـكـام
أفنى الـدجنـة سـاهـراً متبـرعـاً ... فـي ذبّـه عـن أعـيـن الـنـوّام
شـرك البريـة في وظائف بـرهـا ... ولـه مـزيـة ذابـل وحـسـام
لـم تبـق غيـر بـلاقـع منهـوبـة ... وأرامـل تـحـنـو عـلى أيـتـام
يا ابن الصناديد[4] الألى شهدت لهم ... شـيم الـعـلا بـتـواشـج الأرحـام

---

(1) الذمر: الشجاع.
(2) الأذفنش: الفونسو الثامن ملك قشتاله وقائدها إلى معركة الأرك الشهيرة.
(3) زيادة عن الأصل.
(4) إشارة إلى أن الممدوح أبو عبد الله بن صناديد.

خفّوا إلى صوت الصريخ تجاهلا ... ولدى الرّدى هُمْ (مِنْ) أولي الأحلام[1]

وهُمُ هُمُ لكنَّ هذا مصعبٌ[2] ... يوم الوغى وُهُمُ بنو العوام

لهُمُ جدالٌ في الجلاد بألسن ... للبيض آمنةٍ من الأفحام

ونكاية تدع المعارف للعدا ... في غاية التنكير والإبهام

لله أنت لقد خصصت بفطنة ... تغني فراستها عن استفهام

ولقد نهجت لمقتفيك طريقة ... ماسنَّها أحد من الأقوام

طالت عهود المسلمين بمثلها ... فأعدتها في هذه الأيام

سارت بها الركبان عنك نوافحا ... ترمي بها الآفاق دون ختام

أعملت سيفك جاهداً ومجاهداً ... في فرقة الأرواح للأجسام

فاليوم ألباب العلوج فليلة ... للذعر منك كثيرة الأوهام

ورئيسهم قد لفَّ ذعر(ا) رأسه ... من بعد طول تخمط وعرام

فمتى ترحَّل كان أشأم راحل ... ومتى أقام أقام شرَّ مقام

أطغاه أن طمحت إلى أعلامه ... أبصار أهل عبادة الأصنام

فسما إلى الإيمان (والطاعات) في ... ملمومة للكفر والآثام

والعجب أظهر عاصماً ومحله ... من دون بسطام على بسطام

قاد الصليب بجهله مستنصراً ... والنصر موقوف على الإسلام

فنجا وكيف نجاة قائد جحفل ... متمطراً بطمرّة ولجام

وتركت أسآر الرّدى من جنده ... نحو الجحيم شديدة الأحجام

هذي فتوح خليفة شهدت له ... بالسَّعد بين النقض والإبرام

ولقد تركت على مناهج سعده ... سيف الهدى في الحلِّ ذا إحرام

مستعبراً متبسماً في حالة ... والشأن في مستعبر البسَّام

وملأت أيدي معتفيك مواهبا ... فكأن روض الروض غبَّ غمام

---

(1) هذا البيت غير واضح في الأصل، وهو فيه على النحو التالي:

خفوا إلى صوت الضريح تجاهلا ... ولدى الزّدى هم أولو الأحلام

(2) مصعب بن الزبير بن العوام كان عضد أخيه عبد الله حارب الأمويين بعزيمة صلبة فلما دخلوا العراق خذله قواد جيشه وأصحابه (تاريخ الإسلام للذهبي 108/3 والطبري حوادث سنة 71 وما قبلها).

وقسمت دهرك ليله ونهاره ... في ورد ورد بعد سرو صيام
وغرست في الأجياد كل صنيعة ... تثني عليك بألسن الأقلام
ونظمت في سلك الفخار مناقبا ... حارت لديها فطنة النظام
نثني عليك بحالةٍ ومقالة ... والحال ناطقة بغير كلام
كم مشتكٍ خوفاً وعُدْماً أنقذت ... كفاك من خوف ومن إعدام
ومؤمل قسماً ولم يظفر به ... غادرته بالبر ذا إقسام
أأخا الحيا وابن الحيا وأبا الحيا ... وكذا الكريم يكون نجل كرام
أرويت أمالي وهن ظوامىء ... ببحار برِّك بي وهنَّ ظوامي
وأنلتني مناً بدأت بشكرها ... والعجز قيَّدني عن الإتمام[1]
والحرُّ مثل الجام ما أودعته ... أبصرت باطنه بظهر الجام
لا زلت متصل الرئاسة ساعياً ... ما بين طاعة خالق وإمام

* * *

وكتب على لسان من رغب إليه في ذلك[2]:

حمل الفؤاد على الهوى وتحمّلا ... فأساء لي من بعد ما قد أجملا
واقتاد أهواء النفوس فما ترى ... إلاَّ حجا ماض[3] وعشقاً مقبلا
من كلِّ من يفني الظلام مململا ... في حب من (يفني) النَّهار تدللا
ظبي حكى الآس المنضَّد وفرةً ... والورد خدا والأقاح مقبّلا
فمتى أراد تنزّها في روضة ... وازى المراة بوجهه وتأملا
وإذا بدا خلت الهلال وإن خطا ... خلت القضيب وإن رنا خلت الطلا
في كل عضو منه حسنٌ مفردٌ ... ما حلَّ طرف ظرفه فترحَّلا
يرمي ويصمي حيث شاء كأنه ... في كلِّ جارحة يصادف مقتلا

---

(1) في الأصل: الأتام.
(2) القصيدة في مدح أبي عبد الله بن صناديد (انظر البيتين 72 , 74).
(3) ماض: صفة لحجا ومحلها النصب، وعدل عنه مراعاة للوزن.

فيرى اللقا وهو الحلال[1] محرما ... ويرى الأسى وهو الحرام محللا
كانت مقاساة الهوى في قربه ... شهدا فلما صدَّ عادت حنظلا
ما باله والعدل سيمي قدِّه ... يأبى وقد حكَّمته أن يعدلا
يا أيها الواري عليَّ لأنني ... أرخصت نفسي في الهوى لما علا
(غيرتني) طول السُّهاد كأنما ... أنسيت من قبلي الصدود الأطولا[2]
أيدت دمعي بالنحول شهادة ... لي بالغرام فقال لي لن يقبلا
ورأى ادعائي في المحبة دعوة ... أنّىٰ ولي نسب يبكت داغلا[3]
قل ما تشاء فإنني لك طائع ... إنَّ المحبَّ بمن يحب لمبتلي
ما حال من سبك الفؤاد مدامعا ... وأماله وجداً عليك وماسلا
مرهت[4] جفوني مذ صددت وإنما ... كحل الجفون لدائها كحل الجلا
إني وقد أفنى اصطباري حبَّه ... أفني الزمان بذكره متعللا
في ذكر من تهوى وفي آثاره ... أنسٌ ومن عَدِمَ المثال تمثلا
وإذا المحب ألمَّ بالدار التي ... نزل الحبيب بها أحبَّ المنزلا
لله أيامُ الوصال فإنما ... كان الزمان بها أغرَّ محجَّلا
(إنْ)[5] نحن لم ينعبْ غرابٌ بيننا ... نقصي الوشاةَ بنا ونعصي العذّلا
ونديرها حمراء[6] ياقوتية ... لم تُبْقِ إلاَّ وصفَها أيدي البلا
رقّتْ لطول العهد حتى خِلْتَهَا ... دمعاً وخلت الدَّن جفناً أكحلا
ما إنْ رأيت ولا سمعتُ لمثلها ... جسماً يعود وجوده متخيلا
فَضَّ الختام فقلت صفحٌ مُذْهَبُ ... خَطَّ الحبابُ عليه خطا مُشْكِلا
أهدتْ لنا طَرَفُ الربيع بدائعا ... أضحى لها وجه الثرى متهلِّلا
قد أنبتتْ في كلِّ سهل روضةً ... مذ أنبطت في كلِّ حزن جدولا

---

(1) في الأصل: الحال.
(2) كذا، ويبدو أن في البيت تصحيفاً.
(3) الذاعل: المفسد. وصحفت في الأصل فجاءت: داغفلاً.
(4) مرهت عينه: خلت من الكحل.
(5) في الأصل: إذا.
(6) في الأصل: حمر.

كست الفجاج غلائلاً من سندس ... تلقى بها الريح البليل تبدلا
والنُّور بين مدنَّرٍ ومدرهم ... حيث التفتّ رأيته ملء الملا
والريح تلعب بالغصون كأنها ... أيد تقلّب في طراد ذُلَّلا
والغيم قد حجب السماء بمطرف ... نسجته كفُّ الريح نسجاً هلهلا[1]
وافي يجر ذيوله متبخترا ... فعل الهَدِيِّ يَسِيرُ سَيْراً مثقلاً
خاف النسيم على تألف شمله ... فاستل من برق عليه منصلا
فكأنه والبرق يخفق فوقه ... كفٌ تُصَرِّفُ في حساب أنملا
حتى إذا استوفى تَكَوّنَ درّه ... ألقاه في حجر الفلا ثم انجلا
فتخاله من رعدة في برقه ... متبسماً حيناً وحيناً معولا
ينحى على صدأ الهباء كأنه ... فيما انتحى للأرض أصبح صيقلا
وكأنه أثراً حبيبٌ خاطب ... وكأنه زهراً عروسٌ تجتلي
نطقت بشكر الغيث فيما أودعت ... نشر النّسيم وما تحرك مقولا
والقضبُ في الوشي المنمق تنثني ... تيهاً محلاة المفارق والطلا
نظمتْ حبابَ الطَلِّ في نورانها ... فكأن إكليل اللُّجين مكلَّلا
قامتْ بها سوق المجون وقلَّما ... ألفيتني إلاَّ لها متأثلا
فترى الغمام مساقيا، وترى الحما ... م مغنيا، وترى النسيم مولولا
ما حُسْن[2] ذاك الفصل إلاَّ أنه ... بالقائد الأعلى يروم تمثلا
بالأوحد الفذّ الذي وسع الورى ... بأساً وجوداً هيبة وتطولا
سيف الإمام ورمحه ومحبه ... والحربُ نار غير أن لا تصطلي
(. .)[3] الرئاسة وهي ما هي خطة ... قطب الجزيرة وهي ما هي منزلا
ظمنت له الذِّكرَ الجميلا معجلا ... جدواهُ والأجرَ الجزيلَ مؤجلا
نِيطَتْ به عُظْمَى الأمور فلم يدعْ ... فيها بحمد الله أمراً مغفلا
وشفى النفوس من العدا في مأزق ... يقتات أرواح الكماة تآكلا

---

(1) هلهلا: الهلهل كالمهلهل من الثياب: سخيف النسج وفي الأصل (نسيجاً مهلهلاً) وقد أخرجته زيادة الميم عن استقامة الوزن.

(2) في الأصل ما أحسن.

(3) بياض في الأصل.

مستوجبٌ شيم العلاءِ وغَيْرُهُ ... يغدو على أوصافها متطفِّلا
رامُوا اللحاق به فجاءوا آخرا ... شدُّوا وأقبل سابقاً متهللا
وإذا كبا[1] في محفل وإذا احتبى ... أبصرته كاليم جاوز يذبلا
ولرب يوم للمنية فوقه ... سحب مكفكفة دعافاً مسبلا
طير تحوم على الرؤوس يحثُّها ... موتٌ يروم إلى النفوس توصلا
يَذَرُ الكميّ معفراً والسمهر ... ي مقصفاً والمشرفي مفلّلا
جلَّى به الغمرات ليثٌ محدر ... يحذي رؤوس الدارعين الأرجلا
ومثلثٌ شام الحسام بكفِّه ... والموت يمسح جانبيه فهللا
أمسى ولم تطرقه خيلك ملحداً ... جهلاً وأصبح مسلماً متبتلا
في موقف أما أسنته فمفـ ... ـطرة وأما أعوجيته فلا
جمع البسالة والندى فقد اغتدى ... ناراً مضرّمة وماء سلسلاً
فإذا احتمى كان الغضنفر صولة ... وإذا انتمى كان المعمّ المخولا
أدى فرائض جوده مبرورة ... ثم استدام أداءه متنفلا
يلقي الكمي إذا تقدم رامحاً ... ويحيد عنه إذا تأخر أعزلا
متصرف في الحرب كيف تصرفت ... متنقل بالجود حيث تنقلا
سلْ عنه عُبَّاد الصليب تسلْ به ... غرض المذلة موثقاً ومجدلا
لا يرفعون إلى منادٍ ناظرا ... ذُلاً ولا يلفون خوفاً معقلا
ما أسلموا أوطانهم حتى رأوا ... ضرب الطُّلي عطفاً على طعن الكلي
خضعوا له فاسترجعوا أرماقهم ... منه ومن وجد القبول تنصَّلا
يا ابن الصناديد الذين عليهم ... وقفت نهايات النهي وحلا العلا
من كلِّ وضاح الجبين تخاله ... في هفوة الهيجاء عصباً مفصلا
لك يا أبا عبد الإله مناقبٌ ... تُرضي إلاهك والنبي المرسلا
وكَّلت بالأعداء قلباً لم يزل ... مستسلماً في أمره متوكلا
فتركتَ مجهل كلَّ فضل معلماً ... وتركت معلم كل جهل مجهلا
فشجاعةٌ كانت وراءك معقلا ... ومهابةٌ صارت وراءك جحفلاً
يا قائد الأُسدِ الغضاب وشبَّهت ... بالأُسد لمّا كنت فيه الأولا

(1) كبا: كتم الربو وهو النفس العالي.

يهنيـك إن لم تبق روعـاً في حشى ... يُعْـزَى إليـك ولا محـلا ممحـلا
بهـرت معاليـك العـراق ففـارساً ... فـالشـام فـالفسـطاط ثم المـوصـلا
قل للذي (. . .)[1] الحديث عن النـ ... ـدى رفقاً فلستُ أرى الحديث المرسلا
هـاك السّمـاح عن العيـان وخـلِّ مـا ... نسب السَّمـاعُ بـذكـره فيمـا خـلا
وإليكهـا يـا ابن الكـرام لـوافـد ... لم يـرض غيـرك لـلوفـادة منـزلا
يـثني بمـا آليت قبـلُ بمقـول ... أرويـتـه بـراً فـصـاغ قـرنـفـلا
حيًّـا على شـحط المـزار وليـتـه ... كـان القصيد فنـال مـا قـد أمَّـلا
حسب المخيّم في ذُرَاك فضيلةً ... وكفـاه فخـراً مجتلى تلك الحلى
(أ) عيت حبيبـاً[2] والـوليـد[4] وقبله ... أعيت جريراً[4] والبعيث[5] وجندلا[6]

أمَّلت بسـطاً في الثنـاءِ وغـايتي ... أن أنـثـر الأمـداح نثـراً مجمـلا
لا زلـتَ في بـرٍّ وقَـدْرٍ مـعتـل ... متـملئـاً سعـداً وجدًّا مقبـلا
مـا أمَّ أرضـك رائحـاً ومبكـرا ... مـتـقـلل فـرجعـتـه متـمـولا
ونـقلت فـضلك حيث يـخلد نـقـله ... بـالوعي فـاتصـل الحـديث مسلسـلا

* * *

وكتب برغبة إنسان:

أهـلاً بـغـرتـك الـسـعـيـدهْ ... وبـقـرب غـزوتـك الـبـعـيـدهْ
وبـمـا خُـصِـصْتَ بـه مـن الشـ ... ـيـم الـطريـفـة والـتـلـيـدة
يـا ابـن الإمـامـة والـخـلـ ... ـيفـة[7] نسبـة الشـرف المجيـدة

---

(1) نقص يمكن استكماله بكلمة (رام).
(2) هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام (231 هـ).
(3) هو الوليد بن حبيب البحتري (284 هـ).
(4) هو جرير بن عطية الخطفي أحد شعراء النقائض المشاهير (110 هـ).
(5) هو خداش بن بشر الجاشعي أطول الشعراء أمداً في هجاء جرير (134 هـ) (البيان والتبيين 99/1 ارشاد الأديب 173/4 والشعر والشعراء 195).
(6) هو جندل بن المثنى الطهوي (حوالي 90 هـ) شاعر من تميم اشتهر بهجائه للراعي وبرجزة (سمط اللآل 644 وأعلام الزركلي).
(7) كلمة الخلافة هنا أفضل مع استقامة الوزن في وضعه الحالي.

وأخا الندى والبأس والـ ـمنن العريضة والمديدة
لك في الجهاد مزية قامت بها نفس جليده
ونكاية ذَلَّ العدوُّ لها وَوَطْأَتُهُ شديده
قدَّمت بين يديك * قبـ ـل الغزو آراء سديده
وأزرت أفريقية [1] قِطَعاً قطعتَ بها وريده
وتركته مترقباً بأساً (لـ) كرتك المبيده
صاد الكماة مخاتلا والسعد يقضي أن تصيده
ولكم أعد مكيدة لكم فلم تغن المكيده
قد ذاق حطمة عزمه بدأت وسوف ترى معيده
آثار من هجر الحفا ظ قصوره أنفا وغيده
ورأى عن القعدي [2] عن حرِّ الوغى سيمى القعيدة
يا ضيغم الحرب الذي صار الهزبر له طريده
أحييت تونس بعد ما أودتْ بها محنٌ عتيدة
ومحوت إذ كلب العد وُّ بصدق وعدكُمُ وعيده
وتركتها كالروض (. . .) [3] بجود راحتك المجيده
يثني عليك مسوَّمٌ بِدَمِ العُلا حَلَّيْتَ جيده
ومقومٌ لدنُ المهزِّ وصارمٌ صافي الحديده
وغدت رسوم الدين بعد دروسها بكم مشيده
(أ) [4] نفقت من سوق التُّقى فكأنها بك مستفيدة

---

(1) لعلها إشارة إلى حركة الناصر إلى بلاد أفريقية سنة 599 وقضائه الفتنة المشتعلة بجهاتها (البيان المغرب 242/3) وهي أحداث داخلية لا ذكر فيها للنصارى، وربما كانت الإشارة إلى هزيمة الموحدين للميارقة في شمال أفريقيا، والقصيدة في مدح الأمير أبي العلاء المأمون (انظر البيت 3 و 6).

(2) ورأى على القعدي: (كذا) وأظنها: وروى عن القعدي، والقعدي: عمران بن حطان الذي كان يقول بالقعود عكس قطري بن الفجاءة الذي يكفر القعدة، وفي شعر أبي نواس إشارة تقول:
فكأني وما أزين منها قعدي يزين التحكيما

(3) كلمة غير واضحة في الأصل.

(4) زيادة عن الأصل.

واختالتْ الدنيا بكم ... تيهاً فها هي كالخريده
وغدوتَ في دست العلوم ... ولا عميد له عميده
ونشرت ما بين الخليل[1] ... من الأئمة وابن سيده[2]
شيّدت أرجاء العلاءِ ... أبا العلا وعمرت بيده
الملك ناس ذكره مَأْمُو ... نَهُ بك بل رشيده
أنَى يعيد وأنت أنت ... (ملوكه ويعد صيده[3])
وإذا أردت من الخلي ... فة لمحة فانظر حفيده
ملك له طُعْمَانِ لل ... فئة المحبة والعنيده
هو للمسالم شهدةٌ ... وعلى الأعادي كالهبيدة[4]
وُجدتْ به شيمُ السيادة ... بعد أن كانت فقيده
يهنا الأكارم أن غدا ... ملكاً لهم وَغَدوْا عبيده
وإليك يا نجل الإمام ... وشبهه منّي قصيده
إنشاء مجبول الضمير ... على محبتك الوكيده
داعٍ لملكك بالدوا ... م وحظه أن يستزيده
أناً واحد في نشر ما ... تطوي سيادتُك الوحيده
قد صار شكركم لديّ ... سجيةً لا بل عقيده
يبلي الزمان وأهله ... ومحبتي أبداً جديده
وافى البشير بقربكم ... فسجدتُ مراتٍ عديده
ووهبته نفسي ومن ... حق البشارة أن أزيده
فَلْيَهْنَكَ العيدُ السعيد ... ويهنَهُ أنْ كنت عيده
واخلدْ لملك لا تزا ... ل فريد بهجته الفريده
والسعد ينشد دائباً ... أهلاً بغرتك السعيده

---

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي أحد المشاهير من أئمة اللغة وواضع علم العروض (170 هـ).

(2) ابن سيده: هو علي بن إسماعيل (458 هـ) صاحب المخصص والمحكم (بغية الملتمس 405، ووفيات الأعيان 342/1 وأنباه الرواة 225/2.

(3) هكذا جاء رسم البيت، ولم أتبين وجه الصواب في تصحيحه.

(4) الهبيد: الحنضل وهو ثمرة شديدة المرارة.

حضرة السيد الأرفع الأجل، وعلم العقد في هذا العصر والحل، وتارك العدو محامياً بالحد[1] الأفل، آوياً إلى العدد[2] الأقل، ذي الشيم الجميلة والمنن الجزيلة، والهمة السامية إلى نيل كلِّ منقبة وإحراز كلِّ فضيلة ، أعلى الله يده وعضدها، وأقام بعدله ميل المكارم وأودها، وأمتع ببقائه الكافة، فقد استرقها بالإحسان واستعبدها.

عبد حضرته السامية، وشاكر أياديه الهامية، المنطوي على كبد إلى تقبيل كفه العالية ظامية، فلان، أما بعد:

فكتبته، كتب الله للحضرة العلية أسنى المواهب، وأربى الفتح الآتي على الفتح الذاهب ، ولا أعدمها بتحمله عذب الغنى ونواصي السَّلاهب[3].

ولا جديد بعد الاعتراف بمنن الله سبحانه، واللُّطف الذي لا أزال آوي ظاهراً وباطناً مكانه، إلاَّ ما أنا عليه من برٍّ ذلكم الجناب الأرفع، وشكر إحسانه الأنجع الأنفع، والقول بكماله الجائز أمديْ المرأى والمسمع، فهو حضرة كمال، وقبلة آمال، وجاه ومال، (54 ب) لمن ليس بذي جاه ولا مال، أقامها الله للفقراء علماً يقصدونه، ويمحون بأنس رؤيته الوحشة المعترضة دونه، ما جيادهم حالية بنداها، وخواطرهم على كثرتها لا تتعداها، ولها من دعواتهم الخالصة الحظ الأجزل، والقسم الذي يحل محل البداية وينزل، ذلك لنسبة التقوى التي اكتسبها، ومجاهداته التي أخلصها لله تعالى واحتسبها، وانجذابه بطبعه الفاضل إلى ممازحة الفقراء، وسموّه بهمته عن ملك الأرض إلى ملكوت السماء.

والله تعالى يمتع علاه بحلاه، ويجمع له خيراً أجزاه وأولاه، وما أحقه بهذا الدعاء وأمثاله وما أولاه.

ولما يسر الله تعالى وجهتكم السعيدة، وغزوتكم التي تركت الجهات الأفريقية غضة جديدة، وحرَّكتكم بواعث الإشفاق والدين يجبر أهلها

---

(1) في الأصل: بالجد.

(2) في الأصل: العد.

(3) السلاهب: من الحيل ما عظمت وطالت عظامها.

المضطهدين لم يزل العبد باسطاً يد الدعاء، مستشفعاً بمن يرجّي كونه من الشفعاء، مستديماً للحضرة العلية دوام العلاء والبقاء، والإمتاع بما قام به مقام الاتقاء، مستوهباً له الأولية بمسار الأولياء ومساءات الأعداء، مستفهماً جواب التنائف وركاب اللجّ المتقاذف، سائلاً سؤال المشفق الخائف، متنسماً نسيم الأياب، متململاً لحرق الغيبة والأغباب.

إلى أن وافى[1] البشير، والأكف إليه تشير، فأهدى إلى النفس شفاهاً، وقد قاربت أشفاها، وأورد عليها من المسرة [ما] كفاها، وقد شارفت انكفاها.

فالحمد لله على نعمة، وأيّ نعمة، وخروج إلى فسحة من غمّة، وسلامة ملك تملكه البأس والجود، ونور طابق معناه منه حس هذا الوجود.

وأما العبد خصوصاً فلو يستطيع لطار، وفارق هذه الأقطار، فبقاؤه ولا يقبّل الكفَّ العليا من مصائب الدُّنيا، وهو ينتظر حالاً تسعده، وأقداراً تعتلق بها يده، فيصل التأويب بالسُّرى، ويؤم حضرة الملك الأسنى الأسرى، فيرى الفضائل مجموعة شخصاً، ويسمع منقولات المحامد نصاً، ويظفر بمقام يزيد مرآه البصيرة صقلاً، ويكسبها تدرجاً في مراقي السلوك (55 أ) وانتقالا، ويحط عن ظهره من ألم الغيبة عن تلك الحضرة أعباء ثقالا.

والله تعالى يبقي السيد الأجل في منح تتَّسق دررها، ومعال تأتلق غررها، ولا يعدمها سعادة تكون على النجم موردها، وإلى الفتح مصدرها.. بمنه.

* * *

وكتب بسؤال سائل:

علاؤك مضمون وسعدك واضح ... وسعيك للدُّنيا وللدِّين ناجح
مغالق أبواب الفتوح كثيرة ... وفي كفِّك العليا لهنَّ مفاتح

---

(1) في الأصل: وفى.

لـذلـك دوَّخت البـلاد فـطرفهـا[1] جميعـاً إلى أعـلام سعـدك طـامـح
وأبـرأت أدواء الجـزائـر بعـدمـا[2] ألمَّ بهـا خـطب مـن الشـرِّ فـادح
ألا قـل لأربـاب الـردى بميـرقـة فـربتمـا أودى النصيحـة نـاصـح
ردوا مشـرع الأمـر العـزيـز فـإنـه إلى الرشد داع (أ) وإلى الغي صافح

* * *

وأصبحت الأمثـال مضـروبـة بـه سماحا إذا أعطى وبأساً إذا أبلى[3]
لـك الشيمـة الغـراء غير مشـارك إلى الهمـة العليا إلى السيـرة المثلى
وفيـك من المنصـور شتى محـاسن تـأملتهـا حسـاً وحققتهـا عقـلا
ومـا غـاب من أحييت بـالشبـه ذكـره ولم يفقد الضرغـام من وجد الشبـلا
تـنـقـلت مـن قـصـر لآخـر دونـه فـأكسبته لمـا حللت بـه الفضـلا
فهـذا كمـا جَـرَّت عـروس حُلِيَّهـا وذاك كمـا اجتـابت معـاوزهـا ثكـلا
هنيئـاً لـربـع أنت كـوكب أفقـه وأهـل لقصـر قـد غـدوت لـه أهـلا
فمـا أنت إلاَّ الروح أعضـاؤه الـورى يصـرفهـا رأسـاً متى شـاء أو رجـلا
لئن حفـك القصَّـاد شـرقـاً ومغـربـا وبـاتوا إلى جـدواك قد ملؤوا السُّبـلا
فمـا ذاك إلاَّ أن بشـرك لـم يحـل قطوباً وذاك الجـود لم يستحلْ بخـلا
بقيتَ بقـاءَ الـدهـر لا تبـرح العـلا ولا تسـأم التقـوي ولا تفقـد الفضـلا
ومجـدك عـال (لا يخط ولا يـمي) وسعـدك غضٌّ لا يبيـد ولا يبـلى[4]

* * *

---

(1) في الأصل: طرقها.

(2) احتل بنو غانية أصحاب ميورقة بعضاً من الشمال الأفريقي سنة 580 هـ ومنها الجزائر واستردها أبويعقوب المنصور سنة 581 ثم تلت ذلك أحداث في عهد الناصر استولى فيها الموحدون على جزائر الأندلس الشرقية ذاتها، ويبدو أن الناصر هو المعني في البيتين الثالث والرابع من القطعة الثانية ولكن المراد بالجزائر هنا يحتاج إلى مزيد من الكشف. (راجع الفصل الخامس من دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عنان 250/3 وما بعدها).

(3) استأنف بهذا البيت أبياتاً من قصيدة أخرى في المدح.

(4) ينتهي إلى هنا ما للفازازي في الأصل وقد تلته نصوص نثرية بأسلوب مغاير وخط وموضوع مختلفين، إذ الأصل مجموع يحتوي على ثلاثة كتب، ولكن التعقيبة الواقعة في آخر صفحة من آثار الفازازي تدل على أن لنصوصه بقية مفقودة.

مع تحيات إخوانكم في الله
ملتقى أهل الحديث
ahlalhdeeth.com
خزانة التراث العربي
khizana.co.nr
خزانة المذهب الحنبلي
hanabila.blogspot.com
خزانة المذهب المالكي
malikiaa.blogspot.com
خزانة المخطوط العربي والإسلامي
makhtotat.blogspot.com
عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث
akidatuna.blogspot.com
القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة
kawlhassan.blogspot.com

الملاحق

أولاً : الشعر :

الألف المقصورة

(خير العالمين)

وقال من اللزومي :

أصخ فلخير العالمين مناقب ... تدل على التمكين والشرف الأسري
أتي والورى أسرى فكان غياثهم ... بنور سماء ينقلون عن الإسرا
وعفى رسوم الكافرين وأهلها ... فلا قيصر من بعد ذاك ولا كسرى
تقدم كلَّ العالمين إلى مدى ... تظل به الأوهام طالعة حسرى
وخُصَّ بتشريف على الناس كلهم ... ومن لم يقلْ هذا تقوَّله قسراً
ترقى إلى السبع الطباق ترقِّياً ... حقيقاً ولم يعبر سفينا ولا جسرا
وبالجسم أسرى الله وهو دلالة ... يمحلّها من لا ييسّر لليسرى
فسبحان من أسرى إليه بعبده ... وبورك في الساري وبورك في المسرى
وكم عجب أوحى إلى عبده به ... فدونك تجميلا ولا تطلب الفسرا[1]

* * *

(1) النفح 508/7، وصواب قوله (تجميلا) : اجمالا .

الهمزة

(خير الأنبياء)[1]

إذا أمّلت من مولاك قرباً ... فجدِّدْ ذكر خير الأنبياء
وصلِّ عليه أول كلّ قول ... وآخره بصبح والمساء
فإن محمداً أعلى البرايا ... محلاً في السيادة والعلاء
لواء الحمد في يمني يديه ... وكلُّ الناس من دون اللواء
فحدِّث عن دلائله ففيها ... شفاء للنُّهى من كلِّ داء
ولست بناقل للعشر منها ... وهل تفنى الزواخر بالدلاء
فقل للسامعين قفوا فهذا ... محال ليس يحصر بانتهاء
براهين البسيطة ليس تحصى ... فدونكُمُ براهين السماء

(الصباح الهاشمي)[2]

أما يمين محمد ... ويساره فهما سماء
كلتاهما إن صوّح الـ ... ـمرعى لنا طعم وماء
وإذا أضرَّ بنبا السقا ... م وغيره فهما شفاء
فاعجب لكف في الورى ... فيها عن المزن اكتفاء
فاقطع بأن محمداً ... في الخلق ليس له كفاء
فإذا أصخت لآية ... فالنور فيها والضياء
هذا الصباح الهاشمـ ... ـيُّ بدا فليس به خفاء
فالأرض قد فتحت بمبـ ... ـعثه وفتّحت السماء
سبق القضاء بسبقه ... والله يفعل ما يشاء

* * *

(1) النفح 509/7.
(2) النفح 509/7.

حرف الباء

(الفلاسفة)[1]

عجبا لمن ترك الحقيقة جانباً ... وغدا لأرباب الصواب مجانبا
وابتاع بالحق المصحح حاضرا ... ما شاء للزور المعلل غائبا
من بعد ما قد صار أنفذ أسهما ... وأشدَّ عادية وأمضى قاضبا
لا تَخْدَعَنْكَ سوابق من سابق ... حتى ترى الاحضار[2] منه عواقبا
فلربما اشتد الخيال وعاقه ... دون الصواب هوى وأصبح غالبا
ولَكَمْ إمام قد أضر بفهمه ... كتب تعبّ من الضلال كتائبا
فاقذف بأفلاطون أو رسطالس ... وذويهما تسلك طريقاً لاحبا
ودع الفلاسفة الذميم جميعهم ... ومقالهم تأتي الأحق الواجبا
يا طالب البرهان في أوضاعهم ... أعزز عليَّ بأن تعمر جانبا[3]
أعرضت عن شط النجاة ملججا ... في بحر هلك ليس ينجي عاطبا[4]
فصفا الدليل فما نفعت بصفوه ... حتى جعلت له (التحير)[5] شائبا
فانظر بعقلك هل ترى متفلسفاً ... فيمن ترى إلا دعيّاً كاذبا
أعيته أعباء الشريعة شدةً ... فارتدَّ مسلوباً ويحسب سالبا
والله أسألُ عصمة وكفاية ... من أن أكون عن المحجة ناكبا

---

(1) الاحاطة 521/3.

(2) في الأعلام : الاحصار.

(3) في الأعلام: اعزز عليَّ بأن تعمم خائباً.

(4) في الاعلام: عاتبا.

(5) كلمة غير واضحة في الأصل قرأها محقق الإحاطة (الحبر) ووردت في مخطوطة الزيتونة (اللجى) وقرأها محقق الأعلام بمن حل بمراكش: (الخير) ولا يستقيم بذلك الوزن ولا المعنى، ولعلها (التحير) كما أثبتها من خلال الجمع بين الصور الممكنة لقراءتها، ورسمها، إذ اللام الثانية في نسخة الزيتونة هي التاء المفقودة في نسخة الاسكريال ولم يبق من دليل عليها سوى نقطة جعلت من رآها يظنها للحاء فقرأها خاء.

(مناجاة[1])

إليك مددت الكفّ في كل شدة ... ومنك وجدت اللطف في كل نائب
وأنت ملاذ والأنام بمعزل ... وهل مستحيل في الرَّجاء (كواجب)[2]
فحقِّق رجائي فيك يا ربّ واكفني ... شمات عدوّ أو إساءة صاحب
ومن أين أخشى من عدو أساءة ... وسترك ضاف من جميع الجوانب
وكم كربةٍ نجيّتني من غِمارها ... وكانت شجا بين الحشا والتّرايب
فلا قوةٌ عندي ولا لي حيلة ... سوى حسن ظني بالجميل المواهب
فيا منجى المضطر عند دعائه ... أغثني فقد سدَّت عليَّ مذاهبي
رجاؤك رأسُ المالِ عندي وربحُهُ ... وزهدي في المخلوق أسنى المواهب
إذا عجزوا عن نفعهم في نفوسهم ... فتأميلهم بعض الظُّنون الكواذب
فيا محسناً فيما مضى أنت قادر ... على اللُّطف في حالي وحسن العواقب
وإني لأرجو منك ما أنت أهله ... وإن كنت خطّاءً كثيرَ المعائب
فصلِّ على المختار من آل هاشم ... إمام الورى عند اشتداد النوائب

* * *

(الطعن والضرب[3])

الطعن والضرب منسوبان للعرب ... بالسمهرية والهندية القضب
والحرب تبعث منها كلَّ معترك ... حفائظاً تترك الأعداءَ في حرب
حازوا الوفاء إلى الأقدام وانتسبوا ... إلى خلال المعالي كلَّ منتسب
تجشمت جشمٌ نصر المعد لها ... أسنى الجوائز من مال ومن نشب
وجاءت الخلط المشكور مقدمها ... كالأسد تبدو عليها سَوْرَةُ الغضب

---

(1) الاحاطة 522/3 والأعلام 85/8.
(2) في الاحاطة كرائب ولا معنى لذلك، والتصحيح عن الأعلام.
(3) الذيل والتكملة 290/6 - 291 ـ والبيان المغرب 280/3 المغرب 117/1 والنفح 119/2 والقدح المعلى ص 203.

خَفُّوا إلى نصر حزب الله واحتفلوا ... في عسكر صخب أو جحفل لَجِبِ
كتائبٌ ضاقتْ الأرضُ الفضاءُ بها ... في ظلّ ألويةٍ منشورةِ العذب
فمن صوارمَ مثل النّار في صعد ... ومن سوابقَ مثلِ الماءِ في صبب
بحرٌ على البرِّ مرتَجٌّ غواربُهُ ... من فوقه قِطَعُ الراياتِ كالسُّحُب
شواهدٌ صدقتْ فيهم مخايِلُهَا ... بما لهم من صميم الدِّين والحَسَبِ
تَذَكَّرُوا مِنَنَ المنصور فاعترفوا ... لنجْلِهِ بعد كَرَّاتٍ من الحقب
والفضلُ يبدو على الأحرار رونقُهُ ... وليس يخفى على الباقي من العقب
أما هلال فقد أوفى بذمته ... وفاء راع لحقّ الدين والأدب
رأى الخلافة حلَّتْ غير موضعها ... فأدركته عليها غيرةُ العرب
وقال لاسلم حتى يُستقاد لها ... من ظُلْمِ مستلبٍ أو جور مغتصب
وسلم الأمر للأولى الأحق به ... بالرُّغم من أنف أهل الغدر والكذب
وافت مصرِّحةً بالودِّ بيعته ... طليعة بجزيل النصر والغلب
جمعا لفضلين يلقي الحسنيين به ... نصر الكتائب في الهيجاء والكتب
صبراً أبا النجم صبراً إنها قُحَمٌ[1] ... تُجلى وتمحى بفضل الله عن كتب
ودم على حالةٍ تجني عواقبها ... أذكى من المسك في أحلى من الضَّرب
وعندنا لك إيثار ومرتبة ... تنحطُّ عنها مزايا ساير الرتب
وسوف تلقى بعون الله مأثرة ... تحظى براحتها من ذلك التعب

* * *

(التباريح)[2]

صرّحت بالحب إذ لم يجد تلميح ... وبرحت بي لا غرو التباريح
وما ترجمت أفراحي لغيركم ... إلا انثنيت وللترجيح تجريح
يا نازحين وفي الأحشاء بعدهم ... طال النزوح فدمع العين مطروح

---

(1) ـ قحم: جمع قحمة وهي المهلكة أو القحط أو الليالي غير المقمرة من الشهر.

(2) الأبيات في الإعلام بمن حلّ مراكش 87/8 وبعدها ما يفيد نقلها من الاحاطة ، على أنها ساقطة من النسخة المطبوعة بتحقيق عبد الله عنان.

لا تـطلبـوا الأذن من أذن على خلد ... فباب قلبي لمن يهـواه مفتـوح
لم أصـغ فيكم إلى لـوم ولا عـذل ... سيّان عندي ذاك العذلُ والريح
يـا لائمي في أنين لي بـه فـرج ... مهـلاً فـإن أنين الحب تسبيـح
إذا رأيت دمـوع العين هـاميـة ... فـلا تـشكنّ أن القلب مجـروح
وإن أغـرب شيء أنت سـامعـه ... جسم ينعم في تعـذيبـه الـروح
وسـائـل ضقتُ ذرعـاً أن أجـاوبـه ... وقد ينوب عن التصـريح تلميـح
(يقـوم عمٌّ وفيمَ القلب مختبـل)[1] ... والعقل معتقل والـدمع مسفـوح
قلب بـه أسطر الأشـواق مدمجـة ... ولـوحـه قـاصـر عن عـرضـه اللوح
فـقلت يـمنعني من أن أبـوح بـه ... قـول الـمنـزه قـدوس وسـبـوح

(في شكر الله على غيث بعد قحط[2])

نِعَمُ الإلـه بـشكـره تـتقـيـد ... فـالله يشكـر في النـوال ويُحمـد
مُـدَّتْ إليـه أكفُنَـا محـتـاجـةً ... فـأنـالهـا من جـوده مـا تعهـد
وأغـاثـنـا بـغـمـائـم وكّـافـة ... بـالبِشْـرِ تُبْـرقُ والبشـائـر [3] تُـرعـد
حملت إلـى ظمـأ الـبسيـطة ريَّـهُ ... ويد الغمام على الثرى لا تجحد [4]
فـالجـو بـرَّاق الشُّعـاع مفـضض ... والمـاء فيـاض الأتيّ معـسجـد [5]
والأرض في حلي الـربيـع كـأنمـا [6] ... نـطف السحـائب لؤلؤ وزبـرجـد
والـروض مـطلول الخمـائـل بـاسم ... والقضب نـاعمـة المعـاطف ميّـد [7]

---

(1) في الأصْل (عمم وقيم) ولا يتضح منهما مراد الشاعر لما فيهما من تصحيف ظاهر.
(2) وردت القصيدة في رحلة ابن رشيد 2 ص 254 وتمامها في الهامش رقم 489، ومعظمها في الاحاطة 519/3 - 520 والأعلام بمن حل مراكش 85/8 وبعضها في النفح 122/4 وفي السحر والشعر لابن الخطيب/ 226 وروضة التعريف 263/1.
(3) في الرحلة: السعادة.
(4) في الاحاطة: فلها عليه منّة لا تجحد.
(5) في الاحاطة: والماء فياض الأثير معسجد.
(6) في الاحاطة: والأرض في حلها الآتي كأنما.
(7) في الاحاطة: والقضب لينة الحمايل ميّد.

مَجَّتْ بقايا الريِّ في نوارها ... فكأنما هي جوهر متبدد[1]
تاهت عقول الناس في حركاتها ... ألسكرها أو شكرها تتأود[2]
فيقول أرباب البطالة تنثني ... ويقول أرباب الحقيقة تسجد
وإذا اهتديت إلى الصواب فإنها ... في حق خالقها تقوم وتقعد
هذا هو الفضل الذي لا ينقضي ... هذا هو الجود الذي لا ينفذ
أحضر فؤادك للقيام بشكره ... إن كنت تعلم قدر ما تتقلد
وانفض يديك من العباد فكلُّهم ... عجزاً يحل وأنت جهلاً تعقد
فهم وأنت عبيد مولى واحد ... فدع العبيد فليس إلاَّ السيد[3]
وإذا افتقرت إلى سواه فإنما ... ألوى بخاطرك الطريق الأبعد[4]
نِعَمُ الإله كما تُشاهِدُ جمةٌ ... والغائبات أجلُّ مما تشهد
فانظر إلى آثار رحمته التي ... لا يُمْتَرَى فيها ولا يتردد
يا ليت شعري والدليل مبلغ ... من أي وجه يستريب الملحد
من ذا الذي يرتاب أن إلٰهه ... فردٌ وألسنة الجماد توحِّد
كلٌ يصرِّحُ حالهُ ومقالُهُ ... أن ليس إلاَّ الله رب يعبد

* * *

(في صبي[5])

قال ابن الحاج النميري:

(ولأبي زيد الفازازي وقد خرج من الحمام وقدم صبي رضي الوجه، وكانت عادته إذا خرج منه أن يُرَشَّ بماء الورد، فلما قدم الصبي أمسك

---

(1) البيت غير وارد في سوى رحلة ابن رشيد من المصادر.
(2) في الاحاطة: ألشكرها أم سكرها تتأود.
(3) لا يوجد في غير الرحلة.
(4) في الاحاطة: (الذي بخاطرك المجال الأبعد) وفيه تصحيف ظاهر، وفي الأعلام (أودي بخاطرك) وهو أولى.
(5) مذكرات ابن الحاج 28/2 ب.

الحمامي عن الرش فأنشد مرتجلاً:

رُشُّوا بماءِ الوردِ ضيفاً لنا ظبياً أنار الحسنُ من خده
فقلت وقد رشَّ به وجهه قد رجع الماء إلى ورده

* * *

حرف الراء

(في الملحدين[1])

قَبَحَ[2] الإلهُ الملحدين فإنهم جحدوا الضرورة
والمعجزات تواترت عن أحمد في كلِّ صوره
والله أعلى كعبه في خلقه وأتمَّ نوره
كثر الطعام مع الشرا ب بكفه عند الضروره
وتكنَّفته عناية من ربه أعلت أموره
نادى البرية فالقلو ب إلى إجابته قصوره
وحمى الشريعة بالدلي ل فدع معاندها وزوره
قل للمشكّك حين يب دي في تشكُّكِهِ قصوره
بيني وبينكمُ الكتا ب فدونكم فأتوا بسوره

(الأدب في حضرة المصطفى)[3]

تأدب إذا ذكر المصطفى بصمت اللسان وغضِّ البصر
فإنَّ التأدب عند السماع يفهّم في النطق أو في النظر

---

(1) النفح 511/7.
(2) قبحه: بدون تضعيف العين من باب قطع بمعنى نحاه عن الخير.
(3) النفح 511/7.

وردَّدْ (أحاديثه)[1] إنها دليل على صدق خير البشر
وصلِّ عليه هدى ذكره فذلك أفضل ما يُدَّخر
ولا تسترب في براهينه فتسلك مسلك قوم أخر
فكم آية ظهرت للنبيّ وكم أثر عنده قد ظهر
ومن شكَّ في نور برهانه على أنَّ برهانه قد بهر
فكبِّر على عقله أربعاً وقلْ فوق طورك هذا الخبر

* * *

حرف السين

(في سيد الناس)[2]

يا ذا المعنيّ بهذا الذكر تسمعُهُ في المدح تأثره في سيد الناس
هذا النبي، ومن آيات أثرته في الطيِّب والطوّل لا تجري بمقياس
قد انقضت معجزاتُ الغيبِ وافيةً صحيحة باستفاضات وإحساس
وهاك نوعاً من الإعجاز منتزهاً عن نقد منتقد أو صفح[3] قرطاس
لا تعدم النقل عن آثار سيدنا فإنما نحن فيها بين أعراس
تنقّل الأنف في النَّوار ينشقه من ياسمين إلى ورد إلى آس
إنَّ القلوب إذا اعتلت خواطرها فذكر أحمد فيها المبرىء الآسي

* * *

(ـ وكتب متشفعاً ـ[4])

لا بد للمعتلِّ من آسي والناس في دنياك بالنَّاس

---

(1) في النفح أحاديثها ولا وجه لذلك.
(2) النفح 511/7.
(3) كذا: ولعلها صحف.
(4) لمح السحر ص 36.

وحـامـل الـرقـعـة ذو حـاجـة قـضـاؤهـا مـا فـيـه مـن بـاس
فـاشفـع لـه تؤجـر وإن لم تجـدْ فـسـلِّه إن شئـت أو واس

* * *

(ـ مياس العواطف ـ)[1]

وأَدورَ ميَّاسِ العواطف[2] أصبحت محاسنه في الناس كالنَّوع في الجنس
يـديـر على القـرطـاس أنمـل كفـه فيدرك أخفى الخطِّ في أيسر اللمس
فقـال فـريق سحـر بـابـل عنـده وقـال فـريق ليس هـذا من الإنس
فقلت لهم لم تفـهمـوا سـرَّ دركـه على أنـه للعقـل أجلى من الشَّمس
فتى كفـه جب القلوب فـأصبحـت مـداركهـا أجفـان أنـمله الـخمس

ـ العين ـ

(المعجزة)

هـاك عن هـذا النبي المصـطفى خـبـراً يـقـبـله مـن سـمـعـه
سبّحت صمُّ الحصى في كَفِّه ثـم في كـفِّ الـهـداة الأربـعـه
وإذا أبـدى نـبـيٌّ عـبـرة فـهـو لا ينـكـر فـيـمـن تـبـعـه
أي نـطق قـد روى إعـجـازه عـن سمـاع كـل مـن كـان معـه
حجـج الـرسـل التي قـد سلفت أصبحـت في أحـمـد مجتـمـعـه
فـاعتقـد صحتـهـا واعمـل بـهـا فـدعـاوى ضـدهـا مـنـقـطعـه
ممكنـات العقـل لا يجحـدهـا غيـر أهـل الـطبـع والمبتـدعـه[3]

* * *

(1) الاحاطة 522/3 والأعلام بمن حل بمراكش 87/8.
(2) في الاعلام:المعاطف.
(3) النفح 509/7.

(أسير الخطايا[1])

أسير الخطايا عند بابك واقف ... يروم جوازاً وهو في النقد زائف
له كل يوم توبة ثم حوبة ... متى عنَّ ذكر أو متى مسَّ طائف
تبهرج بعد الأربعين وإنها ... لغاية ما يجري إليه المخالف
فيرنو بطرف القلب إن لاح بارق ... ويصغي بسمع القلب إن صاح هاتف
يعلِّل بالتسويف وهو مغلط ... تحوم بمعناه النفوس الضعائف
وإني لأدري موضع الطب في الهوى ... وأهواه لكن أين نفسٌ تساعف
وكيف أرجّي من هواي إفاقة ... وما القلب خفاق ولا الدمع ذارف
أراقب والأصرار دأبيَ توبةً ... وهيهات لا يُجْنَى من الصّاب ناطف
إذا لم يكن عقلي عن الغي زاجراً ... فماذا الذي تجدي عليَّ المعارف
تصرُّفه نفسي كما لا أحبه ... وليس لها من حجة العقل صارف
فيا رب قد أوديتُ إلا عُلالة ... لها تالد من حسن ظني وطارف
وقد تُهلك البطالَ أولى ذنوبه ... وتنقذه بالأخريات اللطائف
وإني لأرجو منك رحمى قريبة ... على أنني من سوء فعلي خائف[2]

(ذهب الكرام)

ذهب الكرام فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق[3]

* * *

---

(1) الذيل والتكملة 548/1.

(2) راجع المصدر السابق وفيه بقية ص 549 برواية الرعيني:

أسير الخطايا والمآثم واقف ... ببابك يخشى وزنه وهو زائف
فيرنو بطرف القلب إن لاح بارق ... ويصغي بسمع النفس إن ناح هاتف
صبا ومشيب ليس هذا بممكن ... وكيف تصابي الكهل والموت آزف
إلى الله أشكو حال سهو وغفلة ... يضاعف حزني شؤمها المتضاعف
أعلل بالتسويف نفسي وإنه ... سراب تُرَجِّيهِ النفوس الضعائف

(3) لمح السّحر 202. ونسب البيت في المنتظم لابن الجوزي والنجوم الزاهرة 246/5 وطراز المجالس ص 247 لإبراهيم بن عثمان الفزي.

يا نائم الطَّرف[1]

يـا نائم الـطَّرف عن سهـد وعن أرق وفـارغ القلب من وجـد ومن حـرق

* * *

حرف الكاف

(النبي)[2]

بـركـات رسـل الله غيـر خفيـة ومـحـمـد خيـر الـبـريـة أبـرك
هـذا النبي الهـاشمي هـو الـذي هُـدي الأنـامُ بـه وبـان المسلك
كـم آيـةٍ لـمـحـمـد كـم حـجـةٍ عـزَّ الـولـيّ بهـا وذلّ الـمشـرك
دعـواتـه مسمـوعـةٌ مـرفـوعـة والحس ليس يصـح فيـه تشكـك
لا شيء أعجبُ من دلـيـل واضـح يـحـيـا بـه بـعض وبـعض يـهـلك
أمسـك بحبـل محمـد خيـر الـورى تـظفـرْ بقصـدك أيها المستمسـك
وإذا عـجبت لـغـايـة فـي رفـعـة فمحـلّ أحـمـد غـايـة لا تـدرك

* * *

(في سهل بن مالك)

عـجـبـاً لـلـنـاس تـاهـوا بـبـنّـيـات الـمـسـالـك
وصـفـوا بـالـفـضـل قـومـاً وهُـمُ لـيـسـوا هـنـالـك
كَـثُـرَ الـنـقـل[3] ولـكـن صـح عـن سـهـل بـن مـالـك[4]

* * *

(1) المقتضب من تحفة القادم ص 134، وفيه أن هذا البيت من قصيدة هي من جيد كلامه في النسيب.
(2) النفح 510/7. برنامج الرعيني 63 والذيل والتكملة 105/4 وفيه أن أبا بكر الجلماني انتحلها وكذب سمح الله له.
(3) في برنامج الرعيني: الوصف.
(4) أبو الحسن سهل بن مالك أديب جليل وعلم مشهور (ترجمته في القدح المعلي 60 والتكملة 2007 والمغرب 105/2 ونفح الطيب [راجع الفهرس]).

حرف اللام

(خير الورى)

كملتْ بنعتِ محمدٍ خيرِ الورى ... غررُ القصائد كلِّها وحجولها
واختص دون الأنبياء بدعوةٍ ... وسع العبادَ عمومُها وشمولُهَا
فاضتْ على الثقلين منه أشعَّةٌ ... طلعتْ وما عقب الطلوع أفولها
فالإنسُ تعلم أنه مقصودها ... والجنُّ توقن أنه مأمولها
كم آيةٍ بالصدقِ كان ظهورها ... كم آيةٍ بالسَّبق كان نزولها
وكفاك هذا الوحي فهو شهادة ... لمحمد لزم العباد قبولها
جمع الإلهُ المكرماتِ لأمَّةٍ ... هذا النبي الهاشمي رسولها[1]

(جواب إلى أخيه)

(أرسل محمد الفازازي إلى أبي العلاء بن المنصور جواباً عن خطاب استدعاه به إلى قرطبة ليستقضيه بها، معتذراً عن الخفوف بسبب المطر فأمر كاتبه أبا زيد الفازازي بإجابته فقال[2]:

لبيك من مُخلصٍ مُوال ... مبارك الخيم والخلال
ناديتَ والملتقى بعيدٌ ... سَمْعاً للقياك في احتفال
فبحتَ شوقاً بذكر شوق ... والجمر يذكو من الذبال
فارحل كما تشتهي وتهوى ... عن اهتبال إلى اهتبال
حفيَّ برّ شهيَّ ذِكْرٍ ... خليّ فكر رخيّ بال
تحت ظلال بلا طلال ... فوق دماث بلا بلال
والأفق يهفو له نسيم ... يزل عن موطىء الزلال

---

(1) النفح 7/507 - 508.
(2) الذيل والتكملة 8/363 - 364.

ولـلمـطايـا حـثـيـث سـيـر كـالسُّحب في مقـود الشـمـال
تـقـصـر أيـامـهـا عـلـيـهـا فـتـغـنـم الـطُّول فـي الـلـيـالـي
يـا مـجـريـاً في الـبيـان طـرفـا نـائي المـدى واسـع الـمجـال
وجـهـت قـبـل الـلقـاء طـرسـا أشـهـى وصـولاً مـن الـوصـال
حـلَّ مـحـلَّ الـرِّضـا وجـلا بـالـدُّر مـن سـحـره الـحـلال
واسـتـوقـف الـطَّرف إذ تـبـدى في الـزَّهـر والـزُّهـر والـلآلى
لا يـبـرح الـحسن عـنـه حـتـى يـبـقـى بـديـلاً من الـخـبـال
فـمـن شـمـال إلـى يـمـيـن ومـن يـمـيـن إلـى شـمـال
أنـت لـعـمـري الأثـيـر حـقـاً بـمـا تـمـلـكـت مـن خـلال
وقـد سـمـعـنـا ونـحـن نـرجـو رؤيـة مـا قـيـل بـالـكـمـال
فـإن جـرى فـالـجـمـيـل مـنـكـم ولـيس بـالـبـدع صـدق بـال

* * *

حرف اللام

(دلالة الهاشمي)[1]

إذا بـهـرت لـلهـاشـمي دلالـة فـكم حـجـجٌ في طَـيِّهـا ودلائـل
فكم مـرة آتي الغنى كـفَّ سـائـل وكم مـرة أعـطي المنى فكـر سـائـل
لـه تحت أستـار الغيـوب شهـادةٌ مُـعـدَّلـةٌ لم تـبقِ قـولاً لـقـائـل
يحـدث عما كـان أو هـو كـائن فقس آخـراً من صـدقـه بـالأوائـل
إذا الصـدق لم يعـوزْك في غـدواتـه فـلا شـك في تصـديقـه بـالأصـائـل
وحسبـك في الأنبـاء بـالغيب أنَّـه ستسمعها بـالنقـل من قـول قـائـل

(في الحضّ على الحج والزيارة)[2]

الـنـاس قـد رحـلوا وأنـت مـقـيـم ودُعُـوا وأنـت مُـحـجَّـب مـحـروم

---

(1) النفح 511/7.

(2) المقتضب من تحفة القادم ص 133.

صدقوا العزيمة فاستقلت عيسُهُمْ ... وهواك في نيل المنى مقسوم
غَطَّتْكَ من آذى ذنبك موجة ... فيها الهلاك وما أراك تقوم
وتلام في ترك الحجاز فتنثني ... عن غير معذرة وأنت ملوم
أحسن فقد فارقت كلَّ إساءة ... مهلاً فأنت بعلمه معلوم
لا أنت في السَّفَر الذين تقدَّموا ... نحو النبي ولا أراك تقوم
وإذا بدا لك درهم في جلَّقٍ ... بادرت تقعد نحوه وتقوم
وإذا أراد الله تبليغ امرىءٍ ... فالعرب خاضعة له والروم
ما الناس إلا الرَّاحلون لربهم ... والآخرون بلابل وهموم

* * *

حرف النون

(أيّ نور)[1]

أيّ نور كشف الله به ... سدف الباطل عنا أجمعين
ختم الله به أنواره ... عندما أكمل سن الأربعين
وأتانا بدليل بيّن ... عجزتْ عنه دواعي المدَّعين
فهو للناس جميعاً مرشدٌ ... وهو بالله تعالى مستعين
تركتْ دعوتُهُ وهو الرضي ... سائرَ الخلق إليها مهطعين
فأَعِدْ أنباءَهُ فهو منى ... أَنْفُسِ القائل والمستمعين
والذي يهدي إلى شرعته ... فهو مجَّاج من العذب المعين
والذي يرغب عن سنَّته ... فهو من شيعة إبليس اللعين

* * *

(آثار النبي)[2]

اعمل بآثار النبـ ... ـي فإنها النور المبين

---

(1) النفح 508/7.
(2) النفح 512/7.

واقبل نصيحتها ففيـ ـها العزّ والشرف المكين
واشدد يمينك بالشريـ ـعة إنها السبب المتين
خير البرية أحمد والحقُّ يصحبه اليقين
ذو قوَّة عند الالـ ـه مقرّب منه مكين
زان النبيُّون الورى ومحمَّد لهم مزين
هادٍ إلى طُرُقِ النجا ة مؤيد فيها أمين
والْهجْ بمدحِ الهاشمـ ـى فإنه الحصن الحصين
ولئن فعلت فلن تفو تك بعد ذا دنيا ودين

* * *

(إلى ابن رشدين)[1]

وكتب إلى أبي المجد رشدين بن أحمد بن رشدين كاتب السيد أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يعقوب ملك المغرب، وكان والياً على فاس، مفاتحاً في أول كتاب شفاعة، ولم يكن بينهما لقاء:

خير الأخلاء من حلَّتك صحبته خيراً يزينك في الدُّنيا وفي الدين
وقلَّ ذلك إلاَّ ما سمعت به على التواتر من أوصاف رشدين
ليت البروق تؤدي نحوه شغفي حتى تساعدني حالٌ تؤديني

* * *

(علم الحديث)[2]

علم الحديث لكلِّ علم حُجَّة فاشدُد يديك به على التعيين
وتوخّ أعدل طرقه وأعمل بها تعمل بعلم بصيرة ويقين

* * *

(1) لمح السحر ص 136.
(2) بغية الوعاة 91/2 والاعلام بمن حل مراكش 88/8.

(ماذا أقول؟)

وكتب أبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد الفازازي:

ماذا أقولُ ولا عتبٌ على الزمن ... وقد فقدتك فقد العين للوسن
يا من حمدت فلم أذمم مودته ... والناس وُدُّهم يُطْوَى على دخن
ما كان بينك مثل البين أعهده ... وإنما بان روحي منك من بدني
وقد تأملت مذ شطَّتْ محاسنكم ... فما عثرت على حُسْنٍ ولا حَسَن
(وشتت البين ما قد كان يجمعنا ... حتى كأن الذي قد كان لم يكن[1]

ثانياً: النثر:

رسالة إلى البلوى[2]

جاء في كتاب العطاء الجزيل لأبي القاسم البلوي ما نصه: «ومن إنشاء العلم الأوحد، الفاضل الأمجد الفقيه أبي زيد الفازازي ـ أعزه الله ـ ما كتب به إليَّ والي سيدي الشيخ الفقيه (الحسيب) الفاضل أبي القاسم بن حسان، أدام الله سعده، وكتب لي (حين) (. . .) مطلبه ما بلغه أنه استقر عندي من كلامه الجزل:

أيها الجمعُ المتحد شيما، المتفق فضلاً وفهماً، الأرضى سلك (. . .) والأخنى شمل التئامهم بالشتات (. . .)[3].

وأنتم بحول الله تعالى (. . .) (. . . . .)[4] وتقبلون معذرتي عن ذكره، وأنتم أهلٌ لقبول المعذرة، وتوجهه بمطمع المتحمل، ولا تعيرونها

---

(1) مختارات من الشعر المغربي والأندلسي لمجهول. تحقيق إبراهيم بن مراد ص 145 وورد البيت الأول والأخير في (لمح السحر من روح الشعر وروح الشحر) لابن ليون المري في باب أبيات افتتحت بها الرسائل ص 136.

(2) مخطوطة العطاء الجزيل، لأبي القاسم البلوي، الخزانة الحسنية ص 8 وهي نسخة عسيرة القراءة (ترجمة البلوي في الذيل والتكملة 453/1 النفح 300/4) واختصار القدح 122/20.

(3) خمس أسطر غير واضحة في الأصل.

(4) جملة غير واضحة.

إصاخة متسمع ولا لمحة متأمل، (. . .) والسلام عليكم ورحمة الله والبركة.

أولى الأمور بستر شيءٌ ركيك المعاني
فات الطبيب احتيالا وفاق طور المعاني
مدح الكرام يُسَاوى به نسيب الغواني
أيا فلان فأحسن ببذله لفلان

رسالة أخرى إلى البلوي:

قال البلوي [1]

«وكتب إلينا أيضاً جواباً على ما كتبتُ إليه به في استدعاء موشحة له من (سبعة أبيات) يا سادتي الذين جمعت المحاسن أسماؤهم، وأطلعت النير فلكهم وسماؤهم، لا زال ربعكم مطيراً، وقدركم خطيراً، وذكركم في كل معلوة مستطيراً، وصلتني منكم سحاءة طابقت الفصل أزهاراً، وشابهته أهواء وأنواراً، فعجبتُ من ليل نفس أطلع صباحاً، ومن روض طِرسٍ أنبت أقاحاً، على حين كَلَّ لسانُ الاحسان وصافت سهامُ الأفهام، وانقشعت مواطرُ الخواطر، وانتكثت مرائِر الضمائر ولم يبق ذهن إلا نضب حسيه، ولا فكر إلاَّ طفل مسيه، فغاية (التحدي) على هذا ،(التحدي)[2] هجعة كلال، وضجعة ملال، وإن طبعاً يتدفق على جمود الطباع، وذهناً يتألق أوان خمود الشعاع لأحق ذهن بأن أمسح عطفه واستمنح عطفه، وأقدمه وأصلي خلفه.

فأما ما عرَّض به السَّادة ـ أعلى الله أقدارهم ـ من بعث الموشحة التي قصدتُ بها الشكرِ لا الذكر فكيف، وقد (أ) كسبتني رؤية الفضلاء العقلاء أمثالكم حُنكة، وبقَّت عَليَّ من العقل والتمييز مُسكه. . أو ليس من دلائل (الطبع) الأعوج، والذهن الأهوج إبداء تُرب لِتبر، واهداء خَرَف إلى دُر، وأنا أحاشيكم، وأربا برقةِ حواشيكم عن إسفاف إلى نظم سفاف، وإخلاد إلى لفظ غير مستجاد.

وإن كان من سيدنا ـ رضي الله عنه ـ استحسان يغُرّكم (واستملاح)

---

(1) العطاء الجزيل ص 10.

(2) ما بين الأقواس كلمات غير واضحة في الأصل.

ينخدع به غرُّكم، فقد علمتم أن الإغضاء سجيّته والإرضاء على كل حال طويته، والكرماء الذين هو قائد زمامهم، وإمامهم المستحقُّ وابن إمامهم، يجزون عن القُل بالكثر، ويقُومون للمقصر المجتهد ببسط العذر، فأعفوني من هذه الخطة، واكفوني تجشم هذه الضغطة، أبقاكم الله للزلّات ساترين، وبالمأثرات مستأثرين بمنّه وعزته، والسلام.

* * *

(ترجمته للمعشرات الزهدية)[1]

المُعشَّرات الزُّهدية والمذكّرات الحقيقية الجدية، ناطقة بألسنة الوجلين المشفقين، شائقة إلى مناهج السالكين المُستبقين، نظمها متبرّكاً بعبادتهم متيمناً بأغراضهم وإشاراتهم، وقابضاً عنان الدَّعوى عن مداناتهم، مهتدياً إهداءَ السنن الخمس، بالأشعة الواضحة من إشاراتهم، مخَلِّداً دون أفقهم العالي إلى حضضه، جامعاً لحسن أقواله، وقبح أفعاله، بين الشيء ونقيضه عبد الرحمن).

* * *

(ترجمته للمعشرات الحبية)[2]

النفحات القلبية واللفحات الشرقية، منظومة على ألسنة الذاهبين وجداً، الذائبين كمداً وجهداً، الذين غربوا وبقيت أنوارهم، واحتجبوا وظهرت آثارهم، ونطقوا وصمتت أخبارهم، ووفُّوا العبودية حقها، ومحضوا المحبة مستحقها، نظمُ من نسج على منوالهم، ولم يشاركهم إلاَّ في أقوالهم فلان).

ترجمة الوسائل المتقبلة[3]

الوسائل المتقبلة والآثار المسلمة المقبلة، مودعة في العشرينية النبوية،

---

(1) الاحاطة 518/3 - 519.

(2) 1 - 519/3.

(3) الاحاطة 519/3.

والحقائق اللفظية والمعنوية، نظم من اعتقدها من أزكى الأعمال، وأعدها لما يستقبله من مدهش الأهوال.

وفرغ خاطره لها، على توالي القواطع، وتتابع الأشغال، ورجا بركة خاتم الرسالة، وغاية السؤدد والجلالة، محو ما لسلفه من خطأ في الفعل، وزلل في المقال، والله سبحانه وليُّ القبول للتوبة، والمنان بتسويغ هذه المنة المطلوبة، فذلك يسير في جنب قدرته، ومعهود رحمته الواسعة ومغفرته.

* * *

(حديثه عن مجالس الواعظ أبي عبد الله ابن الحجام[1])

قال أبو زيد الفازازي: (كنت بحضرة مراكش أصنع مجالس وعظ في أنواع يقوم بها على رؤوس الناس الواعظ أبو عبد الله (ابن الحجام) في يوم الاثنين والخميس في كل أسبوع، وكان حسن الصوت، فصيح اللسان كثير البيان، وكان يأتي منزلي فأكتبها له، وكان يرغب إليَّ أن أرفع صوتي عند الكتابة لأسمعه، فما رأيت أسرع حفظاً منه، ما أكاد أكملها مع ما فيها من قصائد إلاَّ وقد حفظها.

وكان سكناه مراكش باستدعاء المنصور من بني عبد المؤمن إياه لذلك، وكانت ألطافه تتوالى عليه إلى أن توفي، فحظي كذلك عند ابنه الناصر، وبالغ في الإحسان إليه إلى أن توفي، فجرى المستنصر ابنه في الاحتفاء والاحتفال في صلاته مجرى أبيه وجده، ولم يكن يدخر من عطاياهم قليلاً ولا كثيراً إنما كان يصرف ما يصل إليه من بني عبد المؤمن وغيرهم في الفقراء والمساكين والمحتاجين وتجهيز الضعيفات إلى أزواجهن، هذا كان دأبه إلى غاية عمره نفعه الله.

* * *

(1) الذيل والتكملة 266/8. وقد تقدم التعريف بابن الحجام.

رسالة في حق أبي محمد اليربطول عن السيد أبي العلاء صاحب قرطبة إلى أخيه أبي موسى صاحب مالقة[1]

ويصلكم به إن شاء الله القائد الأجل الأكرم، الحسيب الأمجد الأنجد، أبو محمد ـ أدام الله كرامته ـ وكتب سلامته، وهو الأكيد الحرمة، القديم الخدمة، المرعي الماتة والذمة، المستحق البر في وجوه كثيرة، ولمعان أثيرة، منها أنه من عقب عمار بن ياسر رضوان الله عليه، وحسبكم هذا مجداً مؤثّلاً، وشرفاً موصلاً، ومنها تعيُّن بيته وسلفه، واختصاصهم من النجابة والظهور، بأنوه الاسم وأشرفه، وكونهم بين معتكف على مضجعه، أو مجاهد بمرهفه ومُثقَّفة، ومنها سبقهم إلى هذا الأمر العزيز، وتميزهم بأثرة الشفوف والتمييز، ومنها الانقطاع إلى أخيكم، مُمِدِّ مورده ومصدره وكرم مغيبه ومحضره، وهذه وسائل شتى، وأذمة قل ما تتأتى لغيره.

خطاب عن أبي العلاء إلى الشيخ أبي العباس المري...[2]

لئن غبت عن عيني بحكم المقادر ... فأنت إلى التذكار أقرب حاضر
وإن بعدت منا الديار فبيننا ... تجاور أفكار وقرب ضمائر
ولن ينفع الإبصار إدراك مدرك ... إذا لم تؤيده بمعنى البصائر

السلام الكريم العميم الأحفل الأجزل على الشيخ الفاضل الموشح بحلى المتقين، المرشح لعلا البر والمراقبة واليقين، والساعي بهمته عن الأقطار المغربية إلى الأنوار اليثربية الموطىء بجنبه أكرم مضجع، الراجع إلى ربه تعالى أفضل مرجع، المترقب ليومه الموعود ترقب الشهود حتى كأنه بمرأى

---

(1) الاحاطة 458/3.

(2) أبو العلاء هو إدريس بن المنظور بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، أمير أشبيلية، أعلن أنه خليفة الموحدين سنة 624 هـ، وتوفي سنة 630 (النفح 384/4 والمعجب 416) ولم أعثر على ترجمة أبي العباس المري.

منه ومسمع، فلان بن فلان أبقاه الله ممتعاً بالسني فالسني من أحواله، مبلغاً إلى الهني فالهني من آماله، مفرغاً لما لا بد من إعداده له ولأمثاله، كتب معظمه ومعظم نحلته، الغابط له في نقلته المشكورة المبرورة ورحلته، المنطوي له على الواجب المتعين من حب دخلته، المتمني مرافقته إلى تلك المعالم المكرمة والمشاهد المعظمة ليفوز بمعاينة تربة نبيه وكعبة قبلته، الراغب في بركة دعائه هنا وهناك بالإياب من غيبة سهوه والإيقاظ من سنة غفلته، إدريس ابن الأئمة أمراء المؤمنين بعد ورود كتابه المبرور، ووصول خطابه الذي هو عَلَم في رأسه نور، والوقوف على منازعه السنية على ما حرك ساكن الأشواق وأثار البواعث إلى تلك الآفاق.

وإن نقلة تعيض عيناً من أثر، وتورد على خبر عن خبر لنقلة مباركة المبدأ والمنتهى، مشاركة ولو بالنيات من أولي النهى، ولولا العوائق التي لا يمكن إلاَّ بمعونة الله انبتاتها، والدنيا التي لا تصح إلاّ بالصدق مع الله بتاتها، والتسويفات التي لا تنضبط بعد ولا تنحصر في حد غاياتها، والتعللات التي لا تبرأ مع تقوية أسبابها وعلاتها، لما كنت المتأخر البطيء، ولصحبت ولو سعياً على الرأس لا على القدم تلك المطي، وأنىٰ لمثلي أن يسمع هاك الركن المطهر فقبله، وهاك البيت المقدس فاستقبله، وهذا العقيق فاقبض زمامك، وأُمَّ النور المحمدي أمامك، وأنزل ذليلاً خاضعاً، وأنشر حالاً ومقالاً متواضعاً.

نزلنا عن الأكوار نَمشي كرامةً ... لمن بان عنه أن نلمَّ به ركبا
نَسُحُّ سجالَ الدَّمعِ في عَرَصَاتِهِ ... ونلثِمُ من حبٍّ لواطئه التُّربا
ولو قَصَّرتْ تلك المهابةُ خطونا ... سَحَبْنا مصوناتِ الخدودِ بها سَحْبا
وإن بقائي دونه لخسارةٌ ... ولو أن كفِّي تملكُ الشرق والغربا
فيا عجباً ممن يجيب بزعْمِهِ ... يُقيم مع الدَّعوى ويستعمل الكُتْبَا
ولو كنتُ ذا صدقٍ لصيرتُ أدْمُعي ... مداداً وصيَّرتُ الكتاب لها القلبا
وزلَّاتُ مثلي لا تُعَدَّدُ كثرةً ... وبُعْدي عن المختار أعظمُها ذنبا

فأَعِنِّي أيها الشيخ المتبرَّكُ بدعواته، المستعان على نجح المطالب بخلواته، على قصدٍ أَلَذُّ، ذكراه، وأتمنى أن أراه:

فـربّ فتى سُـدت عليـه وجـوهـه أصـاب لهـا لَمَّـا دعـا الله مخـرجـا

وذكـرتَ أمر قـرطبة مستفهمـاً، ودعوتَ بيمن النقلة إليهـا متهمِّمـاً، والله تعالى يَمُنُّ بإجابة دعـائك، ويجـود بالـرضا عنـك وإرضائـك، وكأني بـك قد ألممت بمطهَّر تلك العرصات، وظفرت بآمالك المقتنصات، وقد حملتك أمانة الدعاء في كـل مشهد تشهـده، ومع كـل عمل تقصـده، وعلى أثر كـل خاطـر تطلبه فتجده، فذلك من أبرِّ ما أعده واعتمده، وأوثق ما ألجيءُ ظهر عملي إليه وأسنده، أبقاك الله معترفاً للمزيد في علمك وعملك، متلقياً للجديد فـالجديـد من سرورك وجذلك، مترقيـاً إلى أعلى الغايـات ما بين حـالك ومستقبلك، إن شاء الله، والسلام[1].

(1) قال ابن عبد الملك في الذيل والتكملة 57/1: (وأخبرني بهذه الرسالة شيخنا أبو الحسن الرعيني ـ رحمه الله ـ عن منشئها، ونقلتها من خط المقيد الضابط أبي عمر بن سالم راويها عن منشئها أيضاً وعليها خط الكاتب أبي زيد المذكور).

[رسالة إلى الشيخ أبي عمران الحفصي]

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما[1]

«كتبَ عن السَّيد الأجلِّ الأعلى أبي العلاء بن الخلفاءِ الرَّاشدين ـ أعزَّ الله نصرَهم ـ إلى الشَّيخِ الأجلِّ المعظَّم أبي عمرانَ بن الشَّيخ المرحومِ أبي حفصٍ[2] ـ أبقى الله بركتَهم ـ الكاتبُ الأفضلُ أبو زيد عبد الرحمن بن يخلفتن الفازازي ـ أعزّه الله ـ :

الشَّيخُ الأجَلُّ، الأعزُّ، الأكرمُ، الأسنى، المبرورُ، المعظَّمُ، المكرَّم، الأسمى، الأسْرَى، أبو عمران ابن الشَّيخِ الأجلِّ، المعظَّمِ المكرَّمِ أبي حفص ـ مكَّنَ الله علاءهم، وأحسن في رُزْئهم الفاجع الفادحِ عزاءهم. مُهامِهِمِ في مصابهم الأفظعِ ومُشاركُهم بخفقِ الفؤادِ، ودفعِ المدفعِ المرتمضِ أشدَّ الارتماضِ[3] لرُزْئِهِ الَّذي فتقَ المجدَ فأوسع، وشَغلَ التصوُّرُ له والتحدُّثُ كُلَّ مرأىً ومسمع، ادريسُ بن الخلفاء الراشدين.

سلامٌ عليكُم ورحمةُ الله ـ تعالى ـ وبركاتُه، وبعدَ حمدِ الله الحيِّ الَّذي

---

(1) النص في «رسائل أندلسية» تحقيق الدكتور فوزي سعد عيسى ط منشأة المعارف ص 268 وأصله في مكتبة الاسكريال رقم 538 الورقة «70/أ و ب».

(2) أبو عمران: هو عم ملك أفريقية أبي زكرياء الحفصي وكان أبو عمران من أشهر ولاة المرية في خلافة الموحدين خلال المائة السابعة.

(3) ارتمض الرجل من كذا: اشتد عليه وأقلقه.

لا يموتُ ولا يفنى، المقدَّر لوفاةِ كُلِّ شخصٍ، وخرابِ كُلِّ مغنيٍ، والصَّلاةِ على سيِّدنا محمَّدِ رسولِه المصطفى الكريم، أقرب من استَدْنِي فاستدنى، المعزِّ للمصابِ به عليه السَّلام عن كُلِّ نفسٍ وإنْ سَرَّ نفساً وأقرَّ عيناً، وعلى آله وصحبِهِ الكرام المنافحين عن مِلَّتِه الغرَّاء ضرباً وطعناً، والمُغنينَ في تمهيدِ شعائرِهِ الكريمةِ، وشرائعِهِ العظيمةِ كُلِّ مغنٍ، والرِّضا عن الإمامِ المعصومِ[1]، المهديِّ المعلوم، مجدِّدِ مادثَرَ للشَّرعِ مِنْ رسمٍ، ومشيدِ مادرسَ للحقِّ مِن مبنى، ومُثْبِتِ الحقائقِ على أوثقِ القواعدِ، بعد أن قلبَها الباطنِ ظهراً أو بطناً، وأعزَّ خلفاءه الرَّاشدين المقتفين آثارَه العليَّةَ لفظاً ومعنى، والمتمِّمين لبدأته المباركة فنّاً ففنّاً، والدعاء لسيِّدِنا ومولانا الخليفةِ الإمامِ أميرِ المؤمنين ابن الأئمةِ الخُلفاء أمراء المؤمنين بنصرٍ يملأ الدُّنيا وأهلِها منّا وأمناً، وفتحٍ يستتبعُ أُمَّة فأمَّة، ويهدُّ معاقلَها حِصْناً فحِصناً. فكتب ـ كتبَ الله لكم صبراً ـ لا تكدِّرُ بحرَه دلاءُ النَّوائبِ وشكراً لا يُغيِّرُ بئره وكاءُ[2] المصائب ـ من قُرطبة ـ حَرسَها الله ـ والأحوالُ صالحةٌ، والحمدُ لله كثيراً على أنَّ النَّفسَ للاكتئابِ، شديدةُ الارتماضِ، والغينَ للانتحاب بعيدةٌ مِن الاغتماض، والقلب قد وجبَ حتَّى انفطر، والخُلْف قد احتدم حتى استعر، والنَّفَس قد ارتفع حتى خَفَتْ، واللِّسان قد ضجَّ حتى صمت، أسَفاً لما نفذَ به القدر الذي لا يُغالَب، والحكمُ الذي لا يُطالب، من وفاةِ الشَّيخِ الأجلِّ، المكرَّمِ، المعظَّم، صنوكم الأسنى، الأسرى، والتارِكِ الآمال ظُلَّعاً، والنُّفوسَ حَسْرى، ليثِ الحروب، وعيثِ الجُدوبِ، والذَّكَرِ[3] المعدِّ لكلِّ نائبةٍ تنوب، أبي محمدٍ ـ نوَّر الله مضجعَه، وكرَّم لديه مرجعَه، وكان في وحشةِ اللَّحدِ، ووحدةِ الفقْدِ له ومعَه، فإنَّا لله وإنَّا إليهِ راجعون، تسليماً للقدر، واستراحةً في عدم المُصْطَبر، وواأسَفاً له صارِماً أُغْمِد بعدما هالت آثارُه، وضُبَارماً[4] فُقِد بعدما سارتْ شَرْقاً وغَرْباً أخبارُه.

لقد فُجِعَتْ لفقدِه مكارمُ الأخلاق، وشجيت من بعده حياضُ البيضِ

---

(1) يعني المهدي بن تومرت صاحب الدعوة الموحدية.

(2) الوكاء: ما يشد به.

(3) الذكر: السيف.

(4) الضبارم: الشجاع الجريء على الأعداء والأسد الشديد الخلق.

الـرِّقاق، وجيـادُ الجُرْد العِتـاق، وما كـان إلاَّ الغمامَ انقشـعَ وقد تـركَ البسيـطةَ ممْـرَعـه، والحُسَـامَ انقـطعَ وقـد غـادرَ الأحشـاءَ لـلأعـداء مُنْقَـطعـة، والله ـ تعـالى ـ يجبرُ بكم مكـانَـه، ويعـز بمن تخلَّفـه مِن سـراة الأسـرةِ بـأسَـه وإحسانَه بمنِّه.

ولولا أنَّ التعزيات من السُّنن المشروعـة، والآثارِ المتبـوعة لصـدَّ وليُّكم عنهـا، لعلمه بمـا لديكم من الصَّبـر والاحتسـاب، وكـونـه في هـذه المصيبـةِ الـفـاجعـةِ الـجـامعـةِ شـريـكَكـم المبـرَّ في الأسـفِ لـه والاكتئـاب، والله ـ تعـالى ـ يجعلنا جميعـاً فيمن أصاخ ـ لهـذا النبـأ الـذي لا يستـطيـعُ لـه دفعـاً ـ سمعـاً، وأعـدَّ لهـذا الخـطب ـ الـذي لا نُـطيق لـه ردَّاً ـ حَـدَّاً، وإلى الله ـ تعـالى ـ أضرعُ في أن يبقيكم أَطـولَ البقـاءِ، ويـرقيكم أحسنَ الارتقـاء، ويحسن عزاءَكم عمَّا لا بدَّ منه في هذه الدَّارِ من مُغيرات الحوادث، ومكدِّرات الأرزاء بمنِّه، والسلام.

* * *

الفهارس العامة

- الأعلام
- الأماكن
- القوافي
- المصادر والمراجع
- الموضوعات

فهرس الأعلام

إبراهيم بن هلال الصابي : 35
إبراهيم بن يعقوب (أبو إسحاق) : 168
الأخطل : 98
أرسطاطاليس الفيلسوف : 155
إسماعيل بن يحيى المزني : 117
الأعشى : ميمون بن قيس : 35
أفلاطون : 117 , 155
الفونسو الثامن «الأذفنش» : 140
اويس القرني : 89
اياس بن معاوية المزني : 89
البحتري (الوليد بن عبيد) : 146
البخاري (محمد بن إسماعيل) : 117
بسطام بن قيس : 141
بشار بن برد : 50
البعيث : (خداش بن بشر) : 146
بوران بنت الحسن بن سهل : 118
أبو تمام : (حبيب بن أوس) : 35 , 146
حرول بن أوس (الحطيئة) : 98
جرير بن عطية : 98 , 146
جندل بن المثنى : 146
الجنيد بن محمد البغدادي : 117
ابن الحاج النميري :(إبراهيم بن عبد الله)159
ابن الحجام : (محمد بن أحمد) : 172, 77
الحسن بن محمد بن هاشم العبدري : 35
ابن حوط الله الأنصاري : 103 , 104
الخليل بن أحمد الفراهيدي : 148
ربيعة الرأي : 117
ابن رشدين : (أبو المجد رشدين بن أحمد) : 168
الرضى : محمد بن الحسين الشريف : 35
أبو زيد : عبد الرحمن بن يخلفتن : 177, 169, 77, 62, 39, 34
سحنون بن عبد السلام : 117
سعيد بن عيسى : 123
سعيد بن يوسف المعلم (أبو عثمان) : 125
ابن سيدة : (علي بن إسماعيل) : 148
سهل بن مالك : 164
سيف بن ذي يزن : 100
الشافعي : محمد بن ادريس : 117
الشريشي (أبو العباس) : 133, 130
شمس الدين أبو المعالي : (انظر محمود الفارسي)

الصابي : (إبراهيم بن هلال) : 35
ابن صناديد : أبو عبد الله : 139, 142, 145
عاصم بن خليفة الضبي : 141
أبو العباس المري : 173
أبو عبد الله بن الحمام الكفيف : (انظر ابن حجام)
أبو عبد الله ركن الدين : 46
أبو عبد الله المسطاطي : 124
عبد الحميد بن يحيى الكاتب : 50
العبدري : (انظر الحسن بن محمد)
عروة بن حزم : 116
أبو العلاء المأمون الموحدي : 173, 177
علي بن أبي طالب : 117
عمار بن ياسر : 173
عمر بن عبد العزيز (أبو علي) : 121
أبو عمران بن أبي حفص : 177
أبو عمران بن أبي عمران الزاهد : 43
ابن العميد : (محمد بن الحسين) : 109
عياض بن محمد بن عياض (أبو الفضل) : 128, 129
الفازازي : (انظر أبو زيد)
الفازازي : (انظر محمد بن يخلفتن)
قارون : 119
أبو القاسم البلوي : 169, 170
أبو القاسم بن حسان : 169
قدامة بن جعفر : 109
ابن قسوم (أبو بكر) : 42
ابن قلاقس : 130
قيس بن ذريخ : 116
قيس بن الملوح : 116
قيصر : 153
كثير عزة : 116 , 132
كسرى أنو شروان : 120 , 153
كعب بن مامه : 109
الكندي : 35
المأمون العباسي : 118 , 148
أبو محمد التلمساني : 129
محمد بن عبد الله : 34, 37, 39, 56, 64, 95, 161, 162, 164 , 165, 166, 167, 177, 178 (صلى الله عليه وسلم) :
أبو محمد القرطبي : 48
محمد بن يختلفن الفازازي : 61 , 165
محمود الفارسي : 114, 116, 118
المزني : (اسماعيل بن يحيى) : 117
المستنصر بن الناصر الموحدي : 172
مصعب بن الزبير : 141
معبد : 35
ابن معروف : (محمد بن أحمد) : 104
ابن المعز المكلاتي : 108
ابن مكرم : علي بن الحسين : 100
المنصور : (يعقوب بن عبد الحق) : 88, 151, 157, 172,
المهدي بن تومرت : 136, 178
مهيار الديلمي : 35
أبو موسى بن يعقوب المنصور : 173
موسى بن جابر : 35
الناصر بن يعقوب المنصور : 172
هارون الرشيد : 172
هلال الخطفي (أبو النجم) : 157
ابن اليربطول (أبو محمد) : 173
يعقوب (عليه السلام) : 73, 74, 75
يوسف (عليه السلام) : 72, 73, 74, 75

فهرس الأماكن

أحد 106
الاسكندرية 105
أفريقية 149, 147
باب البنود 107
البجات 106
بدر 106
البصيلة 129, 122
البقيع 106
تلمسان 133, 124, 123
تنيس 106
تونس 147 , 47
جدة 106
الجزائر 151
الجزيرة الأندلسية 144, 139
الحطيم 56
دارين 116
دمياط 106
رباط التونسي 131 , 122
الركن اليماني 123 , 106
زمزم 123, 106, 56, 0
الشام 146, 140
طيبة 106
الصخرتان 132, 131, 122
الصفصاف 122
صفين 117
العراق 146, 106
عرفة 106, 105
العقيق 130, 106
عيذاب 106
غرناطة 110
فارس 146
فاس 133
الفسطاط 146
قباء 106
أبو قبيس 106
قرطبة 175, 165, 173
الكعبة 106
مالقة 173
المجاز 129
المدينة 106
مراكش 77
المرية 40
المشعر الحرام 106
مصر 105
مقام إبراهيم 56
مكة المكرمة 106
منى 106
الموصل 146
ميورقة 151
نعمان 115
يبرين 115

فهرس القوافي

القافية	البحر	المصدر	عدد الأبيات	الصفحة
		قافية الألف:		
الأسرى	طويل	النفح 508/7	9	153
الأنبياء	وافر	النفح 509/7	8	154
سماء	الكامل المجزوء	النفح 509/7	9	154
		(قافية الباء:		
أخاطب	طويل	مجموع ليدن	11	77
الكرب	الوافر المجزوء	مجموع ليدن 91	60	80
مناقب	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 137	47	125
مجانبا	كامل	الاحاطة 521/3	14	155
عاتب	طويل	مجموع ليدن 197	2	138
العتب	طويل	مجموع ليدن 158	12	119
الغضب	بسيط	الذيل والتكملة 290/6	22	156
أخاطب	طويل	مجموع ليدن 85	11	77
الدؤوب	وافر	مجموع ليدن 82	8	75
ركبا	طويل	الذيل 56/1	7	174
مكاسب	طويل	مجموع ليدن 10/9	13	40
التقرب	طويل	مجموع ليدن 40/39	14	58
قريب	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 59	4	66
مذهبه	سريع	مجموع ليدن 63	10	67

قافية التاء:

هات	وافر	مجموع ليدن 83	9	75
فارقته	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 123	14	97
ثمراتها	كامل	مجموع ليدن 132	1	103
هضباته	طويل	مجموع ليدن 139	1	108
أنابه	كامل	مجموع ليدن	3	53

قافية الجيم:

مخرجا	طويل	الذيل والتكملة 56/1	1	175

قافية الحاء:

التباريح	بسيط	الأعلام 87/8	12	157
الفلاح	وافر	مجموع ليدن 37	16	85 , 57
ناجح	طويل	مجموع ليدن 226	6	151 - 150

قافية الدال:

الحسد	بسيط	مجموع ليدن 62	6	67
الشهد	طويل	مجموع ليدن	4	35
نوحد	طويل	مجموع ليدن 111	22	90
واحد	كامل	مجموع ليدن 114	32	91
تستفيده	طويل	مجموع ليدن 121	18	95 - 94
موحد	طويل	مجموع ليدن 137	3	107
البعيدة	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 217	45	148 - 146
العبيد	سريع	مجموع ليدن 58	6	66
ويحمد	كامل	رحلة ابن رشدم/ 254	21	158
وجدود	المجتث	مجموع ليدن	5	54
خده	خفيف	مذكرات لبن الحاج 28/2 ب 2		160

قافية الراء:

شناعر	طويل	مجموع ليدن	1	35
حاضر	طويل	الذيل والتكملة 55/1	3	173
خاطري	متقارب	برنامج الرعيني 138	8	120
يزور	طويل	مجموع ليدن 124	28	98
الضرورة	مجزوء الكامل	النفح 511/7	9	160
والصبر	طويل	مجموع ليدن 87	14	132
نظر	مجزوء الوافر	مجموع ليدن	73	88 , 84
والبصر	متقارب	النفخ 511/7	7	160
والخبر	بسيط	مجموع ليدن 12	5	41
واكبارا	بسيط	مجموع ليدن 26	21	50
المنكر	كامل	مجموع ليدن 41	21	58
أستار	بسيط	مجموع ليدن 44	9	60
الخمر	طويل	مجموع ليدن 45	5	60
جمر	مخلع بسيط	مجموع ليدن 47	10	61
السهر	بسيط	مجموع ليدن 60	15	66
للنظر	بسيط	مجموع ليدن 161	39	122 - 121
استطار	السريع	مجموع ليدن 166	26	123
المطرا	الرمل	مجموع ليدن 169	34	124
يتغير	طويل	مجموع ليدن	12	99

قافية السين:

تجنيس	بسيط	مجموع ليدن 127	4	99
وعيس	وافر	مجموع ليدن 160	7	120
وياس	خفيف	مجموع ليدن 189	7	133
بالناس		لمح الشعر	3	161
الناس	بسيط	النفح 511/7	7	161
الجنس	طويل	الاحاطة 522/3	5	162

قافية الضاد:

المرض	بسيط	مجموع ليدن 85	25	72
ومضى	رمل	مجموع ليدن 79	8	74
تمضي	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 133	14	103
انقباض	وافر	مجموع ليدن 179	16	128

قافية العين:

سمعه	رمل	النفح 509/7	7	162
وسعها	سريع	مجموع ليدن 70	8	70

قافية الفاء:

زائف	طويل	الذيل والتكملة 548/1	13	163
تكلف	طويل	مجموع ليدن 73	11	71
مشغوف	المنسرح	مجموع ليدن 135	5	104

قافية القاف:

يعشق	كامل	لمح السحر 202	1	163
حرق	بسيط	مقتضب من تحفة القادم 134	1	164
يفترق	بسيط	مجموع ليدن 64	47	68
المضايق	طويل	مجموع ليدن 89	21	79

قافية الكاف:

أبرك	كامل	النفح 510/7	7	164
المسالك	مجزوء الرمل	الذيل والتكملة 105/4	3	164
الشك	طويل	مجموع ليدن 36	3	57
أهلك	-	مجموع ليدن 84	7	76

قافية اللام:

حجولها	كامل	النفح 507/7 - 508	7	165
الخلال	مخلع البسيط	الذيل والتكملة 363/8	18	165
ودلائل	طويل	النفح 511/7	6	166
بأهلها	الكامل المجزوء	مجموع ليدن 28	12	51
ندال	طويل	مجموع ليدن 34/33	12	55
فضيلة	مخلع بسيط	مجموع ليدن 43	8	59
الجلال	مخلع بسيط	مجموع ليدن 46	7	61
موصل	طويل	مجموع ليدن 52	22	63
الجزالة	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 132	3	103
وسله	كامل	مجموع ليدن 181	25	129
جميله	كامل	مجموع ليدن 184	24	130
أجمل	كامل	مجموع ليدن 20	91	142 - 146
أبلى	طويل	مجموع ليدن 226	12	151

قافية الميم:

نسيما	كامل	مجموع ليدن	2	35
قدما	مديد	مجموع ليدن 28	10	52
خيمه	وافر	مجموع ليدن 149	3	114
محروم	كامل	المقتضب 134	10	166
بسلام	كامل	مجموع ليدن 48	25	62
الحكم	طويل	مجموع ليدن 54	26	64
الهمم	مجزوء الوافر	مجموع ليدن 97	110	83
السآمة	مجزوء الكامل	مجموع ليدن 140	19	108
والكرم	بسيط	مجموع ليدن 198	13	139
الاسلام	كامل	مجموع ليدن 200	62	139 - 142

قافية النون :

الدين	بسيط	لمح السحر (مخ)	3	168
للوسن	بسيط	مختارات من الشعر المغربي والأندلسي 145	5	169
والحزن	طويل	مجموع ليدن 139	3	108
أجمعين	رمل	النفح 508/7	8	167
يدعوني	كامل	مجموع ليدن 150	83	119 - 114
المبين	مجزوء الكامل	النفح 512/7	9	167
التعيين	كامل	بغية الوعاة 31/2	2	168
المعاني	-	العطاء الجزيل (مخ)	4	170
زماله	كامل	مجموع ليدن 5	13	37
العلن	مديد	مجموع ليدن 51	11	63
سبحانه	سريع	مجموع ليدن 57	4	65
لين	طويل	مجموع ليدن 87	6	73
البرهان	كامل	مجموع ليدن 80	14	74
أجمعينا	وافر	مجموع ليدن 87	24	78
العلن	مجزوء الوافر	مجموع ليدن 108	31	88

قافية الهاء :

أصدريه	مجزوء الرمل	مجموع ليدن 31	6	53
البديهة	الكامل المجزوء	مجموع ليدن 31	5	54
فاه	رمل	مجموع ليدن 71	14	71
وحلاه	الخفيف	مجموع ليدن 177	15	128

قافية الياء :

العليا	طويل	مجموع ليدن 69	10	70

أهم المصادر والمراجع

أولاً المخطوطات:

1 ـ أعلام مالقة لابن خميس وابن عساكر، نسخة عن مخطوطة الخزانة الحسينية رقم 11055 مرقونة على الآلة الكاتبة في معظمها (مكتبة الأستاذ عبد الله الترغي).

2 ـ لمح السحر من روح الشعر وروح الشحر، لأبي عثمان بن ليون نسخة مرقونة على الآلة الكاتبة بتحقيق الأستاذ سعيد الأحرش 83 - 1984 م.

3 ـ مخطوطة تنبكتو من عشرينيات الفازازي.

4 ـ مخطوطة العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل لأبي القاسم البلوي. مسجلة في فهرس الخزانة الحسينية برقم 6148.

5 ـ مخطوطة ليدن بدون عنوان، ومحتواها أعمال نثرية وشعرية لأبي زيد الفازازي، ضمن مجموع به مواد مختلفة، يحمل رقم 479، وهي الأصل الذي قام عليه تحقيق هذا الكتاب.

ثانياً المطبوعات:

1 ـ الآثار الأندلسية ـ لمحمد عبد الله عنان ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر 1381 - 1961 م.

2 ـ الاحاطة في أخبار غرناطة ـ لسان الدين بن الخطيب طبعتا دار المعارف ومكتبة الخانجي.
3 ـ أزهار الرياض في أخبار عياض، المقري التلمساني طبعة القاهرة 1939 م وطبعة اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي 78 و 1979 م.
4 ـ الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة 1969 م.
5 ـ الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، لعباس إبراهيم تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية ـ الرباط: 1977 م.
6 ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس، لعلي بن أبي الزرع الفاسي دار المنصور للطباعة والوراقة ـ الرباط ـ 1973 م.
7 ـ برنامج شيوخ الرعيني، لأبي الحسن علي بن محمد الرعيني الأشبيلي تحقيق إبراهيم شبوح، دمشق 1381 - 1962 م.
8 ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لابن مريم محمد بن المديوني، طبع بعناية محمد بن أبي شنب. صورة عن الطبعة الأصلية بتاريخ 1406.
9 ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تأليف أحمد بن يحيى الضبي منشورات دار الكاتب العربي 1967 م.
10 ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ط 2 - 1979 م.
11 ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذارى المراكشي (قسم الموحدين) تحقيق الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ـ 1985 م.
12 ـ تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان ترجمة رمضان عبد التواب دار المعارف، الطبعة الثانية.
13 ـ التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب ابن الزيات. تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط 1984 م.
14 ـ التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله ابن الأبار طبعة عزت العطار 1955 وطبعة مجريط.
15 ـ دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين) تأليف محمد عبد الله عنان، الطبعة الأولى 1964 م.
16 ـ ديوان الوسائل المتقبلة في مدح النبي ﷺ نشر مكتبة الحلبي مصر د. ت.

17 ـ الـذيل والتكملة لكتـاب الموصـول والصلة، لأبي عبد الله محمـد بن عبد الملك الأنصـاري المراكشي تحقيق الـدكتور محمـد بن شريفـة والدكتـور إحسان عباس (الأجزاء 1 - 8) دار الثقافة وأكاديمية المملكة المغربية.
18 ـ رحلة ابن رشيـد المسمـاة (مـلء العيبـة) لأبي عبـد الله محمـد بن رشيـد السبتي تقـديم وتحقيق د. محمد الحبيب ابن الخـوجة ـ الشـركة التـونسية للتوزيع 1981 م.
19 ـ الـروض المعطار في خبـر الأقـطار، لمحمـد بن عبـد المنعم الحمـدي، تحقيق: أحسان عباس، مكتبة لبنان (1975 م).
20 ـ روضة التعريف بالحب الشريف، لسـان الدين بن الخـطيب، نشر بعنـاية محمد الكتاني. دار الثقافة، الدار البيضاء 1970 م.
21 ـ شجـرة النور الـزكية في طبقـات المالكيـة، لمحمـد مخلوف، دار الفكـر للطباعة والنشر. بيروت د.ت.
22 ـ صلة الصلة لابن الزبير. تحقيق ليفي بروفنسال (1937).
23 ـ صلة الصلة لابن الزبير (تراجم الغربـاء) تحقيق د. محمد بن شـريفة في آخر كتاب الذيل والتكملة 501/8 نشر الأكاديمية المغربية 1984 م.
24 ـ القدح المعلي في التاريخ المحلي اختصاره لابن سعيـد علي بن موسى، والمختصـر هـو أبـو عبـد الله بن خليـل، تحقيق: أبـراهيم الأبيـاري، دار الكتاب اللبناني. بيروت 1980 م.
25 ـ القصـائد العشـريات، تـأليف أبي زيد الفـازازي نشـر دار إحيـاء الكتـاب العربي ـ عيسى الحلبي وشركاه.
26 ـ مجمع الأمثال للميداني.
27 ـ مختارات من الشعر المغـربي والأندلسي، تخـريج وتحقيق: أبـراهيم بن مراد. دار الغرب الاسلامي 1986 م.
28 ـ المعجب في تلخيص أخبـار المغرب، لعبـد الواحـد المـراكشي، تحقيق محمد العريان ومحمود العلمي / القاهرة 1949 م.
29 ـ المغـرب في حُلَى المغـرب لابنـاء سعيـد، تحقيق شـوقي ضيف، دار المعارف 1964 م.
30 ـ المقتضب من تحفـة القـادم، أصله لأبي عبـد الله بن الأبـار واختصـاره

لإبراهيم البلفيقي. . . تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية ـ القاهرة 1957 م.
31 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري التلمساني تحقيق: إحسان عباس. دار صادر بيروت 1968 م.
22 ـ النوافح العطرية المختصرة من النفحة العنبرية في حل ألفاظ العشرينية ـ تأليف محمد غبريم بن محمد الداغري المكتبة الشعبية ـ بيروت لبنان د. ت.
33 ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق: طلاب كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس ـ ليبيا 1989 م.
34 ـ الوافي بالوفيات للصفدي، دار فرانز شتاير بفيسبادن.
35 ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس. . . دار الثقافة بيروت ـ (1968 م).

مع تحيات إخوانكم في الله
ملتقى أهل الحديث
ahlalhdeeth.com
خزانة التراث العربي
khizana.co.nr
خزانة المذهب الحنبلي
hanabila.blogspot.com
خزانة المذهب المالكي
malikiaa.blogspot.com
خزانة المخطوط العربي والإسلامي
makhtotat.blogspot.com
عقيدتنا مذهب السلف الصالح أهل الحديث
akidatuna.blogspot.com
القول الحسن مكتب الكتب الصوتية المسموعة
kawlhassan.blogspot.com

فهرس الموضوعات

الإهداء . . . . . .
تقديم 5
الفازازي وحياته 7
آثاره 15
التعريف بالمخطوط 21
المصطلحات والرموز المستخدمة 25
آثار الفازازي 27
صور لصفحات من المخطوط 28
مقدمة المؤلف 34
النوع الأول: في الكلام على الزهد 37
وفيه رسائل إلى: رسول الله صلى الله عليه وسلم 37
وإلى بعض المشهورين بالعلم والدين 40
وإلى الشيخ الزاهد أبي بكر بن فسوم 42
وإلى الزاهد أبي عمران بن أبي عمران 43
وإلى الفقيه أبي عبد الله ركن الدين 46
وإلى أبي محمد القرطبي 48
وكتب مراجعاً شاكياً عن تأخر المتاب 50
وكتب في مثل ذلك المعنى 55

في الحض على بر الوالدين 57
في مثل ذلك 58
في ذم الخمر 58
في مثل ذلك 59
في مثل ذلك 60
في مثل ذلك 60
في مثل ذلك 61
قطعة لأخيه أبي عبد الله في ذم الخمر 61
لأبي زيد في شهر رمضان 62
في ذكر عاشوراء 63
من فضل شعبان 63
في التوكل 64
في رجاء الله 65
في مثل ذلك 66
في مثله 66
في الحض على قيام الليل 66
في ذمّ الحسد 67
في مثل ذلك 67
في الدعوة إلى كبح جماح النفس 68
مقامات أهل الدين 70
في الدعوة إلى الانقباض عن الدنيا 70
في عصمة الأنبياء 71
في رجال عفت آثارهم 71
يصبِّر على المكروه 72
في الصبر أيضاً 73
في مثل ذلك 74
في عدم الانخداع بالظاهر 74
في مناجاة المولى 75
فيمن يؤمل الجنة ولا يعمل لها 75

أبيات باقتراح بعض المريدين 76
أشعاره في مجالس وعظ الجمعة 77
النوع الثاني: في الرسائل الاخوانية 97
- إلى ابن حوط الله 103
- إلى ابن معروف 104
- إلى ابن المعز 108
- في الشفاعة لبعض الطلبة 109
- في ذلك المعنى 111
- في المعنى نفسه : 112
- في المعنى نفسه 112
- في مراجعة بعضهم 113
- إلى شمس الدين أبي المعالي الفارسي 114
- إلى بعض الصالحين 119
- إلى بعض إخوانه 120
- إلى إنسان مفارق 120
- إلى أبي علي عمر بن عبد العزيز 121
- إلى سعيد بن عيسى 123
- إلى أبي عبد الله بن المسطاسي 124
- إلى أبي عثمان سعيد بن يوسف المعلم 125
- إلى عياض بن عياض 125
- إليه أيضاً 128
- إلى صديق يكنى أبا محمد 129
- إلى الفقيه أبي العباس الشريشي 130

النوع الثالث:
في المخاطبات الصادرة عن الأُمراء 135
- للحضرة الامامية عن بعضهم 135
- لبعضهم 137
- للمكتوب اليه المتقدم عن نفسه 138

- قصيدة برغبة صاحب 139
- قصيدة على لسان من رغب إليه في ذلك 142
- رسالة برغبة إنسان 146
- وكتب بسؤال سائل 150
الملاحق: - 153
أولاً: الشعر: 153
- خير العالمين 153
- خير الأنبياء 154
- الصباح الهاشمي 154
- الفلاسفة 155
- مناجاة 156
- الطعن والضرب 156
- التباريح 157
- في شكر على غيث 158
- في صبي 159
- في الملحدين 160
- الأدب في حضرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) 160
- في سيد الناس 161
- في الشفاعة لبعضهم 161
- مياس العواطف 162
- المعجزة 162
- أسير الخطايا 163
- الكرام 163
- يا نائم الطرف 164
- النبي 164
- في سهل بن مالك 164
- خير الورى 165
- جواب إلى أخيه 165
- دلالة الهاشمي 166

- في الحض على الحج والعمرة 166
- أيُّ نور؟ 167
- آثار النبي 167
- إلى ابن رشدين 168
- علم الحديث 168
- ماذا أقول؟ 169
ثانياً: النثر: - 169
- رسالة إلى أبي القاسم البلوى 169
- رسالة أخرى إلى البلوى 170
- ترجمته للمعشرات الزهدية 171
- ترجمته للمعشرات الحبية 171
- ترجمته للوسائل المتقبلة 171
- حديثه عن مجالس ابن الحجام 172
- رسالة في حق أبي محمد اليربطول 173
- خطاب عن أبي العلاء إلى الشيخ أبي العباس المري 173
- رسالة إلى الشيخ أبي عمران الحفصي 177
- الفهارس العامة . . . . . .
- أهم المصادر والمراجع . . . . . .